

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء الثاني

السيد جعفر مرتضى العاملي

هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج فنيّاً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إنشاء الله تعالى .

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء الثاني

السيد جعفر مرتضى العاملي

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ:

قال الطبري ما ملخصه: إنه لما نزل قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ^(١) دعا علياً (عليه السلام)؛ فأمره أن يصنع طعاماً، ويدعو له بني عبد المطلب ليكلهم، ويبلغهم ما أمر به.

فصنع علي (عليه السلام) صاعاً من طعام، وجعل عليه رجل شاة، وملاً عساً من لبن، ثم دعاهم، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً، أو ينقصونه، فيهم أعمام النبي (صلى الله عليه وآله): أبو طالب، وحمزة والعباس، وأبو لهب؛ فأكلوا.

قال علي (عليه السلام): فأكل القوم، حتى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم.

ثم قال: إسق القوم؛ فجئتهم بذلك العس؛ فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكلهم بدره أبو لهب فقال:

١ - الآية ٢١٤ من سورة الشعراء.

لقدماً سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، ولم يكلمهم الرسول (ﷺ)

فأمر (علياً) (عليه السلام) في اليوم الثاني: أن يفعل كما فعل آنفاً، وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم رسول الله (ﷺ): يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأياكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصي، وخليفتي فيكم؟! قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقال علي: أنا يا بني الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي. ثم قال: إن هذا أخي، ووصي، وخليفتي فيكم؛ فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. وفي بعض نصوص الرواية: أنه لما قام علي (عليه السلام) فأجاب، أجلسه النبي (ﷺ). ثم أعاد الكلام، فأجابه علي، فأجلسه، ثم أعاد عليهم، فلم يجيبوا، وأجاب علي (عليه السلام)، فقال له (ﷺ) ذلك. وحسب نص الإسكافي: أنه (ﷺ) قال: هذا أخي، ووصي، وخليفتي من بعدي.

وأثم قالوا لأبي طالب: أطع ابنك، فقد أمره عليك^(١).

١ - راجع هذه القضية في: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦٣ ومختصر تاريخ أبي الفداء (ط دار الفكر - بيروت) ج ٢ ص ١٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٢ و ٤٢١ و (بتحقيق المحمدي) ج ١ ص ٥٤٢ وكنز العمال (الطبعة الثانية) ج ١٥ ص ١٦ و ١١٧ و ١١٣ و ١٣٠ عن ابن إسحاق، وابن جرير وصححه، وأحمد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل، وتاريخ ابن عساکر، وترجمه الإمام علي (بتحقيق المحمدي) ج ١ ص ٨٧ و ٨٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤ عن الإسكافي، وحياة مُجَدُّ لِهَيْكَل (الطبعة الأولى) ص ٢٨٦. ومسنَد أحمد ج ١ ص ١٥٩ وكفاية الطالب ص ٢٠٥ عن الثعلبي، ومنهاج السنة ج ٤ ص ٨٠ عن البغوي، وابن أبي حاتم، والواحدي، والثعلبي، وابن جرير، وفرائد السمطين (بتحقيق المحمدي) ج ١ ص ٨٦ وإثبات الوصية للمسعودي ص ١١٥ و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٦٠ و ٤٥٩. والغدير ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٨٤ عن بعض من ذكرنا، وعن: أنباء نجباء الأبناء ص ٤٦ و ٤٧ وشرح الشفاء للخفاجي ج ٣ ص ٣٧. وراجع أيضاً: تفسير الخازن ص ٣٩٠ وكتاب سليم بن قيس، وخصائص النسائي ص ٨٦ الحديث ٦٣، وبحار الأنوار ج ٣٨ والدر المنثور ج ٥ ص ٩٧ عن مصادر كنز العمال، لكنه حُرف فيه، ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٢ عن عدد من الحفاظ وأسقط بعضه أيضاً، ونبابيع المودة ص ١٠٥ وغاية المرام ص ٣٢٠ وابن بطريق في العمدة، وتفسير الثعالبي، وتفسير الطبري ج ١٩ ص ٧٥ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ = وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٣٥٠ و ٣٥١ ومناقب أهل البيت "عليهم السلام" للشيرازي ص ١٠٧ والتفسير الصافي ج ٤ ص ٥٣ والعثمانية للجاحظ ص ٣٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٤٢٧ و ج ٣٠ ص ٨٠.

تعصب يؤدي لاختزال النص:

وقد ذكر الطبري هذا الحديث في تاريخه على النحو المتقدم.. لكنه اختزل النص في تفسيره جامع البيان: فإنه بعد أن ذكره حرفياً متناً وسنداً غير فيه عبارة واحدة فقال: "فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، وكذا.. وكذا..".
إلى أن قال: "ثم قال: إن هذا أخي، وكذا وكذا".
فاستبدل كلمة: "ووصيي وخليفتي فيكم" بكلمة: "وكذا.. وكذا"^(١).
كما أن ابن كثير الذي ينقل عادة نصوص الطبري من تاريخه وعدل في خصوص هذا المورد إلى تفسير الطبري، وأخذ هذا النص منه، واكتفى بكلمة كذا.. وكذا.. عن النص الحقيقي الصادر عن رسول الله (ﷺ) فراجع^(٢).

-
- ١- جامع البيان ج ١٩ ص ٧٥ وراجع: الغدير ج ١ ص ٢٠٦ وج ٢ ص ٢٨٧ والمناشدة والإحتجاج بحديث الغدير ص ٨٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٦٦ و ٣٨٣ وج ٢٠ ص ١٢٢.
 - ٢- تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٣٥١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٥٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٥٩.

جرى الخلف على خطى السلف:

وقد جرى الخلف على خطى السلف، ولكن بصورة أشبع وأشنع، فإن مُجّد حسين هيكّل ذكر هذا الحديث أيضاً في كتابه حياة مُجّد (الطبعة الأولى) ص ١٠٤ وفق نص الطبري في تاريخه.

لكنه في الطبعة الثانية لكتابه هذا نفسه، المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ. ذكر هذا الحديث عينه في ص ١٣٩، إلا أنه حذف كلمة: "وخليفتي فيكم" واقتصر على قوله: "ويكون أخي ووصيي". وذلك لقاء خمس مئة جنيه مصري، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه^(١) كما قيل. سند حديث الإنذار:

وقد جرى ابن تيمية على عاداته في إنكار فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فزعم أن في سند رواية الطبري أبا مريم الكوفي، وهو مجمع على تركه. وقال أحمد: ليس بثقة. واتهمه ابن المديني بوضع الحديث^(٢). ونقول:

إن هذا الكلام مردود:

-
- ١ - راجع: فلسفة التوحيد والولاية للشيخ مُجّد جواد مغنية ص ١٧٩ و ١٣٢ وسيرة المصطفى ص ١٣١ و ١٣٠.
 - ٢ - منهاج السنة ج ٤ ص ٨١ و ٨٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣١ و ٣٦٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤٦١.

ألف: بالنسبة لأبي مريم نقول:

أولاً: إن من يراجع كتب الجرح والتعديل عند أهل السنة يرى أن أحداً من رجال الأسانيد الذي يروي عنهم البخاري ومسلم، وغيرهما من أصحاب الصحاح والمسانيد. لم يسلم من الجرح والقدر، باستثناء الشاذ النادر الذي قد لا يصل إلى واحد بالمتعة.. فلو أخذنا بقاعدة ابن تيمية، وهي ترك رواية كل من ورد فيه قدح لم تسلم لنا رواية واحدة من ذلك، سوى المتواترات. وهي قليلة جداً، لا تؤسس لفقه، ولا لدين.. فكيف إذا كنا نرى ابن تيمية يطعن حتى في المتواترات نفسها..

ثانياً: بالنسبة لأبي مريم نقول:

قال ابن عدي: سمعت ابن عقدة يثني على أبي مريم ويطريه، وتجاوز الحد في مدحه^(١).

وقال عنه الذهبي: كان ذا اعتناء بالعلم وبالرجال^(٢).

ثالثاً: قد صرحوا بسبب تضعيفهم لأبي مريم، وهو كونه شيعياً. وهي تهمة لا تضر، فقد روى أصحاب الصحاح ولا سيما البخاري ومسلم عن عشرات الشيعة، وقد أورد في المراجعات قائمة طويلة بأسماء عدد منهم،

١ - لسان الميزان ج ٤ ص ٤٢ و ٤٣ والغدير ج ٢ ص ٢٨٠ والغارات للنقفي ج ٢ ص ٦٧٣ والكامل لابن عدي ج ٥ ص ٣٢٧ وتعجيل المنفعة ص ٢٦٣

٢ - ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٦٣١ و ٦٤٠ ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.

فراجع^(١).

رابعاً: قد صحح حديث إنذار العشيرة المتقي الهندي^(٢)، والإسكافي المعتزلي^(٣)، والخفاجي في شرح الشفاء^(٤).

ورواه أحمد بسندٍ جميع رجاله من رجال الصحاح بلا كلام، وهم: شريك، والأعمش، والمنهال، وعباد، وعلي (عليه السلام)^(٥).

خامساً: لو سلمنا أن ثمة جرحاً في بعض رجال سند بعينه فنقول:

إن طرق هذا الحديث مستفيضة، يقوي بعضها بعضاً..

ب: بالنسبة للطعن في رواية ابن أبي حاتم باشمال سندها على عبد الله بن عبد القدوس، الذي ضعفه الدار قطني^(٦).

١- راجع: المراجعات (ط سنة ١٤٢٦ هـ) من ص ١٣٧ حتى ص ٢٣٣.

٢- كنز العمال (ط الهند) ج ١٥ ص ١١٣.

٣- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤ ومناقب أهل البيت "عليهم السلام" للشيرازي ص ١٠٧ والعثمانية للجاحظ ص ٣٠٣ ونظرة في كتاب البداية والنهاية ص ٧٠.

٤- راجع: الغدير ج ٢ ص ٢٨٠.

٥- مسند أحمد ج ١ ص ١١١ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٣٦٣ وراجع: الغدير ج ٢ ص ٢٨٠.

٦- ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٥٧ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٦٥.

وقال النسائي: ليس بثقة^(١).

وقال ابن معين: ليس بشيء، رافضي خبيث^(٢).

نقول:

قال الشيخ المظفر " رحمه الله ": "تضعيفهم معارض بما في تقريب ابن حجر: بأنه صدوق.

وفي تهذيب التهذيب: قال محمد بن عيسى، ثقة.

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال البخاري: هو في الأصل صدوق، إلا أنه يروي عن أقوام ضعاف، مع أنه أيضاً من رجال سنن الترمذي..

ومدح هؤلاء مقدم، لعدم العبرة في قدح أحد المتخالفين في الدين في

١- كتاب الضعفاء والمتروكين ص ١٩٩ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٥٧. وراجع: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ٢٠٥ وتهذيب الكمال ج ١٥ ص ٢٤٤ وتاريخ

الإسلام للذهبي ج ١٢ ص ٢١٩ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٦٥.

٢- الكامل ج ٤ ص ١٩٧ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٥٧ وراجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ١٢٠ وج ٢ ص ١٦١ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ٢٠٥ وتهذيب الكمال

ج ١٥ ص ٢٤٣ وضعفاء العقيلي ج ٢ ص ٢٧٩ والجرح والتعديل للرازي ج ٥ ص ١٠٤ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة ج ١ ص ٥٧٠ وتهذيب التهذيب

ج ٥ ص ٢٦٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١٢ ص ٢١٨ وج ١٣ ص ٢٥٧.

الآخر، ويقبل مدحه فيه. وهم قذفوه بذلك، لأنهم رموه بالشييع، ولا نعرفه من رجالهم.

ولكن قد ذكر ابن عدي: أن عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت^(١)، ولعل هذا هو سر تهمتهم له^(٢).

بنو عبد المطلب أقل من أربعين:

وادعى ابن تيمية: أن بني عبد المطلب لم يكونوا أنفذ أربعين رجلاً، كما نصت عليه الرواية، وهذا دليل آخر على سقوطها عن الإعتبار^(٣).

ونقول:

أولاً: إذا كان لعبد المطلب عشرة أولاد، فإن لأولاده أولاداً، فلماذا لا يكون أولادهم ثلاثين رجلاً أيضاً، فقد كان لأبي طالب وحده أربعة، ولعل لغيره منهم أكثر من أربعة.. لا سيما وأن اصغر أولاد عبد المطلب هو أبو النبي (ﷺ)، الذي لو كان حياً أنفذ لكان عمره أكثر من ستين عاماً، لأن النبي (ﷺ) نفسه كان عمره أنفذ ثلاثاً وأربعين سنة..

-
- ١- راجع: ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٤٥٧ وتهديب الكمال ج ١٥ ص ٢٤٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١٢ ص ٢١٩ وتهديب التهذيب ج ٥ ص ٢٦٥.
 - ٢- دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٤.
 - وراجع: ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٤٥٧ وتهديب الكمال ج ١٥ ص ٢٤٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١٢ ص ٢١٩ وتهديب التهذيب ج ٥ ص ٢٦٥.
 - ٣- منهاج السنة ج ٤ ص ٨١-٨٤.

ثانياً: إن الظاهر هو: أن كلمة "عبد" زيادة من الرواة، أو أن في الرواية حذفاً، فقد صرحت بعض النصوص: بأنه (ﷺ) دعا بني عبد المطلب، ونفراً من بني المطلب^(١)، كما أنه ثمة عدداً آخر من الروايات يقول: بأنه دعا بني هاشم^(٢).

يأكل الجذعة ويشرب الفرق:

ومن الأمور التي توقف عندها ابن تيمية قول الرواية عن أولئك

١- الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٦١.

٢- راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٥٩ عن ابن أبي حاتم، وكذا في البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٥٣ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٨٥ و ج ٨ ص ٣٠٢ وفتح الباري ج ٨ ص ٣٨٥ وتحفة الأحوذى ج ٦ ص ٤٩٣ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٢٨٤ و ج ٤ ص ٣٨٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ٢٢٥. وراجع: تفسير القرآن للصنعاني ج ٣ ص ٧٧ وجامع البيان ج ١٩ ص ١٥٠ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٩ ص ٢٨٢٦ والدر المنثور ج ٥ ص ٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٧ وروضة الواعظين ص ٥٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ١ ص ٣٧٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٠٥ وحلية الأبرار ج ١ ص ٧٠ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ١٨١ و ج ٣٥ ص ١٤٤ و ج ٣٨ ص ٢٢١ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٢٤ ونور الثقلين ج ٤ ص ٦٦ وتفسير الميزان ج ١٥ ص ٣٣٤.

المجتمعين: إن الرجل منهم ليأكل الجذعة، ويشرب الفُرق^(١) من اللبن.
وقال: إنه كذب، إذ ليس في بني هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعاً، ويشرب فرقاً^(٢).
ونقول:

قال بعض العلماء في جوابه:

أولاً: إن عدم معرفيتهم بالأكل لا تدل على كونهم كذلك، فلعلمهم كذلك في الواقع.

ثانياً: لو سلم، فإنه يلزم منه مبالغة الراوي في إظهار معجزة النبي (ﷺ) في إطعامهم رجل الشاة، وعسّ اللبن الواحد^(٣).

ثالثاً: إن القضايا التاريخية إنما تثبت بمثل هذا النقل، فليكن وصف علي (عليه السلام) لهم بذلك من الدلائل على أنهم كانوا كذلك. فإن هناك الكثير من الأمور الموثقة في النصوص، لم يتنبه المؤلفون والمصنفون لدلالاتها التاريخية إلا في وقت متأخر، وقد يكون الكثير منها لا يزال على إجماعه وغموضه إلى يومنا هذا..

١ - الفرق: إناء يكتال به.

٢ - منهاج السنة ج ٤ ص ٨١ - ٨٤.

٣ - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٥.

إجابة علي (عليه السلام) لا تجعله ولياً:

وذكر ابن تيمية أيضاً: أن مجرد الإجابة للمعاونة، لا يوجب أن يكون المجيب وصياً ولا خليفة بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإن جميع المؤمنين اجابوا إلى الإسلام، وأعانوا، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيله.

كما أنه لو أجابه الأربعة، أو جماعة منهم، فهل يمكن أن يكون الكل خليفة له؟! (١).

ونجيب:

أولاً: قال الشيخ المظفر: "إن قوله . أي قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . هذا ليس علة تامة للخلافة، ولم يدع ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته. بل أمره الله بإنذار عشيرته، لأنهم أولى بالدفع عنه ونصره، فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم، وليعلم من أول الأمر أن هذه المنزلة لعلي (عليه السلام) ، لأن الله ورسوله يعلمان: أنه لا يجيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يؤازره غير علي (عليه السلام) . فكان ذلك من باب تثبيت إمامته بإقامة الحججة عليهم. ومع فرض تعدد المحبين يعين الرسول الأحق بها منهم" (٢).

ويوضح هذا الأمر، ما ورد من أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له أخاً، ووزيراً، ووصياً، ووارثاً من أهله. وقد

١ - منهاج السنة ج ٤ ص ٨١-٨٣.

٢ - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٦.

جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء من قبلي .

إلى أن قال: "وقد . والله . أنبأني به، وسماه لي . ولكن أمرني أن أدعوكم، وأنصح لكم، وأعرض عليكم، لئلا تكون لكم الحجة فيما بعد.." (١) .

فقد دل هذا النص: على أنه (ﷺ) كان يعرف أنهم سوف لا يجيبونه، باستثناء علي (عليه السلام) .

ثانياً: إن ظاهر قوله (ﷺ): أيكم يؤازرني الخ.. أن الخطاب كان لواحد منهم على سبيل البدل، فالذي يجيب منهم أولاً يكون هو الوصي والولي. وتقارن إجابة اثنين أو أكثر بعيد الحصول..

ولو أجابه أكثر من واحد.. فإنه سوف يكل أمر التعيين إلى ما بعد ظهور المؤازرة، فمن كانت مؤازرته أتم وأعظم، وأوفق بمقاصد الشريعة، وظهر أنه الأقوى والأليق بالمقام، فإنه سيختاره دون غيره..

ثالثاً: ليس المطلوب هو المؤازرة له في الجملة ليقال: إن سائر المسلمين قد آزره في الجملة. بل المراد المؤازرة التامة في كل موطن وموقف، مثل النوم على فراشه (ﷺ) ليلة الهجرة، وقلع باب خيبر، وقتل صناديد العرب، وما إلى ذلك.. ولم يحصل ذلك إلا من أمير المؤمنين (عليه السلام) .

١ - بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢١٥ و ٢١٦ وسعد السعود ص ١٠٦ .

أين حمزة وجعفر؟!:

وذكر ابن تيمية أيضاً: أن حمزة وجعفر، وعبيدة بن الحارث قد اجابوا إلى ما أجاب إليه علي (عليه السلام) . بل لقد أسلم حمزة قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلاً^(١). فحصلت المؤازرة منهم، فلماذا لم يستحقوا مقام الخلافة بعدها..

ونجيب:

ألف: بالنسبة لحمزة "رضوان الله تعالى عليه"، نقول:

أولاً: لا دليل أن حمزة قد أسلم قبل حديث إنذار العشيرة الأقرين.. بل إن صريح حديث إسلامه: أنه أعلنه بعد اشتداد الأمر بين النبي (صلى الله عليه وآله) وبين قريش، لأجل سب أبي جهل للنبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك إنما كان بعد إنذار العشيرة. وإن ادَّعوا أنه أسلم في السنة الثانية من البعثة^(٢).

فلعل المقصود: هو السنة الثانية بعد ما يسمونه الإعلان بالدعوة، أي بعد خروجه (صلى الله عليه وآله) من دار الأرقم.

١ - منهاج السنة ج ٤ ص ٨٢ و ٨٣.

٢ - الإصابة ج ٢ ص ١٠٥ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٥٤ و (ط دار الكتاب العربي) ج ٢ ص ٤٢ والوافي بالوفيات ج ١٣ ص ١٠٤ وذخائر العقبى ص ١٧٤ وشرح مسند أبي حنيفة ص ١٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٩٠ وتنقيح المقال ج ٢٤ ص ٢٣٣ والإكمال في أسماء الرجال ص ٤١ والدرجات الرفيعة ص ٦٤.

ثانياً: إن وجود حمزة في حديث إنذار العشيرة مسلماً، لا يضر، إذ هو كأبي طالب (عليه السلام) ، إذ من القريب جداً أن يكون قد اعتبر نفسه غير مقصود بخطاب النبي (صلى الله عليه وآله) ، فإنه يرى أن بقاءه حياً إلى ما بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) أبعد احتمالاً، لأنه كما يظهر لنا كان أكبر من النبي (صلى الله عليه وآله) بحوالي عشرين سنة، بدليل: أنه كان أكبر من عبد الله والد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، الذي كان أصغر أولاد عبد المطلب.

بل قد يكون حمزة لا يرى في نفسه القدرة على المؤازرة التامة، من جهات باطنية ترتبط بإدراكه حجم التحديات، وعظمة المسؤوليات وبغير ذلك من أمور قد يرجع بعضها إلى ما يراه من تقدم علي (عليه السلام) فيها عليه..
ب: بالنسبة لأبي طالب نقول:

أولاً: إنه كان شيخاً هرمًا، لا يكاد يحتمل البقاء إلى ما بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ثانياً: إن المطلوب هو: أن يبقى إسلام أبي طالب غير ظاهر إلى هذا الحد..

ثالثاً: إن احتمال أن يتمكن من مؤازرة النبي (صلى الله عليه وآله) بمستوى مؤازرة غيره وفي جميع المجالات، حتى في مجالات الجهاد والتضحية وفي سائر الشؤون غير ظاهر، بل هو كان يرى نفسه عاجزاً عن ذلك بسبب ضعف قواه وتقدمه في السن، ولعله يتقدم ولده علي (عليه السلام)

في مزايا أخرى..

ج: بالنسبة لعبيدة بن الحارث بن المطلب، نقول:

فأولاً: هو أسن من النبي (ﷺ) بعشر سنين^(١).

ثانياً: لا ندري إن كان عبيدة قد أسلم قبل حديث إنذار العشيرة أو تأخر عنه، لأنهم يقولون: إنه أسلم قبل دخول النبي (ﷺ)

دار الأرقم^(٢). وإنما كان ذلك في آخر السنة الثالثة من البعثة. فيكون أصل حضوره . مسلماً . في قضية إنذار العشيرة غير معلوم..

-
- ١- أسد الغابة ج ٣ ص ٣٥٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٥٦ وقاموس الرجال (ط طهران سنة ١٣٨٤ هـ) ج ٦ ص ٢٣٣ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٤٤٤ و (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٠٢٠ وتنقيح المقال (ط حجرية) ج ٢ ص ٢٤٢ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٨٧ و ١٢٤ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٥ ص ١٩٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٠١ وإمتاع الأسماع ج ٦ ص ١٦٩.
- ٢- قاموس الرجال (ط طهران سنة ١٣٨٤ هـ) ج ٦ ص ٢٣٣ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٤٤٤ و (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٠٢٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥١ و ٣٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٤٤٤ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٥٦ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٥ وتنقيح المقال (ط حجرية) ج ٢ ص ٢٤٢ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٨٧ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٧ والإصابة ج ٣ ص ٤٧٥ والأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٩٨ وإمتاع الأسماع ج ٦ ص ١٦٩.

د: بالنسبة لجعفر بن أبي طالب .. نقول:

إن الأمر أيضاً كذلك، فقد أسلم بعد أخيه علي (عليه السلام) ، وذلك حين أمره أبوه بأن يصل جناح ابن عمه في الصلاة، إضافة إلى خديجة وعلي (عليه السلام) (١). ولم يعلم تاريخ حصول ذلك، فلعله تأخر إلى ما بعد

١- قاموس الرجال (ط طهران سنة ١٣٨٤ هـ) ج ٢ ص ٣٦٧ و ٣٦٩ والأوائل للعسكري ص ٧٥ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ وأسنى المطالب ص ١٠ و ١٧ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٩ و (ط دار المعرفة) ج ١ ص ٤٣٤ و ٤٣٦ والإصابة ج ٤ ص ١١٦ وكنز الفوائد للكراچكي ج ١ ص ١٨١ و (ط مكتبة المصطفوي . قم) ص ١٢٤ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج ٣ ص ٥٤٩ وروضة الواعظين ج ١ ص ١٤٠ و (منشورات الشريف الرضي . قم) ص ٨٦ و ١٣٩ و ١٤٠ والأماشي للصدوق ص ٥٩٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٨ ص ٢٨٨ و (ط دار الإسلامية) ج ٥ ص ٣٧٣ ومستدرك الوسائل ج ٦ ص ٤٥٥ والفصول المختارة ص ١٧١ و ٢٨٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٠١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٤٩٣ وحلية الأبرار ج ١ ص ٦٩ وبحار الأنوار ج ١٠ ص ٣٨٠ و ج ١٨ ص ٥٣ و ١٧٩ و ج ٢٢ ص ٢٧٢ و ج ٣٥ ص ٦٠ و ٨٠ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٧٤ و ج ٨٥ ص ٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٦ ص ٤٠٦ و ٤٦٣ والغدير ج ٧ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٩٤ و ٣٩٦ و ٣٩٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٣٢٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٢ وتفسير القمي ج ١ ص ٣٧٨ ونور الثقلين ج ٣ ص ٣٢ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٣٣ والبحر = المحيط ج ٨ ص ٤٨٩ وتفسير الألوسي ج ٣٠ ص ١٨٣ والدرجات الرفيعة ص ٦٩ والعثمانية للجاحظ ص ٣١٥ وإعلام الوري ج ١ ص ١٠٣ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣١٦ والدر النظيم ص ١٣٤ وكشف الغمة ج ١ ص ٨٧ ونهج الإيمان ص ٣٧٦ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص ٢٤٨ و ٢٥٠ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٣٦ و ٣٧ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٥٥٥.

حديث إنذار العشيرة وقبيل إسلام أبي ذر، الذي كان رابعاً أو خامساً في الإسلام.. وأبوذر إنما أسلم بعد اشتداد الأمر بين النبي (ﷺ) وبين المشركين حسبما تقدم..

ولا شيء يثبت لنا: أن إسلام الناس قد تواصل بعد علي وخديجة (عليهما السلام)، فلعله توقف لسنوات، ثلاث أو أكثر، ثم أسلم جعفر بأمر أبيه، ثم أسلم أبو ذر..

ويؤيد ذلك ما تقدم: من أن النبي (ﷺ) مكث ما شاء الله يصلي مع علي (عليه السلام) قبل أن يعثر عليهما أبو طالب. ويؤيده أيضاً: أن تقدم إسلام علي وخديجة (عليهما السلام) كان من البدايات لدى الكبير والصغير.. فلولا أنه قد مر عليهما وقت تأكد فيه للناس انحصار الإسلام بهما، لم يصل الأمر في تقدم إسلامهما إلى هذه البداهة والوضوح.. ولعل تأخر إسلام جعفر هذه المدة هو الذي أفسح المجال للدعاوى

الباطلة التي تقول: إنه أسلم بعد خمسة وعشرين، أو واحدٍ وثلاثين رجلاً^(١).

خليفتي في أهلي:

قد ذكرت بعض روايات إنذار العشيرة: أنه (ﷺ) ، قال: أخي ووصيي، وخليفتي في أهلي..

وفي بعضها قال: وخليفتي فيكم.

وفي بعضها قال: وخليفتي من بعدي.

ويجب ألا نستوحش من اختلاف التعابير المنقولة، فإنها تشير إلى أن ثمة من يرغب في التخفيف من وقع الحدث، وتلافي قسط كبير من الإحراج بسببه.

ولكن التأمل في هذه النصوص يعطي أن هذا التصرف فيها ليس له تأثير في تحقيق الغرض الذي توخّوه منها.. لأنه (ﷺ) ، قد ذكر وصفين هما الوصاية والخلافة.. مما يعني أن المقصود بالخلافة معنى

١- الإصابة ج ١ ص ٢٣٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٥٩٢ وراجع: قاموس الرجال (ط طهران سنة ١٣٨٤ هـ) ج ٢ ص ٣٦٧ و ٣٦٩ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ وأعيان الشيعة ج ٤ ص ١١٩. وراجع: مستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٦٥ ومستدرکات علم رجال الحديث ج ٢ ص ١٣١ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٦.

آخر غير معنى الوصاية.. وأن موارد إعمال الخلافة وتأثيرها العملي يختلف عن مورد الوصاية..
فإن كان المقصود بالخلافة في الأهل هو التكليف برعايتهم وحفظهم، والإهتمام بشأنهم فنقول:
إذا رجعنا إلى الواقع الموضوعي، نجد أنه حين إنذار العشيرة لم يكن للنبي أولاد.. أما حين موته، فقد خلف بنتاً وزوجات..
فإن كان (ﷺ) قد تحدث عن يوم وفاته، لتوقعه ولادة الأولاد له، أو لعلمه بواسطة الوحي بولادة فاطمة (عليها السلام) وقد قصدها
بالفعل هي وزوجاته.. فإننا نقول:
قد كان لفاطمة حين وفاة أبيها زوج يقوم بشؤونها، ويهتم بأمرها.. أما الزوجات فلا يحتجن إلى وصي ولا إلى ولي يلي أمرهن..
ولم تكن مثل هذه الولاية على الزوجة والبنت محط نظر النبي (ﷺ)، قبل عشرين سنة من وفاته.. ولم يكن حفظ البنت وحفظ
الزوجات يحتاج إلى جمع العشيرة كلها للنظر في ذلك..
كما أنه لم يجر تقليد بين الناس بتنصيب ولي أو جعل وصي على البنت الكبيرة الرشيدة المتزوجة، وكذلك الحال بالنسبة للزوجات
الكبيرات الراشدات، اللواتي لهن أهل، وعشائر..
ومن جهة أخرى: لا ربط بين المعاونة على الدين والمؤازرة عليه، وبين المكافأة بجعل ذلك الشخص المعين مسؤولاً عن رعاية البنت
والزوجة لذلك النبي.. فإن هذا لا يعد مكافأة لذاك..

على أن منصب الوصي يكفي في حفظ ورعاية الأهل، فلا حاجة إلى منصب الولاية..
فذلك كله يدلنا على أن المقصود بالولاية في الأهل معنى الأمانة والسلطة عليهم، كما أن المقصود بالأهل ليس البنت والزوجة وحسب،
إذ أن حاجتهن للإمارة والسلطنة لا تصل إلى حد عقد اجتماع للعشيرة الأقربين قبل عشرين سنة من الوفاة.. ثم مقايضة المعاونة على
الدين التي تحتاج إلى بذل أنفوس وأموال، والتعرض لأعظم البلايا والرزايا . مقايضتها . بالسلطنة على البنت والزوجة!! فإنها مقايضة
مضحكة، ومن موجبات الإستخفاف بمن يطلبها..
كما أن ذلك لا يمكن أن يبرر نزول آية إنذار العشيرة الأقربين، فإن هذا لا ربط له بالإنذار. إذ لا معنى لأن يأمره الله بإنذار العشيرة،
ثم يكون المطلوب الحقيقي هو جعل الراعي لشؤون البنت والزوجة..
والنتيجة هي: أنه لا بد أن يكون المقصود بالأهل هو العشيرة كلها.. ويؤكد ذلك رواية: "خليفتي فيكم".
ونحن نعلم: أن الإجماع قائم على أنه لا يجوز أن يوجد خليفتان خاص وعام، بل إن خلافته الخاصة تقتضي خلافته المطلقة.. فيدلنا
ذلك على أنه (ﷺ) قد أراد جعل الخليفة للناس كلهم من بعده..
ويكون قوله: "فيكم" خطاباً عاماً، أي فيكم أيها المسلمون، أو أيها الناس.. وهذا هو معنى عبارة "خليفتي من بعدي" أي خليفتي العام
عليكم من بعدي أيها الناس..

ويبقى أن نشير إلى عدم صحة القول بأن المقصود بالخليفة هو القائم بشؤونهم الدنيوية، فإن علياً (عليه السلام) لم يكن مسؤولاً عن الشؤون الدنيوية لأي من الهاشميين..

كما أنه لا يصح القول بأن المقصود هو الحسنان (عليهما السلام).. لأن الحسنين لم يكونا قد ولدا بعد، وكذلك أمهما. وقد قلنا: إن الحسنين لهما أب يقوم بشؤونهما، ويلي أمرهما..
العشيرة أولاً:

إن دعوة العشيرة الأقربين هو الأسلوب الأمثل لنشر الدعوة، وهو المسار الطبيعي لها في محيطها، ما دام أن دعوة الأقربين هي المتوافقة مع سنة الوفاء، التي تحقق الثبات والقوة، والطمأنينة والثقة في أكثر من اتجاه.

وهي على الأقل تمنحه الفرصة لاكتشاف مواضع القوة والضعف في المداميك الداخلية التأسيسية، ورصد مواضع القوة والصلابة فيها. ثم هي تعطيه المزيد من الوضوح في نشأة نسيج العلاقات الطبيعية، والإرتباطات المختلفة، فيقدر حركته ومواقفه، واقدامه واحجامه على أساس ذلك..

يضاف إلى ذلك: أن ذلك يظهر للناس كل الناس بالقول والفعل: أنه (صلى الله عليه وآله) يريد هذا الخير لأهله، ولعشيرته الأقربين، وأنه لا يتنازل عن أدنى شيء من ذلك حتى لأقرب الناس إليه، بل هو . لو كان الأمر على خلاف ذلك . سيتخذ منهم نفس الموقف الذي يتخذه من أي فريق آخر من الناس، وهذا يحتم على الناس كلهم أن يقتنعوا بأنه " (صلى الله عليه وآله) "

منسجم مع نفسه، وملتزم مع ما جاء به. ويريد لأحب الناس إليه أن يكونوا في طليعة المؤمنين بالله، وعلى رأس الدعاة إليه والمضحين بكل غال ونفيس في سبيل الله تعالى، وفي سبيل هذا الدين..

وهذا ما تنبه له نصارى نجران، حين أخرج (ﷺ)، علياً والزهراء والإمامين الحسن والحسين (عليهم السلام) لمباهلتهم.

ومن جهة أخرى، فإن النبي (ﷺ)، كان يعيش في مجتمع يقيم علاقاته على أساس عشائري قبلي.. فحين يريد أن يقدم على مواقف أساسية ومصيرية.. وحين لا يكون هو نفسه يرضى بالاعتماد على القبيلة كعنصر فعال في حماية موافقه، وتحقيق أهدافه؛ فإن من اللازم: أن يتخذ من ذوي قرياه موقفاً صريحاً، ويضعهم في الصورة الواضحة؛ وأن يهيب لهم الفرصة ليحددوا مسؤولياتهم، بحرية، وصراحة، وصدق، بعيداً عن أي ضغط وابتزاز، ولو كان هذا الضغط من قبيل العرف القبلي فيما بينهم؛ لأنه عرف مرفوض إسلامياً.

وهنا تبرز واقعية الإسلام في تعامله مع الأمور، وفي معالجته للقضايا، فإنه لا يرضى أن يستغل جهل الناس وبساطتهم، وحتى أعرفهم - الخاطفة - التي ارتضوها لأنفسهم في تحقيق أهدافه.

وذلك، لأن الإسلام يعتبر الوسيلة جزءاً من الهدف، فلا بد أن تنسجم وتتلاءم معه، كما لا بد أن تنال من الطهر والقداسة بالمقدار الذي يناله الهدف نفسه.

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام، والالتزام بتعاليمه؛ إنه خير

مأمول، وأكرم مسؤول.

وعلى كل حال، فقد خرج (ﷺ) من ذلك الاجتماع بوعدٍ أكيدٍ من شيخ الأبطح، أبي طالب (ﷺ) بالنصر والعون؛ فإنه لما رأى موقف أبي لهب اللانساني، واللامعقول، قال له:

"يا عورة، والله لننصرنه، ثم لنعيننه!!"

يا ابن أخي، إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا، حتى نخرج معك بالسلاح"^(١).

علي (ﷺ) في يوم الإنذار:

ونجد في يوم الإنذار: أن اختيار النبي (ﷺ) يقع على أمير المؤمنين (ﷺ)، ليكون المضيف لجماعة يناهز عددها الأربعين رجلاً، فيأمره بأن يصنع طعاماً، ويدعوهم إليه.

والظاهر: أن هذا الاجتماع قد حصل في البيت المخصص لسكنى علي (ﷺ) نفسه، وهو الذي استضاف به أبا ذر، ويظهر أنه اختص بهذا البيت، ليكون مقره الخاص به الذي لا يخرج خديجة في داخل بيت الزوجية.. وإن كان بالقرب منه.. وفي كنف رسول الله (ﷺ) باستمرار..

وعلى كل حال، فإن هذا الاجتماع إذ لو كان عند رسول الله "صلوات الله عليه وآله" في بيته فقد كان بإمكانه (ﷺ) أن يطلب

من

١ - تاريخ يعقوبي (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٧ و ٢٨.

خديجة أن تصنع هي الطعام لهم، هذا، مع وجود آخرين، أكثر وجاهة ومعروفية من علي (عليه السلام) .
كما أنه كان يمكنه أن يدعوهم إلى بيت أبي طالب، وجعفر، الذي كان يكبر علياً بعشر سنين.. بالإضافة إلى حمزة، وعبيدة بن الحارث، وغيرهما ممن يمكن أن يستفيد من نفوذه وشخصيته في التأثير على الحاضرين.
ولكنه (صلى الله عليه وآله) اختار علياً (عليه السلام) بالذات ليتفادى أي إحراج يبعد القضية عن مجالها الطبيعي، لأنه يريد منهم قراراً يرتكز على القناعة الفكرية والوجدانية بالدرجة الأولى.

وعلي (عليه السلام) وإن كان حينئذٍ صغير السن، إلا أنه كان في الواقع كبيراً في عقله، وفي فضائله وملكاته، كبيراً في روحه ونفسه، وفي آماله وأهدافه، ولا أدل على ذلك من كونه هو المحيَّب للرسول، دون كل من حضر، مظهراً استعداده لمؤازرته ومعاونته على هذا الأمر.
وقد رآه النبي (صلى الله عليه وآله) منذئذٍ، بل منذ ولد (عليه السلام) ، كما تقدم. أهلاً لأن يكون أخاه، ووصيه، وخليفته من بعده، وهي الدرجة التي قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل وحتى عن أن يدخل في وهم أي منهم: أن يصل ولو في يوم ما إليها، ويحصل عليها.
ولكن علياً (عليه السلام) قد اختاره الله سبحانه وتعالى وصياً وولياً، فكان مرعياً برعاية تعالى، محفوظاً بحفظه. وكان منذ نعومة أظفاره السباق إلى الفضائل والكمالات دون كل أحد؛ وقد اختاره الرسول (صلى الله عليه وآله) ليعيش في كنفه، وكان (صلى الله عليه وآله) كفيله ومربيه، وكان

يبرد

له الطعام، ويشمه عرفه، وكان هو يتبع الرسول اتباع الفصيل أثر أمه، وكان كأنه ولده. (..ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

سؤال يحتاج إلى جواب:

وقد يسأل أحدهم: عن أن حديث إنذار العشيرة قد يعد إجحافاً بحق الآخرين من غير العشيرة، ومن غير الأقربين. الذين يطلب حضورهم.

ونجيب:

أولاً: إن الله تعالى قد أخبر نبيه بأن وصيه من أهله، فأراد أن يعلمهم بهذا الأمر تمهيداً لإعلام سائر الناس به.

ثانياً: إن النبوة والإمامة منصبان إلهيان، أي أن الله هو الذي يختار لهما من هو أهل لهما.. ولا يرجع الأمر إلى البشر. وإذا كان الأقربون هم الذين يفترض أن يكونوا صفوة الناس، وخير الناس، فإن عرض الأمر عليهم، وظهور تقصيرهم عن هذا الأمر يكفي لإظهار حقيقة سائر الناس..

سؤال آخر وجوابه:

وقد يسأل سائل آخر؛ فيقول: كيف يمكن أن يقول النبي (ﷺ) لبني عامر بن صعصعة، ولعامر بن الطفيل: الأمر لله يضعه حيث يشاء، والحال أن الأمر محسوم في هذه القضية من حين ما أنذر عشيرته الأقربين؟! وجوابه واضح: فإن هذه الإجابة منسجمة كل الإنسجام مع حديث إنذار العشيرة، لأن الأمر لله يضعه حيث يشاء في كل زمان..

ماذا قال النبي (ﷺ) يوم الإنذار؟!:

وقد جاء في بعض النصوص: أنه (ﷺ) قال لهم في تلك المناسبة:

"يا بني عبد المطلب، إني لكم نذير من الله جل وعز، إني أتيتكم بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا، وتفلحوا، وتنجحوا..

إن هذه مائدة أمرني الله بها؛ فصنعناها لكم، كما صنع عيسى بن مريم (ﷺ) لقومه؛ فمن كفر بعد ذلك منكم، فإن الله يعذبه عذاباً شديداً، لا يعذبه أحداً من العالمين..

واتقوا الله، واسمعوا ما أقول لكم، واعلموا يا بني عبد المطلب: أن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له أخاً، ووزيراً، ووصياً، ووارثاً من أهله. وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء من قبلي، وإن الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل علي: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ^(١)، ورهطك المخلصين ^(٢)، وقد - والله - أنبأني به، وسماه لي.

ولكن أدعوكم، وأنصح لكم، وأعرض عليكم؛ لئلا يكون لكم الحجة فيما بعد، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي، فأياكم يسبق إليها على أن يؤاخيني في الله، ويؤازرني؟!..

١ - الآية ٢١٤ من سورة الشعراء.

٢ - هذا توضيح منه (ﷺ) وتفسير للمراد من الآية.

إلى آخر كلامه (صلى الله عليه وآله)، الذي ينسجم مع النص الذي ذكرناه في أوائل هذا الفصل فراجعه^(١) وهذا النص هو الأوفق والأنسب لموقف كهذا، وهو ينسجم تماماً مع أمر الآية بالإنذار، فإن الإنذار أولاً هو الخطوة الطبيعية لأية دعوة، إذ لا بد من الخروج من المواقع الخطرة أولاً، ثم يأتي التبشير الذي يكون العمل هو المعيار فيه، حيث تعطى الجوائز، وتنال الدرجات على أساسه، ومن خلاله..

ولا بد من لفت النظر هنا إلى أن قوله: "ورحمتك منهم المخلصين" .. ليس من الآية المباركة، بل هي زيادة نبوية توضيحية من أهلي:

تقدم قوله (ﷺ): إن الله لم يبعث رسولاً حتى جعل له وزيراً من أهله، تماماً كما قال موسى (عاشقاً): (وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي)^(٢).

وهذا التعبير قد يكون هو الأساس في قولهم: إنه (ﷺ) قال: "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي في أهلي" .. فالظاهر: أن الصحيح هو أنه قال: خليفتي من أهلي، ثم صحفت أو

١ - بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢١٥ و ٢١٦ عن سعد السعود لابن طاووس ص ١٠٦.

٢ - الآية ٣٤ من سورة طه.

غيرت كلمة "من" فصارت "في" لحاجة في النفس قضيت.

التبشير والإنذار:

ويقول العلامة المرحوم الشيخ مرتضى المطهري: إن من يريد إقناع إنسان ما بعمل ما، فله طريقان:

أحدهما: التبشير، بمعنى تشويقه إلى أمر بعينه، وبيان فوائد ذلك الأمر.

الثاني: إنذاره ببيان ما يترتب على تركه من مضار، وعواقب سيئة.

ولذلك قيل: الإنذار سائق، والتبشير قائد.

والقرآن والإسلام يريان: أن الإنسان يحتاج إلى هذين العنصرين معاً، وليس - كغيره - يكفيه أحدهما.

بل ويرى الإسلام: أنه لا بد أن ترجح كفة التبشير على كفة الإنذار.

ولذلك قدم الأول على الثاني في أكثر الآيات القرآنية.

ومن هنا، فقد قال (ﷺ) لمعاذ بن جبل، حين أرسله إلى اليمن: "يسّر ولا تعسر، وبشّر ولا تنفّر"، فهو (ﷺ) بكلمته هذه

لم يستبعد الإنذار، بل هو جزء من خطته، وإنما اهتم بجانب التبشير، إذ يمكن بواسطته إدراك مزايا الإسلام وخصائصه الرائعة، وليكون

إسلامهم من ثم عن قناعة حقيقية، وقبول تام.

وأما قوله (ﷺ): "ولا تنفّر"، فهو واضح المأخذ، فإن روح هذا الإنسان شفافة جداً، وتبادر إلى ردة الفعل بسرعة، ومن هنا نجد النبي

" (ﷺ) "

يأمر بالعبادة ما دامت النفس مقبلة، ولا يأمر بالضغط عليها، وتحميلها ما لا تطيق، ولهذا شواهد كثيرة في الشريعة السهلة السمحاء^(١). هذا.. وقد اشتملت دعوته (ﷺ) لعشيرته على التبشير أيضاً؛ بأن من يؤازره سوف يكون خليفة بعده، وأنه قد جاءهم بخير الدنيا والآخرة، تماماً كما بدأت بالإنذار، وذلك ينسجم مع ما تشناق إليه نفوسهم، ويتلاءم مع رغباتهم، ويأتي من قبل من لا يمكن أن يكون لديهم موضع اتهام.

أخي ووصيي:

وقوله (ﷺ): على أن يكون أخي إلخ.. يؤكد لهم على مدى التلاحم والمحبة بينه وبين ذلك الذي يؤازره ويعاونه، إلى حد أنه يعتبره أخواً له، فليست العلاقة بينهما علاقة رئيس ومرؤوس، وأمر ومأمور، ولا عالٍ بدانٍ، وإنما هي علاقة بين متكافئين في الإنسانية، كما أنها علاقة تعاون وتعاضد على العمل البناء والمثمر، وعلاقة أخ مع أخيه، تفيض بالمحبة، والثقة والصفاء، بكل ما لهذه الكلمات من معنى. هذا بالإضافة إلى ما في ذلك من دلالة على المقام السامي الذي كان قد بلغه أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى استحق وسام الأخوة فيما بينه وبين سيد البشر، من مضي منهم، ومن غير.

١ - راجع: جريدة جمهوري إسلامي الفارسية رقم ٢٥٤ (سنة ١٣٥٩ هـ ش) في مقالات للمطهرى "حجة الله".

لا بد من إمام:

هذا.. وفي الإسلام نظم وسياسات، وجهاد وتضحيات، وفيه مواجهات لأصحاب الأهواء، ونظام عقوبات. وفيه التحدي للطواغيت، والتصدي للمجرمين والفساسدين والمفسدين..

وهذا معناه: أن الإسلام لا يهدف إلى مجرد تحقيق العدل والمساواة، بل هو يريد أن يتجاوز ذلك إلى تجسيد المعاني الإنسانية، وازدهار كنوز القيم والمثل العليا، والإرتفاع بهذا الإنسان إلى المستوى الذي يكون جديراً بحمل الأمانة الإلهية، ونيل منازل الكرامة والزلفى عنده، من خلال جهده وجهاده، وبذله وتضحياته، وإيثاره على النفس وبذل الأموال، والتضحية بالأنفس من أجل المبادئ والقيم، وفي سبيل الله والمستضعفين..

من أجل ذلك نقول:

إن مهمة الإسلام عسيرة وشاقة، حيث لا بد أن يهيئ الإنسان الفرد لمواجهة نفسه الأمارة، ويسيطر على غرائزه وشهواته، ويتحكم باندفاعاته وطموحاته، ويوجهها في سبل الخير والهدى، وذلك في سياق بناء شخصيته الإنسانية المثلى والفضلى..

وليصبح هذا الإنسان الصالح الأداة الفاعلة والمؤثرة في مجال تغيير البنى الإجتماعية على اختلافها إلى الأمثل والأفضل، سواء أكانت سياسية، أو اقتصادية، أو تربوية أو غيرها، ويقتلع منها كل جذور الشر، ويستأصل كل عوامل الإنحراف، وآثاره، ويستعيض عنها بمعاني الخير والصالح والفلاح..

وقد جهز الله الإنسان بعوامل داخلية، وهياً له أخرى خارجية من شأنها لو استفاد منها أن تمكنه من تحقيق هذه الغايات، وينال تلك المقامات..

ولكن من الواضح: أن الحاجة إلى مكابدة هذا الجهد، ومعاناة هذا الجهاد تبقى قائمة ما دام هناك نفس أمارة، وما دام هناك شيطان يغوي، وهوى يردي..

ولأجل ذلك: سمى نبي الإسلام هذا بالجهاد الأكبر حين قال للمسلمين العائدين من حرب بدر: رجعتم من الجهاد الأصغر، وبقي عليكم الجهاد الأكبر..

فلما سئل عن معنى ذلك أخبرهم: أن جهاد الإنسان مع نفسه وشهواته هو الجهاد الأكبر^(١).

وإذا كان هذا الصراع مستمراً ما دام هناك انسان على مدى الأزمان، وكان خطر الشذوذ والانحراف قائماً أيضاً.. فإن الحاجة إلى الهداية والهيمنة، واستمرار عملية التزكية والتربية، والتذكير بآيات الله وأيامه، وتعليم احكام الشريعة، وبيان حقائقها، واشاعة مفاهيمها، والعمل على

١ - راجع: بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٣٦٠ وتفسير السلمى ج ٢ ص ٢٨ ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٥٣٧ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٤ ص ٣٢٦ وتفسير الثعالبي ج ٤ ص ٣٠٤ والفتوحات المكية لابن عربي ج ١ ص ٥٦٤.

الزام الناس بها، والرقابة المستمرة، وأخذ الناس بذنوبهم ومخالفاتهم، إن الحاجة إلى ذلك تبقى قائمة أيضاً..
ومن هنا تبرز الحاجة إلى الوصي، والإمام، والحافظ للأمانة، والناصر والولي، والخليفة للرسول النبي (ﷺ)
فكان أن اختار الله تعالى علياً ولياً، وإماماً، ووصياً، ونصبه رسول الله (ﷺ) علماً، ورائداً وهادياً، واماماً وخليفة وقائداً..
ولعل أول تنصيب علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان في مناسبة إنذار النبي (ﷺ) عشيرته الأقربين.

الفصل الثالث: حتى شعب أبي طالب..

علي (عليه السلام) يقرأ ويكتب:

قد ذكروا: أن علياً (عليه السلام) كان من السبعة عشر رجلاً من قريش، الذين كانوا حين دخل الإسلام يعرفون القراءة والكتابة بالعربية^(١).

ولكن الالفت هنا أمور:

أحدها: أن البلاذري قد وصف هؤلاء العارفين بالقراءة والكتابة بأنهم رجال، مع أن عمر علي (عليه السلام) كان حين البعثة كما دلت عليه الروايات المعتبرة لا يزيد على عشر سنوات، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، إلا إن كان قد عده في جملة الرجال على سبيل التغليب.. الثاني: إنه عد فيهم من دلت الشواهد على أنه لم يكن يحسن القراءة، فضلاً عن الكتابة.. فإن عمر بن الخطاب مثلاً لم يكن. كما ورد في حديث اسلامه - يحسن القراءة^(٢).

١ - فتوح البلدان (ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة) ج ٣ ص ٥٨٠ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ١٠٢ وراجع: العقد الفريد ج ٤ ص ١٥٧.

٢ - راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم " صلى الله عليه وآله " (الطبعة الخامسة) ج ٣ ص ٣٠٧ و (الطبعة الرابعة) ج ٣ ص ١٧٧.

الثالث: إن أحداً لم يذكر لنا شيئاً عن الشخص الذي تعلم علي (عليه السلام) القراءة والكتابة عنده. ولو كان ثمة من يعرف شيئاً من ذلك لسارع إلى إظهاره، ليطالب علياً (عليه السلام): بأن يعترف بهذا الجميل، وأن ينوه به، وأن يذكره بين الفينة والفينة. والذي نراه هو أن الله سبحانه قد حبا هؤلاء الأصفياء من الأنبياء والأوصياء بالمنح والألطف، والكرامات بحيث أغناهم عن الجلوس بين يدي المعلمين والمؤدبين سواء في القراءة والكتابة أو في غيرها..

وإذا كانت السيدة زينب عالمة (غير معلمة) فما بالك بأخي رسول الله، وباب مدينة علمه، وخير الخلق بعده؟!
الخمسة في مكة لعلي (عليه السلام):

ذكرت نصوص المناشدة: أن علياً (عليه السلام) كان دون كل أحد يأخذ هو وفاطمة (عليهما السلام) الخمسة في مكة. فقد قال (عليه السلام) لأهل الشورى التي جعلها عمر وسيلة لإيصال عثمان إلى الخلافة: "نشدتكم بالله، أفيكم أحد كان يأخذ الخمسة مع النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يؤمن أحد من قرابته غيري، وغير فاطمة؟! قالوا: اللهم لا!"^(١).

١- ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ ابن عساکر (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٩٠ وراجع ص ٩٥ وفي هامش ص ٨٨ و ٨٩ مصادر كثيرة لحديث المناشدة، = وراجع: مناقب الخوارزمي ص ٢٢٥ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣١٥ وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٢٢. وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٣٢ و ٤٣٥ ونهج السعادة ج ١ ص ١٣١ و ١٣٩ وكنز العمال ج ٥ ص ٧٢٥ وبنابيع المودة ج ٢ ص ٣٤٤ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٧٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٠ و ج ١٥ ص ٦٨٥ و ج ٣١ ص ٣٢٤ وراجع: الأمالي للطوسي ص ٣٣٣ و ٦٦٧ وبشارة المصطفى ص ٢٤٣ والطرائف لابن طاووس ص ٤١٣ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٧٩ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه الأصفهاني ص ١٢٨ و ١٣١ والدر النظيم ص ٣٣١ وبناء المقالة الفاطمية ص ٤١٢ وغاية المرام ج ٥ ص ٧٨ و ج ٦ ص ٦ وسفينة النجاة للتنكابني ص ٣٦٢. وراجع أيضاً: الضعفاء الكبير ج ١ ص ٢١١ وليس فيه كلمة: "قبل أن يؤمن أحد من قرابته" واللائي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٢.

ولعلك تقول:

لماذا لم يعط حمزة أو جعفر من الخمس؟! فإنهما كانا مسلمين آنئذ؟!!

ونجيب: بما تقدم: من أن إسلام جعفر وحمزة قد تأخر عن مطلع البعثة إلى مدة طويلة، ربما إلى ما بعد انذار العشيرة الأقربين. وسيأتي بعض الحديث عن ذلك حين الكلام عن مناشدات أمير المؤمنين (عليه السلام) لأهل الشورى، فلعل الخمس كان يعطى لعلي (عليه السلام) قبل اسلام حمزة، وجعفر..

ولا يصح أن يجاب بأنه: لعل حمزة لم يكن بحاجة إلى الخمس، وكذلك

جعفر، على أنه قد ورد أن أبا طالب لم يكن بحاجة إلى المال آنئذٍ أيضاً، وقد كان هو ينفق على بني هاشم في الشعب. إلى جانب أموال خديجة، التي كان يستفاد منها في هذا المجال.. ويكون حمزة وجعفر غنيين بما كان يقدمه لهما أبو طالب، أو خديجة أو كانا غنيين بالاستقلال..

نعم، لا يصح هذا الجواب، فإن علياً (عليه السلام) يصرح بأنه قد أخذ هو وفاطمة الخمس قبل أن يسلم أحد من قرابة الرسول حتى جعفر "رضوان الله عليه".

وهذا دليل على تأخر إسلام جعفر وحمزة إلى ما بعد ولادة الزهراء (عليها السلام)، أي بعد البعثة بخمس سنين. إلا أن يقال: المراد أنه هو أخذ الخمس من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم لما ولدت فاطمة صارت هي الأخرى تأخذ من الخمس.

أما بالنسبة لمصدر هذا الخمس أن فيمكن أن يكون هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، أو من الركاز، أو غيرها. كما أن خديجة التي كانت تملك أموالاً طائلة، وقد أسلمت في أول البعثة، يمكن أن تكون قد خمست أموالها، واستفاد علي (عليه السلام) من هذا الخمس آنئذٍ.

الْقُضْم.. علي (عليه السلام) :

قال ابن الأثير في مادة قضم: "ومنه حديث علي (عليه السلام) : كانت

قريش إذا رأته قالت: احذروا الحطم، احذروا القضم، أي الذي يقضم الناس، فيهلكهم" (١).
وعن ابن عباس، قال: لما نكل المسلمون عن مقارعة طلحة العبدري، (أي الذي كان من بني عبد الدار)، تقدم إليه أمير المؤمنين
(عليه السلام) ، فقال طلحة: من أنت؟!
فحسر عن لثامه، فقال: أنا القضم، أنا علي بن أبي طالب.
زاد في نص آخر قوله حكاية عن طلحة: قد علمت يا قضم أنه لا يجسر علي أحد غيرك (٢).
وحين قال النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) في أحد: قدم الراية، تقدم (عليه السلام) وقال: أنا أبو القضم (ولعل الصحيح: أبو
القضم) (٣).

-
- ١- النهاية لابن الأثير (ط المطبعة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٩٣ و (ط مؤسسة إسماعيليان) ج ٤ ص ٧٨ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٦٧ عنه، ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٣٨ ولسان العرب ج ١٢ ص ٤٨٨.
 - ٢- بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٦٠ و ج ٢٠ ص ٥٠ عن تفسير القمي ج ١ ص ١٠٨-١١٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥٦-٥٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٠٥.
 - ٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧. وراجع: الغدير ج ٧ ص ٢٠٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٥٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٩ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ١١٩ وسبل الهدى = والرشاد ج ٤ ص ١٩٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ١٩ و ج ١٨ ص ٨٢ و ج ٢٣ ص ٥٥٢ و ج ٣٠ ص ١٤٩ و ١٥٠ و ج ٣٢ ص ٣٥٦.

وروي عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كنت أماشي عمر بن الخطاب، إذ سمعت همهمة، فقلت له: مه يا عمر!! فقال: ويحك، أما ترى الهزبر، القضم ابن القضم، والضارب بالبهم، الشديد على من طغا وبغا، بالسيفين والراية؟! فالتفت، فإذا هو علي بن أبي طالب^(١).

لماذا سمي بالقُضَم؟!

وأما السبب في تسميته (عليه السلام) بـ "القُضَم"، فقد رواه القمي "رحمه الله"، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن الصادق (عليه السلام): أنه سئل عن قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي (عليه السلام): يا قضم، قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، وأغروا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة

١- تفسير القمي ج ١ ص ١١٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٥٢ و ٥٣ و ج ٤١ ص ٧٣ وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٨٣ وحلقة الأبرار ج ٢ ص ٤٢٧ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣٧٠ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٨١.

والتراب .

وشكى ذلك إلى علي (عليه السلام) ، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، إذا خرجت فأخرجني معك .
فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فتعرض الصبيان لرسول اله (صلى الله عليه وسلم) كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان يقضمهم في وجوههم، وأنافهم، وأذائهم .

فكان الصبيان يرجعون باكين، ويقولون: قضمنا علي، قضمنا علي، فسمي لذلك القضم^(١) .

النبي (صلى الله عليه وسلم) يشكو لعلي (عليه السلام) لا إلى أبي طالب:

عرفنا: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) شكى ما يلقاه من صبيان المشركين إلى علي (عليه السلام) ، لا إلى أبي طالب، ولا إلى حمزة، ربما لأنه (صلى الله عليه وسلم) لا يريد أن يدخل عليهما أي قدر من الأذى النفسي في أمر ليس باستطاعتها مواجهته بصورة مباشرة..
يضاف إلى ذلك: أن من المتوقع في هذه الحال . لجوء أبي طالب إلى الآباء لمنع الأبناء من أذى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو قد يفسر على أنه

١ - تفسير القمي ج ١ ص ١١٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٥٢ عنه، وراجع: البرهان ج ١ ص ٣١١ .

تعبير عن الضعف والعجز، وربما يدعوهم ذلك إلى إذكاء هذه الحالة ضد رسول الله (ﷺ) من جهات مختلفة تحوّلهم الإعتذار عن التدخل للمساعدة فيها..

بالإضافة إلى أن ذلك قد يعطيهم ذريعة للتمنن على أبي طالب، والظهور بمظهر المحسن والمتفضل، والحال أنهم هم في الحقيقة أساس البلاء، وذلك قد يفسح لهم المجال للتلاعب بأبي طالب، والتذاكي عليه وعلى الهاشميين، والشماتة بهم. ولو أنه (ﷺ) شكى لأبي طالب (عليه السلام)، وصادر من أبي طالب أمر لعلي (عليه السلام) ولغيره من أبناء بني هاشم بالمقابلة بالمثل، فإن ذلك سيضع أبا طالب موضع الملام، بدعوى أنه يتصرف بصورة لا تليق بمقامه، ويأمر بما لا يتوقع من مثله الأمر به.. في حين أن المشركين لا يعترفون بأنهم هم الذين أغروا الصبيان بأذى أحد..

خذني معك:

وكل ما ذكرناه يعطي: أنه لا بد أن يترك القرار الحاسم لأهله، وليس هو إلا علي، ذلك الإنسان الإلهي الذي يراه الناس صغيراً.. وهو الكبير الكبير، الذي لا تستطيع أوهامهم أن تلامس أذنى شواخه.. وليكن القرار من صبي. بنظرهم. عرفوا عنه أنه يقرر وينفذ، كل ما يراه حقاً وصواباً، ولا يتراجع ولا يتوقف عن العمل بالحق، حتى لو عارضه فيه الشيوخ والكبار من قومه أو من غيرهم.. فلا يمكنهم اتهام أي كان من الناس بأنه أغرى علياً في أمر لم يدرك علي صوابه من خطأه، فبادر إلى ما أغرى به..

وهكذا كان.. فقد قال علي (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): خذني معك، ولم يخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتفصيل ما صمم عليه..
 ويأخذه (صلى الله عليه وآله وسلم) معه.. ويواجه طغيان الصبيان، فلا يقابلهم بالمثل أي برميهم بالتراب والحجارة، إذ يمكنهم حشد الكثيرين الذين
 يمكن أن يتوزعوا فرقا، ثم ليتصدى فريق منهم لعلي (عليه السلام)، ويتولى الفريق الآخر إيداء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحجارة والتراب، بل قرر
 أن يحسم الأمر، وأن يفهم أولئك الصبيان وآباءهم أن ثمة عملهم هو حقوق الأذى بكل واحد منهم بشخصه، وأن الأمر لن يكون مجرد
 مرامةٍ بالتراب والحجارة، تصيب أو لا تصيب، أو تؤلم أو لا تؤلم، بل ثمة ألم حقيقي لكل فرد منهم لا نجاة لهم منه، من دون أن يكون لهم
 قدرة على المقابلة بالمثل.

أبو ذر في ضيافة علي (عليه السلام) :

ويقولون: إن أبا ذر " رضي الله عنه " كان رابع أو خامس من أسلم^(١)،

١ - دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦٤ وحلية الأولياء ج ١ ص ١٥٧ ومستدرک الحاكم ج ٣ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٣١٣ والإصابة ج ٤ ص ٦٣ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٨٦ و (ط دار الكتاب العربي) ج ١ ص ٣٠١ والبدایة والنهاية ج ٧ ص ١٨٥ والغدير ج ٨ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ عن بعض من تقدم، وعن شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٥ ص ٤٢٣. والمجموع للنووي ج ٢ ص ٧٦ وج ٤ ص ٣٥ وشرح مسلم للنووي ج ٢ ص ٥١ وعمدة القاري ج ١ ص ٢٠٥ ومستدرک = = سفينة البحار ج ٣ ص ٤٣٥ وراجع: الإحتجاج ج ١ ص ٢٣١ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣١٩ وج ٣١ ص ٢٧٦ والفوائد الرجالية ج ٢ ص ١٥٢ وتقريب المعارف ص ٢٦٨ والدرجات الرفیعة ص ٢٢٥ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧ وسیر أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٦ وشيخ المضيرة أبو هريرة ص ٢٢٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩.

حيث إنه سمع بمبعث النبي (ﷺ)، فأرسل أخاه ليستقصي له الخبر، فرجع إليه، ولم يشف له غليلاً.
فذهب إلى مكة بنفسه، فكره أن يسأل عن النبي (ﷺ) علانية، فاضطجع في ناحية المسجد الحرام، فرآه علي (عليه السلام)،
فعرف أنه غريب، فدعاه إلى بيته، فاستضافه ثلاثة أيام لا يسأله عن شيء.
ثم سأله أبو ذر عن رسول الله (ﷺ) فاقترح عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يتبعه أبو ذر، فإن رأى ما يخاف منه عطف كأنه
يريد أن يقضي حاجة، أو يصلح نعله..
فأوصله (عليه السلام) إلى النبي (ﷺ) وأسلم أبو ذر، فخرج إلى المسجد الحرام، فأعلن إسلامه، فضربوه حتى اضعفوه.
فأتى العباس فأكب عليه، وقال: ويحكم أستم تعلمون أنه من غفار، وإنما طريق تجارتكم إلى الشام؟! فتركوه..

وعاد في اليوم التالي فصنع مثلما صنع في اليوم الأول، فخلصه العباس أيضاً^(١).
ونقول:

قد تحدثنا عن بعض ما يرتبط بهذه الحادثة في كتابنا الصحيح من سيرة النبي (ﷺ) ولذلك فنحن نكتفي هنا بتسجيل ما يلي:
١- دلت هذه الرواية على أن الناس قد تأخروا كثيراً في قبول الإسلام، حيث علمنا: أن خديجة وعلياً وجعفرأ (عليه السلام) كانوا أسبق
الناس إلى الإسلام، فإذا كان أبو ذر رابع من أسلم، فذلك يعني أن أحداً لم يدخل

١ - هذا ملخص ما في البخاري (ط سنة ١٣٠٩هـ) ج ٢ ص ٢٠٦- ٢٠٧ و (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢٤١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٤٦ وحلية الأولياء ج ١ ص ١٥٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣٩ والغدير ج ٨ ص ٣٠٩ - ٣١٠ عن بعض من تقدم، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٥٥ و ١٥٦ والإستيعاب (بمأش الإصابة) ج ٤ ص ٦٣ و (ط دار الجيل) ج ٤ ص ١٦٥٢ - ١٦٥٣ ودلائل النبوة لأبي نعيم ج ٢ ص ٨٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦١ - ١٦٢ و ١٦٤ - ١٦٥ والإصابة ج ٤ ص ٦٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٧ ص ١٠٦ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢ والدرجات الرفيعة ص ٢٢٨ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٨٧ وإمتاع الأسماع ج ٤ ص ٣٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٣١٤ و ٣١٥ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥١ - ٤٥٢.

بعد هؤلاء في الإسلام إلى ما بعد سنوات، أي إلى أن طار خبر بعثة النبي (ﷺ) في البلاد، وبلغ بني غفار الذين كانوا يسكنون قرب المدينة، ثم أرسل أبو ذر أخاه إلى مكة ليستطلع الأمر، ثم عاد إليه، فلم يجد أبو ذر عنده ما يشفي غليله، ثم سافر أبو ذر إلى مكة وبقي أياماً حتى وصل إلى رسول الله (ﷺ) وأسلم على يديه.

فإن هذا لو فرض أنه قد تواصل واستمر، فهو يحتاج إلى المسير الجاد ذهاباً وإياباً حوالي شهر ونصف.

فإذا أضيف إلى ذلك أن الرواية تذكر ما يدل على أن مجيء أبي ذر إلى مكة قد حصل حيث كان النبي (ﷺ) في وضع صعب، وكان الإتصال به يحتاج إلى تخف وتستر، مما يعني أن العداوات كانت قد ظهرت بين المشركين والمسلمين، وهو يدل على أن إسلام أبي ذر قد حصل ربما حين كان النبي في دار الأرقم أو بعد ذلك. وأن أحداً لم يسلم طيلة هذه المدة، لكي يصح أن يكون أبو ذر رابع من أسلم.

ولعل هذا يفسر لنا عدم استجابة أحد لرسول الله (ﷺ) في حديث: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، حتى حمزة وجعفر (عليهما السلام).

وهذا كله يؤذن بوجود فاصل زمني طويل، يمتد إلى ثلاث أو أربع سنوات فيما بين إسلام أبي ذر، وبين تاريخ بعثة الرسول (ﷺ).

ويكون إسلامه الذي أعلنه وفق هذه الطريقة، التي تحدثت عنها رواية إسلامه بداية عهد جديد، جرأ الناس على الدخول في هذا

الدين، والمباهاة

به، وتحدي المشركين فيه .

فما يدعى من سبق أبي بكر وغيره إلى الإسلام وأنه سبق علياً أو قاربه ليست له أدنى درجة من المقبولية أو المعقولية .

٢ . إن سن علي (عليه السلام) في أول البعثة كان لا يتجاوز العشر سنوات، والمفروض أنه لا يملك لنفسه بيتاً مستقلاً يستضيف به الغرباء، الأمر الذي يعني أنه قد دعا أبا ذر إلى منزل أبيه أبي طالب صلوات الله عليه .. أو فقل إلى المكان المخصص له من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو من قبل والده العظيم ..

وقد اتضح من هذه الحادثة أن تصرفات أمير المؤمنين (عليه السلام) في صغره كانت ملزمة لوالده، ولم يكن يعترض عليه حتى حين يدعو الغرباء إلى بيته لينزلهم فيه، لا يوماً واحداً وحسب، وإنما ثلاثة أيام .

وهذا التصرف لا يقبل عادة ممن كان في سن علي (عليه السلام) ، الأمر الذي يشير إلى امتياز ظاهر له على من سواه وعلى مكانته (عليه السلام) المتميزة لدى أبيه، ومدى ثقته به وبمصافة رأيه، وعلى أنه " ﷺ " كان يحترم له هذا التصرف النبيل، ويقدر فيه هذا الخلق الجميل .

٣ . إن عنصر السرية الذي اعتمده (عليه السلام) في أسلوب إيصال أبي ذر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يدل على دراية وروية، وتبصر وتدبر للأمر .

وقد وثق أبو ذر بهذا الفتى اليافع، ومنحه كل حبه واحترامه .. وأدرك أنه فتى المهمات الصعبة، منذ أن دعاه ليكون في ضيافته ثلاثة أيام، ثم زاد

إكباره له، وهو يقترح عليه هذا الأسلوب الحكيم.. الذي لا يصدر إلا من أعقل العقلاء، ومن أهل التبصر والحكمة، والروية والتدبير.
٤ . إن هذا الأسلوب الذي اقترحه (عليه السلام) من شأنه أن يحفظ أبا ذر، ويحفظ من خلاله الدعوة نفسها من أن تتعرض للأذى وللحصار، من خلال تهديد أمن وسلامة من يسعى للوصول إلى صاحبها للتعرف عليه، والإستفادة منه إيماناً، ومعرفة، ووعياً، والتزاماً.
٥ . إن عدم سؤال علي (عليه السلام) أبا ذر عن شأنه مدة ثلاثة أيام.. ربما لكي لا يشعر أبو ذر أن مضيفه قد مل وجوده. كما أنه يريد له أن يأنس في هذا البلد، وتذهب وحشة الغربة عنه، ويرتاح نفسياً كما ارتاح جسدياً.. وليكون من ثم أكثر طمأنينة، وأنفذ بصيرة في بيان حاجته، وأعرف بالمسالك التي توصله إليها. وبالأسباب التي تمكنه من الحصول عليها..

علي (عليه السلام) يتوسط لزيد بن حارثة:

قال الحلبي الشافعي: "ذكر مقاتل: أن زيد بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء إلى النبي (ﷺ)، وقال: يا رسول الله اخطب عليّ.

قال له: من؟!!

قال: زينب بنت جحش.

قال: لا أراها تفعل. إنها أكرم من ذلك نفساً.

فقال: يا رسول الله، إذا كلمتها أنت، وقلت: زيد أكرم الناس عليّ، فعلت.

فقال (ﷺ): إنها امرأة لسنا.

فذهب زيد "رضي الله تعالى عنه" إلى علي (عليه السلام) ، فحمله على أن يكلم له النبي (ﷺ).

فانطلق معه إلى النبي (ﷺ) فكلمه، فقال: إني فاعل ذلك، ومرسلك يا علي إلى أهلها فتكلمهم، ففعل. ثم عاد بكراتها، وكراهة أخيها ذلك.

فأرسل إليهم النبي (ﷺ) يقول: قد رضيتكم لكم، وأقضي أن تُنكحوه. فأنكحوه، وساق لهم عشرة دنانير الخ..^(١).
ونقول:

أولاً: إن من غير المعقول أن يتحدث النبي الأعظم (ﷺ) بمنطق الطبقيّة والاستعلاء على هذا النحو، فإن المعايير التي جاء بها الإسلام، والقرآن، ومنها قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)^(٢) لا تسمح بهذا، فإن زيدا لم يكن يعاني من أي نقص، أو عيب، لا في نفسه، ولا في دينه، ولا في خلقه، بل هو قد حاز شرف الإنتساب للإسلام، ولرسول الله (ﷺ)، وترك أهله وأباه، ورضي بأن يتبرأ أبوه منه حباً برسول الله (ﷺ)..

ورسول الله (ﷺ) هو القائل: "إذا جاءكم من ترضون

١- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢٠.

٢- الآية ١٣ من سورة الحجرات.

دينه وخلقه فزوجوه، وإلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (١).

وقرر: أن معيار الكفاءة في النكاح هو الإسلام والإيمان.

ثانياً: إن هذا يعارض ما رووه، من أنها أرسلت إلى النبي (ﷺ) تستشيريه في أمر زواجها. بعد أن خطبها عدة أشخاص من صحابته (ﷺ).

فقال (ﷺ): أين هي ممن يعلمها كتاب ربها، وسنة نبيها؟! (٢).

ثالثاً: إذا كان النبي (ﷺ) يريد لها أن تتزوج بمن تختاره، ويعلم أنها لا تختار زيداً، وكان ذلك هو سبب امتناعه عن تلبية طلب زيد بأن يخطبها له، فلماذا أقدم على إرسال علي (عليه السلام) إليها، ليطلبها لزيد بالذات؟! فإنه لم يتغير شيء من ذلك قبل توسط علي (عليه السلام) وبعده.

١- الدر المنثور ج ١ ص ٢٥٧ والفتاوى ج ٥ ص ٤٩٩ وتهذيب الكمال ج ٩ ص ٣٥٥ وكنز العمال ج ١٦ ص ٣١٨ وإعانة الطالبين ج ٣ ص ٣٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٤٧ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٤٨٧ وج ٣ ص ٤١٣ وإيضاح الفوائد ج ٣ ص ٢٣ والمعجم الأوسط ج ١ ص ١٤٢ وغوالي اللآلي ج ٣ ص ٣٤٠ ونيل الأوطار ج ٦ ص ٣٦١ والمجموع ج ١٦ ص ١٨٣-١٨٨.

٢- مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٦ والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ٣٩ وسنن الدارقطني ج ٣ ص ٢٠٨ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٠ ص ٢٣١.

وإن كان يريد فرض الزواج عليها بريد، فلماذا أرجعه خائباً في المرة الأولى، ثم استجاب له بعد توسط علي (عليه السلام)؟!
تحطيم الأصنام قبل الهجرة:

عن علي (عليه السلام) ، قال: دعاني رسول الله (ﷺ) ، وهو بمنزل خديجة (عليها السلام) ذات ليلة، فلما صرت إليه قال: اتبعني يا علي..

فما زال يمشي وأنا وراءه، ونحن نخترق بيوت مكة حتى أتينا الكعبة، وقد أنام الله كل عين، فقال لي رسول الله (ﷺ): يا علي. قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: إصعد يا علي فوق كتفي، وكسر الأصنام.

قلت: بل أنت يا رسول الله، إصعد فوق كتفي.

قال: بل أنت إصعد يا علي.

ثم انحنى (ﷺ) ، فصعدت على كتفه، فأقبلت (ولعل الصحيح: فقلبت) الأصنام على رؤوسها، ونزلت، وخرجنا من الكعبة شرفها الله تعالى، حتى أتينا منزل خديجة (عليها السلام) ، فقال لي: يا علي، إنه أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم (عليه السلام) ، ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام.

قال: فلما أصبحوا أهل مكة، وجدوا الأصنام منكسة، مقلوبة على رؤوسها، فقالوا: ما فعل هذا بأهتنا إلا محمد، وابن عمه.

ثم لم يبق بعدها في الكعبة صنم^(١).

١ - إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٨٩ عن ابن حسويه في درر المناقب، وليراجع ص ٦٨٠. ٦٨٧ عن مصادر كثيرة، وتاريخ بغداد (ط القاهرة) ج ١٣ ص ٣٠٢ وفرائد السمطين ج ١ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ ونظم درر السمطين ص ١٢٥ ومسند أحمد ج ١ ص ٨٤ وموضح أوهام الجمع والتفريق ج ٢ ص ٤٣٢ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٥١ والمناقب لابن المغازلي ص ٢٠٢ و ٤٢٩ وترجمة الإمام علي "عليه السلام" من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٣٢٧ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٧٦ وجمع الفوائد ج ٢ ص ٢٦ وتذكرة الخواص ج ١ ص ٢٤٧ وراجع هامشه، فقد أشار إلى مصادر كثيرة.

وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٣٦ عن ابن أبي شيبه، والحاكم، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ عن الطبراني، وأحمد، والترمذي، والصالحاني، والتبصرة لابن الجوزي ص ٤٤٢ ومناقب الأخيار ص ٣ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥ وج ٢ ص ٣٦٦ و ٣٦٧ وتلخيص المستدرک بھامشه، والمصنف لابن أبي شيبه ج ١٤ ص ٤٨٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٦ عن خصائص العشرة للزنجشري وبدايع الأمثال ص ١٤٨ وينايع المودة ص ١٣٩ و ٤٢٠ والمناقب للخوارزمي ص ٧١ و ٧٣ وخصائص الإمام علي "عليه السلام" للنسائي (ط التقدم بمصر) ص ٢٢٥ و ٣١ وصفة الصفوة ج ١ ص ١١٩ وجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٣ و ٢٤ عن أبي يعلى واليزار، ومفتاح النجا ص ٢٧ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدس) ص ٨٥ ومنتخب كنز العمال ج ٥ ص ٥٤ وتفريح الأحباب ص ٣١٦ وبذل القوة للسندي الحنفي ص ٢٢٤ وغالبية المواعظ ج ٢ ص ٨٨.

ونقول:

إن هذا الحديث ظاهر الدلالة على أن هذا الحدث قد حصل قبل الهجرة، وقد أشبهها صلوات الله وسلامه عليهما أباهما إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، حين حطم في الخفاء أصنام قومه، فلما أصبحوا قالوا: من فعل هذا بأهتنا؟! وهذه هي نفس الكلمة التي قالها المكيون حين رأوا ما جرى لأصنامهم.. لماذا التعرض لأصنامهم سرّاً؟!

وقد يسأل سائل عن سبب هذا التعرض للأصنام سرّاً، مع العلم بأن ذلك لا يجدي شيئاً، لأنهم سوف يعيدونها كما كانت، ولربما يكون ذلك سبباً في إصرارهم على غيرهم، وعلى نصرّة أصنامهم، وتعلقهم بها، والتشدد في المحافظة عليها.. ونجيب:

بأن المقصود هو تقديم العبرة لهم بصورة حية وعملية، ليروا بأعينهم كيف أن الأصنام لا تستطيع أن تدفع عن أنفسها، فكيف يمكنها أن تدفع الأسواء عن غيرها. فما يدعي لها من قدرات، وآثار، ما هي إلا أباطيل وأضاليل، وترهات. وهذا البرهان ليس مجرد معادلة ذهنية، وافتراضات تجريدية، بل هو عمل جوارحي مباشر، يجري على الأصنام نفسها، لكي يقطع دابر أي تعلل أو تمحل للأعدار، فلا يزعم زاعم أن الأسواء قد انتابت غيرها ولعلها لم تنتصر له، لأنها كانت غاضبة عليه.

وهذا هو نفس الدرس الذي أراد إبراهيم (عليه السلام) لقومه أن يفهموه ويعوه، حين كاد أصنامهم.
وقول قوم إبراهيم في السابق، وأهل مكة في اللاحق: من فعل هذا بالهتتا يمثل إقراراً صريحاً بأن ثمة من هو أقوى من أصنامهم، وهو إقرار بعجزها عن الدفع عن نفسها، وحاجتها إلى غيرها ليحميها منه.
وكان المشركون قد سمعوا من النبي (صلى الله عليه وآله) تسفيه أحلامهم، ورفضه لأصنامهم، وبيان أنها لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، وقد نزل القرآن بتفويض وإدانة عبادتهم لها.
لم يبق بعدها في الكعبة صنم:
ويبقى أن نشير إلى ما ذكره في آخر هذه الرواية، من أنه لم يبق بعدها في الكعبة صنم يحتاج إلى توضيح، فإنه لا ينسجم في ظاهره مع القول: بأن تحطيم الأصنام كان في فتح مكة.
وقد يكون الجواب الأوضح عن ذلك أن يقال: إن الذي حطمه النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) قبل الهجرة هو تلك الأصنام التي كانت في جوف الكعبة، بقرينة قوله: "خرجنا من الكعبة، ولم يبق بعدها صنم في جوف الكعبة..".
والتي حطمت يوم الفتح هي تلك الأصنام التي كانت منصوبة فوقها، أو عندها كما تشير التعبيرات الكثيرة الواردة في النصوص المتقدمة.
ويبدو أن بعض تلك الأصنام كان معلقاً في أعلى نقطة في جوف

الكعبة، فاحتاج في تنكيسه إلى أن يصعد على كتفي النبي (ﷺ) ليتمكن منها..

علي (عليه السلام) في حديث المعراج:

ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) أن المعراج قد حصل في السنة الثالثة من البعثة . كما روي عن علي

(عليه السلام) ^(١) . وقد ذكرنا دلائل ذلك في كتابنا المشار إليه ^(٢) .

وعرفنا آنفاً: أن أبا ذر كان رابعاً في الإسلام، مع أنه قد أسلم بعد أن تأزمت الأمور بين النبي (ﷺ) وبين قريش، وحيث كان الإتصال به تكتنفه المخاطر والأهوال، كما أن من يعلن إسلامه يتعرض للضرب الشديد الذي لا يرفعه عنه إلا خوف قريش على قوافل تجارتها إلى الشام فأثما كانت تمر على قوم أبي ذر بالقرب من المدينة.

وإذا أضفنا هذا الأمر إلى العديد من الدلائل والشواهد على تأخر إسلام أبي بكر إلى ما بعد السنة الخامسة أو السادسة من البعثة ^(٣)،

فإن ذلك يدلنا على عدم صحة ما روي من أن ملكاً كان يكلم رسول الله (ﷺ) " (عليه السلام) "

١ - بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٧٩ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٤١ .

٢ - راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم " (عليه السلام) " (الطبعة الرابعة) ج ٣ ص ١٠ و (الطبعة الخامسة) ج ٣ ص ٩٤ .

٣ - ذكرنا ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم " (عليه السلام) " (الطبعة الرابعة) ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٣٠ و (الطبعة الخامسة) ج ٣ ص ٦١٠ - ٥٣ .

في معرجه بصوت أبي بكر^(١).

والصحيح: أنه كلمه بلغة علي (عليه السلام).

فعن ابن عمر قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) وقد سئل: بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟! قال:

قال: خاطبني ربي بلغة علي بن أبي طالب، وألهمني أن قلت: يا رب خاطبتني أنت أم علي؟! فقال:

فقال: يا مُجْد، أنا شيء لا كالأشياء، ولا أفاص بالناس، ولا أوصف بالشبهات. خلقتك من نوري، وخلقت علياً من نورك، واطلعت

على سرائر قلبك، فلم أجد في قلبك أحب إليك من علي بن أبي طالب، فخاطبتك بلسانه، كيما يطمئن قلبك^(٢).

١ - المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠ وروح البيان لإسماعيل البروسوي في تفسير سورة الإسراء، وتنوير الأذهان للمسعودي شرح سورة الإسراء، والغدير ج ٧ ص ٢٩٣ عن عمدة التحقيق ص ١٥٤ والعهد المحمدي للشعراني ص ٦٨٥ والفتوحات المكية لابن عربي ج ٣ ص ١٥٧ وج ٣ ص ٣٤٢ وراجع: الدر المنثور ج ٤ ص ١٥٥ وراجع ص ١٥٤.

٢ - راجع: المناقب للخوارزمي ص ٧٨ وينايع المودة ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ ومقتل الحسين للخوارزمي (ط الغرى) ص ٤٢ وأرجح المطالب (ط لاهور) ص ٥٠٧ والمناقب المرتضوية (ط بمبئي . الهند) ص ١٠٤ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٨٦ والصافي ج ٣ ص ١٧٧ وكشف الغمة ج ١ ص ١٠٣ وشرح إحقاق الحق = (الملحقات) ج ٥ ص ٢٥١ وج ٢٣ ص ١٤١ والطرائف لابن طاووس ص ١٥٥ وكشف اليقين ص ٢٢٧.

كما أن الصحيح هو: ما روي عن أبي الحمراء، من أن رسول الله (ﷺ) قال: لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبدته بعلي (عليه السلام) (١).

١ - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢١ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٢٠٠ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٢٤ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ١٨٦ و ١٨٧ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ وراجع ٢٩٣ و ٣٩٤ والدر المنثور ج ٤ ص ١٥٣ وبشارة المصطفى ص ٤٠٥ والشفا لعياض ج ١ ص ١٧٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٩٢ وينايع المودة ج ١ ص ٦٩ و ٢٨٢ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٨ ص ٣٦٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤٤ و ٢١٠ وقاموس الرجال للتستري ج ١١ ص ٢٩٥ والأماي للصدوق ص ٢٨٤ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢١٠ و ج ٢ ص ٣٨٠ و بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢ و ج ٣٦ ص ٥٣ وراجع: ص ٣٢١ و ٣٢٥ و ٣٣٢ و ٣٤٨ و ٣٥٥ و ٣٩٠ و ج ٣٨ ص ٣٤٥ والثاقب في المناقب ص ١١٨ والغدير ج ٢ ص ٥٠ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ١٤ و تهذيب الكمال ج ٣٣ ص ٢٦٠ وغاية المرام ج ٤ ص ٣٠٣ والأربعون حديثاً لمنتجب الدين ابن بابويه ص ٦٦ والعمدة لابن البطريق ص ١٧١ والفضائل لشاذان ص ١٦٧ والجواهر السنوية للحر العاملي ص ٢٩٣ وراجع ص ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٥ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٣٩٣ = وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ١٤٢ و ج ١٤ ص ٥٨٧ و ج ١٦ ص ٤٨٨ و ٤٩٠ و ج ٢٢ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ و ج ٣١ ص ٧٦ وراجع: كفاية الأثر ص ٧٤ و ١٨٥ و ٢١٧ و ٢٤٤ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٥٤ ولسان الميزان ج ١ ص ٤٥٧ و ج ٢ ص ٢٦٨ و ٤٨٤ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٧٦ والصرائط المستقيم ج ١ ص ٢٩٤ و ج ٢ ص ١١٧ وضعفاء العقيلي ج ١ ص ٣٣ و ج ٢ ص ٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٣٦ و ج ٤٧ ص ٣٤٤.

لا ما روي من ذلك في حق أبي بكر^(١).

وعن النبي (ﷺ) أنه قال: لما أسري بي إلى السماء لقيتني الملائكة بالبشارة في كل سماء، حتى لقيتني جبرائيل في محفل من الملائكة، فقال: يا مُحَمَّد، لو اجتمع أمتك على حب علي بن أبي طالب ما خلق الله النار^(٢).

١- راجع الروايات التي ذكرت فضائل أبي بكر في الإسراء والمعراج، وقد حكم عليها العلماء بالوضع في ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٦٠٩ وج ٢ ص ١١٧ والالآلي المصنوعة ج ١ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٠٩ ولسان الميزان ج ٥ ص ٢٣٥ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٣٨ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٠٤ وج ٣ ص ٦٣ والغدير ج ٥ ص ٣٠٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٤١ وتذكرة الموضوعات ص ٩٣ والوضاعون وأحاديثهم ص ٣٦٣.

٢- ينابيع المودة ج ٢ ص ٢٩٠ ومودة القرى ص ٢٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ١٥١ وج ١٧ ص ٢٤٠ وج ٢١ ص ٢٧٣ ونوادر المعجزات ص ٧٥ والأهمالي للطوسي ص ٦٤٢ ومدينة المعاجز ج ١ ص ٨٧ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٨٨ وج ٤٠ ص ٣٥.

وعن أبي هريرة، عنه (ﷺ) : لما أسري بي في ليلة المعراج، فاجتمع عليّ الأنبياء في السماء، فأوحى الله تعالى إلي: سلهم يا محمد: بماذا بعثتم؟!

فقالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وحده، وبنبوتك، والولاية لعلي بن أبي طالب^(١).

علي (عليه السلام) الصديق الأكبر:

وعن النبي (ﷺ) قال:

"قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت على أمتك يا محمد.

قال: قلت: أنت أعلم يا رب.

قال: يا محمد، إني انتجتك برسالتني، واصطفيتك لنفسني، وأنت نبوي وخيرتي من خلقي. ثم الصديق الأكبر، الطاهر المطهر، الذي خلقته

من

١ - ينابيع المودة ج ٢ ص ٢٤٦ عن المحافظ أبي نعيم، والعمدة لابن البطريق ص ٣٥٢ والطرائف لابن طاووس ص ١٠١ والصراط المستقيم ج ١ ص ٢٤٤ ومستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٤٠٨ وخصائص الوحي المبين ص ١٧٠ وطرائف المقال ج ٢ ص ٢٩٩ ونهج الإيمان ص ٥٠٦ ومنهاج الكرامة ص ١٣٠ وغاية المرام ج ٣ ص ٥٥ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ١٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ١٤٤ وج ٤ ص ٢٣٨ وج ٧ ص ١٢٩ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص ٧٣ ونهج الحق ص ١٨٣. وإلزام النواصب لمفلح بن راشد ص ١٣٨.

طينتك، وجعلته وزيرك، وأبا سبطيك، السيدين الشهيدين، الطاهرين المطهرين، سيدي شباب أهل الجنة. وزوجته خير نساء العالمين. أنت شجرة، وعلي أغصانها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها. خلقتكم (خلقتهما) من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلا حباً.

قلت: يا رب، ومن الصديق الأكبر؟!

قال: أخوك علي بن أبي طالب" (١).

ويبدو لنا: أن هذا قد حصل في معراج آخر لرسول الله (ﷺ)، وقد حصل بعد الهجرة بسنوات.

وقد أكد أمير المؤمنين في روايات كثيرة صحيحة، وكذلك النبي الكريم (ﷺ) على أنه (عليه السلام) وحده الصديق، وأن لا صحة لما يقال أنه أبوبكر.. وقد ذكرنا طائفة من هذه الأحاديث ومصادرها الكثيرة في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) (٢).

١- مسند شمس الأخبار للقرشي ج ١ ص ٨٩ ومسند زيد بن علي ص ٤٠٥ والغدير ج ٢ ص ٣١٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٢ ص ٢٠٠ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٤٩٠.

٢- راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) " (الطبعة الرابعة) ج ٤ ص ٤٥ . ٥٠ . و (الطبعة الخامسة) ج ٤ ص ٢٢٨ . ٢٣٣ .

الفاروق علي (عليه السلام) أيضاً:

وقد ذكرت الأخبار أيضاً: أن علياً (عليه السلام) هو فاروق هذه الأمة^(١)، وأما عمر بن الخطاب، فأهل الكتاب هم الذين سموه بالفاروق^(٢).

١ - راجع: المصدر السابق.

٢ - راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم " ﷺ " (الطبعة الرابعة) ج ٣ ص ١٧٧ و (الطبعة الخامسة) ج ٣ ص ٣٠٦.

الفصل الرابع: توضيحات علي (عليه السلام) في شعب أبي طالب

علي (عليه السلام) في شعب أبي طالب:

وحين اشتد الأمر، وصعدت قريش من تحديها لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وبني هاشم، وقطعت عنهم الأسواق، بحدف قطع الأرزاق، فلا يتركون لهم طعاماً يقدم مكة، ولا يبعأ إلا بادروهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم الرسول (صلى الله عليه وآله) (١).
وكانوا يتهددون من يبيعهم شيئاً بنهب أمواله، أو بمقاطعة تجارتهم.
نعم حين بلغت الأمور إلى هذا الحد، أمر أبو طالب (عليه السلام) بني هاشم وبني عبد المطلب بدخول الشعب المعروف بشعب أبي طالب، وذلك في سنة سبع، حفظاً لهم من أن يتعرضوا لأي تحدٍ خطير يدفع بالأمور إلى حد الكارثة.
ووضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بطعام. وكان المسلمون ينفقون من أموال خديجة، وأبي طالب، حتى نفدت، أو نفذ منها ما كان يمكنهم

١ - البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ١٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ والنزاع والتخاصم ص ٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٥٨.

صرفه في هذه الأحوال، حتى اضطروا إلى أن يقتاتوا بورك الشجر..

وكان صبيانهم يتضورون جوعاً.

وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً.

وكان علي أمير المؤمنين أثناءها يأتيهم بالطعام سراً من مكة، من حيث يمكن، ولو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه، كما يقول الاسكافي وغيره^(١).

وكان أبو طالب رضوان الله تعالى عليه كثيراً ما يخاف على النبي (ﷺ) البيات (أي أن يغتاله المشركون ليلاً) فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم، اضطجع النبي (ﷺ) على فراشه حتى يرى ذلك جميع من في الشعب، فإذا نام الناس جاء فأقامه، وأضجع ابنه علياً مكانه^(٢).

فقال له علي (عليه السلام) ليلة: يا أبت إني مقتول..

فقال له:

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦ والعثمانية للجاحظ ص ٣٢٠.

٢ - راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٤ وج ١٣ ص ٢٥٦ والحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب ص ٢٧٥ وتيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب ص ٤٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤ وراجع: الغدير ج ٧ ص ٣٥٧ و ٣٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٦٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٤٠ و ١٤١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ ودلائل النبوة للبيهقي (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٣١٢.

اصبرن يا بني فالصبر أحجى كل حي مصيره لشعوبِ
قد بذلناك والبلاء شديد لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثاقب، والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تملى بعمرٍ آخذ من مذاقها بنصيب
فأجابه علي (عليه السلام) بقوله:
أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن ترى (رؤية) نصرتي وتعلم أنني لم أزل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافاعاً^(١)
وقال (عليه السلام) بعد ذلك:

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٤ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٦٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٥٩ وأسنى المطالب ص ٢١ والفصول المختارة ص ٥٨ والصراط المستقيم ج ١ ص ١٧٦ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٩٣ وج ٣٦ ص ٤٦ ومناقب أهل البيت "عليه السلام" للشيرازي ص ٦١ والغدير ج ٧ ص ٣٥٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٥٥٧ والدرجات الرفيعة ص ٤٢ والحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب ص ٢٧٥ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٣٩.

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالْحَجْرِ
رسول إله الخلق إذ مكروا به فنجاه ذو الطول الكريم من المكر
وبت أراعيهم متى يثبتونني وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الشعب آمناً وذلك في حفظ الإله وفي ستر
أردت به نصر الإله تبتلاً وأضرته حتى أوسد في قبري^(١)
مقارنة حديث الشعب بليلة الغار:

وقد وصف الاسكافي حال علي (عليه السلام) في الشعب، قياساً له على حال أبي بكر في الغار بقوله:
"وعلي يقاسي الغمرات، ويكابد الأهوال، ويجوع ويظمأ، ويتوقع القتل صباحاً ومساءً، لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار قوت
زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سراً، ليقيم به رمق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبني هاشم، وهم في الحصار.
ولا يأمن في كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقتل، كأبي جهل بن هشام، وعقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة،
وعتبة بن ربيعة، وغيرهم من فراعنة قريش وجبارتها.

١- بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٤١٣ وج ٣٦ ص ٤٦ وراجع: ج ٣٨ ص ٢٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٣٥ ونهج الإيمان لابن جرير ص ٣٠٩ وشجرة طوبى ج ٢
ص ٢٣٧ والفصول المختارة ص ٥٩.

ولقد كان يجيع نفسه ويطعم رسول الله (ﷺ) زاده، ويظمئ نفسه ويسقيه ماءه، وهو كان المعلل له إذا مرض، والمؤنس له إذا استوحش، وأبو بكر في نجوة من ذلك، لا يمسه مما يمسه أم، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل، ثلاث سنين إلخ" (١) ..

ونحن لا ندري مدى صحة ما يقوله الاسكافي، من أن شيوخ قريش وعقلاءها كانوا يرسلون الطعام إلى المحاصرين في الشعب، ولعل الأرحح هو أنه (عليه السلام) كان يبذل لهم الأموال ويشتري به الطعام.. ولعله كان يعطي أموالاً طائلة ثمناً للقليل منه.. ولم يكن النبي (ﷺ) ولا أبو طالب، ولا علي (عليه السلام) بالذين يقبلون منة أحد من الكافرين عليهم، كما دلت عليه النصوص..

فضيلة لعلي (عليه السلام) تستلب منه:

وكما حاولوا أن يثيروا غبار التشكيك حول تفرد علي (عليه السلام) بالولادة في جوف الكعبة، بادعاء ذلك لحكيم بن حزام.. فقد حاولوا منح ابن حزام نفسه أيضاً فضيلة أخرى في سياق التقليل من أهمية جهاد علي (عليه السلام) وتضحياته في شعب أبي طالب.

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦ والعثمانية للجاحظ ص ٣٢٠.

فقد زعموا: أن ابن حزام كان يرسل الطعام سرّاً إلى المسلمين في شعب أبي طالب^(١).
ونقول:

إننا نجزم بعدم صحة ذلك، فأولاً: إن ابن حزام كان أحد الذين انتدبتهم قريش لقتل رسول الله (ﷺ) ليلة الهجرة^(٢)، فرد

-
- ١- السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٧٩ و (ط مكتبة مجّد علي صبيح) ج ١ ص ٢٣٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٩ و ج ٨ ص ٧٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٧٤
= = وعيون الأثر ج ١ ص ١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٨٨ وسيرة ابن إسحاق ج ٢ ص ١٤٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١
ص ٢٢٣ و ج ٤ ص ١٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٣٧٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٤ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٣ ص ٢٤٦ وخزانة الأدب ج ٣ ص ٧٧ وبحار
الأنوار ج ١٩ ص ١٩ وشرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٥٩ والدرجات الرفيعة ص ٤٦ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٥ ص ١٠٤ وتهذيب الكمال ج ٧ ص ١٧٩
وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٤.
- ٢- بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣١ وراجع ص ٢٣٠ ومجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٤ ص ٤٥٨ وراجع: الإتيقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٩٩ وتفسير
السمرقندي ج ٢ ص ٢٠ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص ١٥٩ وتفسير السمعي ج ٢ ص ٢٦٤ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٢٤٧ وزاد المسير ج ٣ ص ٢٤١ وتفسير
الآلوسي ج ٩ ص ٢٠٤.

الله كيدهم إلى نحورهم بمبيت علي (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) تلك الليلة.
وكان حكيم أيضاً يتكرر جميع الطعام الذي يأتي إلى المدينة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكان للنبي (صلى الله عليه وآله) موقف إدانة منه^(١).

وهو أيضاً من المؤلفات قلوبهم^(٢)، مما يعني: أنه لم يكن صحيح الإيمان، وأن ربه قد استمر إلى أواخر حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

-
- ١- وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٧ ص ٤٢٨ و (ط دار الإسلامية) ج ١٢ ص ٣١٦ والكافي ج ٥ ص ١٦٥ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٢٦٦ والإستبصار ج ٣ ص ١١٥ وتحذيب الأحكام ج ٧ ص ١٦٠ ومستدرک الوسائل ج ١٣ ص ٢٧٦ ودعائم الإسلام ج ٢ ص ٣٥ والتوحيد للصدوق ص ٣٨٩ ونور البراهين للجزائري ج ٢ ص ٣٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٨ ص ٧١.
 - ٢- نسب قريش ص ٢٣١ والإصابة ج ١ ص ٣٤٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٩٧ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٣٢٠ و (ط دار الجليل) ج ١ ص ٣٦٢ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٨٨ والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٨٦ والإكمال في أسماء الرجال ص ٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٥ ص ٩٦ وأسد الغابة ج ٢ ص ٤٠ وتحذيب الكمال ج ٧ ص ١٧٢ وتحذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ١٩٧ والوفائي بالوفيات ج ١٣ ص ٨٠.

ثانياً: يدل على بوار هذا الإدعاء: أن النبي (ﷺ) لم يكن يقبل أن يكون لفاجر أو فاسق عنده يداً ولا نعمة (منة)^(١)، وقد رد هدية حكيم بن حزام بالذات^(٢)، كما رد هدية غيره.

١- راجع: النصائح الكافية ص ١٥٦ وراجع: من لا يحضره الفقيه (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج ٣ ص ٢٩٩ و (الطبعة الثانية) ج ٣ ص ٣٣٥ وبحار الأنوار ج ٨٣ ص ١٨٦ و سنن النبي للطباطبائي ص ٣٧٨ وتخریج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٣٢ = وكنز العمال ج ٢ ص ٢١١ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٣٠٨ وأبو طالب مؤمن قريش للخنيزي، وتذكرة الموضوعات ص ٦٨ و ١٨٤ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٥٣ والدر المنثور ج ٦ ص ١٨٦ و ١٨٧ وفيض القدير ج ٦ ص ٤٦٢ وكشف الخفاء ج ١ ص ٨٩ و ٣٣١ ج ٢ ص ٣٢١ والتفسير الكبير للرازي ج ٢٩ ص ٢٧٧ وتفسير الألوسي ج ٢٨ ص ٣٥ ومنتقى الجمان ج ٢ ص ٢٦٣ والنصائح الكافية ص ١٥٦.

٢- راجع: مسند أحمد ج ٣ ص ٤٠٢ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ١٥١ وعمدة القاري ج ١٣ ص ١٦٨ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ١٦٥ وفيض القدير ج ٢ ص ٦٩٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٥ ص ١٠٠ وإمتاع الأسماع ج ٦ ص ٣٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٣٠ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٤٨٤ وتلخيصه للذهبي، بامش نفس الصفحة، وصحاحه. وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن أحمد والطبراني، والحاكم، وسعيد بن منصور، والترتيب الإدارية ج ٢ ص ٨٦.

وكان (ﷺ) يرد هدية المشرك المحارب، أما غيره، فكان يقبل هديته، حتى لو كان مشركاً^(٦). والمقصود بغير المحارب الموادع الذي لا يمتن بهديته.

وأما حكيم بن حزام فقد بقي على صفة كونه محارباً إلى أواخر حياة رسول الله (ﷺ)، وواضح أنه كان من المؤلفلة قلوبهم، يمتن بهديته، ويتوقع المكافأة عليها.

ثالثاً: ان من يكون من أهل الأطماع إلى حد أن يحتكر الطعام في المدينة، ويحرم منه الناس بما فيهم الأطفال والنساء، طمعاً في حفنة من المال، لا يتوقع منه السعي لدفع غائلة حاجة المحاصرين في الشعب، على سبيل التكرم، أو بدافع العاطفة الإنسانية، وإنما هو يفعل ذلك طمعاً بالمال الوفير، حيث يرى أنهم كانوا على استعداد لبذل أعظم الأثمان في هذا السبيل، فلعله كان ينتهز الفرصة ويبيعهم الطعام، وربما بأغلى الأثمان.

حمية الدين هي الأقوى:

يحاول البعض أن يثير الشكوك حول إيمان أبي طالب: فيواجهه حديث الحصار في الشعب، وأن أبا طالب كان ينيم ولده على فراش النبي (ﷺ) ليفدي به رسول الله (ﷺ).

فيحاول التملص والتخلص منه، بادعاء: أنه " ﷺ " كان يفعل

١ - الروض الأنف ج ٤ ص ١٩٦ وراجع: فيض القدير ج ٢ ص ٦٩٧.

ذلك بدافع من حبه الطبيعي لابن أخيه^(١).

وربما تجد من يدعي: أن حمية النسب والعصبية والقبلية، أو الكبرياء إلى حدّ العناد، أو التوثب للشهرة وخلود الذكر، هو الذي كان يدعو أبا طالب إلى أن يفدي ابن أخيه بولده..

ونقول:

ألف: بالنسبة للعاطفة النسبية والحب الطبيعي والحمية القبلية نقول:

١. إن العاطفة النسبية نحو الولد والحب الطبيعي له أشد وأقوى نحو ابن الأخ، فالمفروض أن يكون موقفه (ﷺ) على عكس ما كان عليه..

٢. لو صح قولهم في ذلك لدعت العاطفة النسبية أبا لهب وحبه الطبيعي لابن أخيه وحميته القبلية إلى نصرته النبي (ﷺ)، كما نصره أبو طالب، مع أن أبا لهب كان أشد الناس عليه، ولم تتحرك عاطفته ولا حميته، ولا حبه حتى على الأطفال الذين كانوا في الشعب يتضاغون جوعاً..

٣. إنه لا شك في أن حمية الدين هي الأقوى، بدليل أن أهل الدين يضحون بأموالهم وياخوانهم، وبأبنائهم، وبأنفسهم في سبيل دينهم. وقد استأذن عبد الله بن أبي رسول الله (ﷺ) بأن يقتل أباه، لأجل جرأته على رسول الله (ﷺ) ..

١ - تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٣٩٤.

وفي صفين لم يرجع الأخ عن قتل أخيه، حتى أذن له أمير المؤمنين (عليه السلام) (١).

ب: بالنسبة للعصية القبلية، والكبرياء إلى حد العناد، وحمية النسب، والطمع بتبوء مقام الكرامة، والإشتهاار بالنبوة، نقول:

١. إنما تكون هذه الأمور مؤثرة وفاعلة في صورة ما لو أمكن حفظ أساس الوجود، وفي حدود صيانة مصالح القبيلة، أو الأشخاص، أو من يتطلّب منازل الكرامة والشهرة، أما لو كان ذلك من أسباب الدمار، والهلاك، وبوار المصالح، فإن أي عاقل يرضى بالتفريط بنفسه، وبولده، وعشيرته، وبكل مصالحه ومصالحهم، وينتهي به الأمر إلى حد الموت جوعاً، أو بحد السيف، في سبيل شيء تشير الدلائل كلها إلى أن حصوله عليه ضرب من الخيال، وفي مستوى الوهم، الذي لا يهتم له أي من عقلاء البشر..

٢. إن ذلك لو أمكن وضح حصوله بالنسبة لواحد من الناس، بسبب عقدة نقص يعاني منها، فإنه لا يصح بالنسبة لغيره ممن لم يكونوا من قبيلة ولا من أقارب ذلك النبي، وكانوا يتعرضون لأقسى أنواع القهر والعذاب حتى الموت، من أمثال سمية وياسر والدي عمار وغيرهما من المعذبين في

١ - صفين للمنقري ص ٢٧١ و ٢٧٢ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٤٧٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٢٥١.

سبيل الله رضوان الله تعالى عليهما .

فأية شهرة، وأي مقام يطلبه هؤلاء، ولأية قبيلة يتعصبون وأية حمية نسب تدعوهم إلى تحمل ذلك كله، الذي بلغ بعضهم حد التضحية بأنفسهم؟!

وكيف يتوقعون لأنفسهم خلود الذكر في هذه الدنيا، وأي ذكر يطمع فيه عاقل يوازي أرواحهم التي يبذلونها، وآلامهم التي يقاسونها؟! والحقيقة هي: أن السبب الحقيقي الكامن وراء اطلاق كل هذه الترهات هو العناد للحق إلى حد السفه، الناشئ عن كراهة الإعراف به، وإن كانت كل الوقائع تلهج به، وتفصح عنه، وتدلل عليه، أو تشير إليه..

فليبوؤا بخزي الإفتضاح وهم الصغار في أنفسهم في الحياة الدنيا، وبالعذاب الأليم الذي أعده الله تعالى للذين آذوا الله ورسله وأوليائه في الآخرة، بسعيهم إلى إطفاء نور الله، وطمس جهود وجهاد الأنبياء والأولياء بزخرف القول، وعوار الكلم، والله متم نوره ولو كره الكافرون، والمشركون، والحاقدون، والمنافقون.

٣- ونقول أخيراً: إن هذا الرضا والتسليم ثم الإصرار والتصميم الذي نشاهده لدى علي (عليه السلام) على تحقيق السلامة لرسول الله (ﷺ) بقيمة تعريض نفسه للأخطار الهائلة، أمر مدهش ومثير.. لولا اننا نعلم: أن الله سبحانه قد امتحن قلب هذا الشاب للإيمان، وأودعه أقدس الاسرار، وحباه بمنازل الكرامة والزلفى، دون جميع الخلق..

الفصل الخامس: وفاة أبي طالب .. ووفاء علي (عليه السلام)

علي (عليه السلام) في وفاة أبيه:

قال المعتزلي: "إن أبا طالب لما مات جاء علي (عليه السلام) إلى رسول الله (ﷺ)، فأذنه بموته، فتوجع عظيماً، وحزن شديداً، ثم قال: امض، فتولّ أمره وتولّ غسله، وتحنيطه وتكفينه، فاذا رفعته على سريره فأعلمني إلخ.." (١).

١- تفسير علي بن ابراهيم ج ١ ص ٣٨٠ والأُمالي للصدوق ص ٣٣٠ والفصول المختارة ص ٢٢٨ والحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب ص ٢٦٥ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٦٨ و ١٥١ والدرجات الرفيعة ص ٦١ وضياء العالمين، وشرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٦ و ٨١ وتذكرة الخواص ص ٨ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٧ والمصنف ج ٦ ص ٣٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٧ وتاريخ البيهقي ج ٢ ص ٣٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٧٨ وتاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ١٢٦ وج ١٣ ص ١٩٦ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٢٥ والطرائف لابن طاووس ص ٣٠٥ عن الحنبلي في حماية الطلب، والتعظيم المنة ص ٧ ولسان الميزان ج ١ ص ٤١ والإصابة ج ٤ ص ١١٦ والغدير ج ٧ ص ٣٧٢ و ٣٧٤ - ٣٧٥ وعن: شرح شواهد المغني للسيوطي = = ص ١٣٦ وأعلام النبوة للماوردي ص ٧٧ وبدايع الصنائع ج ١ ص ٢٨٣ وعمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٥ وأسنى المطالب ص ١٥ و ٢١ و ٣٥ وطلبة الطالب ص ٤٣ ودلائل النبوة للبيهقي والبرزنجي، وابن خزيمة، وأبو داود، وابن عساكر.

ففاعل، فاعترضه رسول الله (ﷺ) ، وهو محمول على رؤوس الرجال، وقال . برقة وحزن وكآبة .: وصلتك رحم يا عم (أو وصلت رحماً) وجزيت خيراً يا عم، فقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً.
ثم تبعه إلى حفرتة، فوقف عليه فقال: أما والله لأستغفرن لك، ولأشفعن فيك شفاعاة يعجب لها الثقلان^(١) .
لماذا لم يأمر النبي (ﷺ) بالصلاة عليه؟! :
قالوا:

وإنما لم يأمر النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) بالصلاة على أبي طالب (عليه السلام) ، لأن صلاة الجنازة لم تكن فرضت بعد.

١ - راجع: بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١٢٥ و ١٦٣ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٦ والإصابة (ط مصر سنة ١٣٢٥ هـ) ج ٧ ص ١١٣ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج ٢ ص ٥٥٧ والغدير ج ٧ ص ٣٨٦ والدرجات الرفيعة لابن معصوم ص ٦٢ .

ولأجل ذلك قالوا: إن النبي الأكرم (ﷺ) لم يصل على خديجة "سلام الله عليها" حينما توفيت، مع أنها سيدة نساء العالمين في زمانها، وإن كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين..

وقد فصلت ذلك الرواية التي رواها علي بن ميثم، عن أبيه عن جده: أنه سمع علياً (عليه السلام) يقول: تبع أبو طالب عبد المطلب في كل أحواله حتى خرج من الدنيا وهو على ملته، وأوصاني أن أدفنه في قبره، فأخبرت رسول الله (ﷺ) بذلك، فقال: اذهب فواره، وانفذ لما أمرك به.

فغسلته، وكفنته، وحملته إلى الحجون، ونبشت قبر عبد المطلب، فرفعت الصفيح عن لحده، فإذا هو موجه إلى القبلة، فحمدت الله تعالى على ذلك، ووجهت الشيخ، وأطبقت الصفيح عليهما، فأنا وصي الأوصياء، وورثت خير الأنبياء.

قال ميثم: والله ما عبَدَ علي، ولا عبَدَ أحد من آبائه غير الله تعالى، إلى أن توفاهم الله تعالى^(١).

علي (عليه السلام) والإستغفار لأبي طالب (عليه السلام) :

سيأتي قول الشريف النسابة العلوي، المعروف بالموضح: أنه لما مات أبو

١ - سفينة البحار ج ٥ ص ٣٢١.

طالب وشيع حمزة وجعفر^(١)، وعلي (عليه السلام)، جنازته، واستغفروا له.
 قال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً. ظناً منهم أن أبا طالب مات مشركاً؛ لأنه كان يكتنم إيمانه.
 فمن قال بكفر أبي طالب (عليه السلام)، فقد حكم على النبي بالخطأ، والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله وأفعاله الخ...^(٢).
 وروي بسند صحيح. كما يقول الأميني. أن علياً (عليه السلام) : سمع رجلاً يستغفر لأبويه، وهما مشركان؛ فذكر الإمام علي (عليه السلام)
 ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنزلت آية النهي عن الاستغفار للمشركين^(٣).
 وفي أخرى: أن المسلمين قالوا: ألا نستغفر لأبائنا؟! فنزلت^(٤).
 أما الرواية التي تقول: أن الآية نزلت حين استأذن (صلى الله عليه وآله وسلم) الله تعالى في الاستغفار لأمه، فلم يأذن له، ونزلت الآية، فسأله أن

-
- ١- لقد كان جعفر بالحيشة، فإما أن يكون قد جاء في زيارة قصيرة ثم رجع. وإما أن يكون الراوي ذكره من عند نفسه، سهواً أو عمداً.
 - ٢- الغدير ج ٧ ص ٣٩٩ عن كتاب الحجّة لابن معد ص ٦٨.
 - ٣- الغدير ج ٨ ص ١٢ ومصادر أخرى ستأتي إن شاء الله تعالى.
 - ٤- مجمع البيان ج ٥ ص ٧٦ عن الحسن، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣ وأبو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٨ عنهما، وعن الأعيان ج ٣٩ ص ١٥٨ و ١٥٩ عن ابن عباس والحسن، والكشاف ج ٢ ص ٢٤٦.

يزور قبرها، فأذن له^(٨).

فلا يصح الاستدلال بها على ما نحن بصدده، ولا على غيره، لأننا أثبتنا أن آباء النبي (ﷺ) كانوا من المؤمنين، فلا تصح دعوى نهي الله تعالى نبيه عن الإستغفار لأمه.

وفي جميع الأحوال نقول:

لا مجال لما يدعونه من أن الآية المذكورة قد نزلت في أبي طالب، خصوصاً إذا أضيف إليه ما قدمناه من شواهد وأدلة على إيمان شيخ الأبطح، وأضيف إليه أيضاً أن الآية بصدده نهي طائفة من المؤمنين الاستغفار لأقاربهم من أهل الشرك.

ويكون ذكر النبي (ﷺ) في جملتهم في الآية الشريفة نظير قوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى التَّيِّبِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ

١ - جامع البيان للطبري ج ١١ ص ٣١ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٣ وإرشاد الساري ج ٧ ص ٢٨٢ و ١٥٨ عن مسلم في صحيحه، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٩٤ وأحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه والكشاف ج ٢ ص ٤٩ وأبو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٩. وراجع: تفسير الثعلبي ج ٥ ص ١٠٠ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٣١ والغدير ج ٨ ص ١٣ وفتح الباري ج ٨ ص ٣٩٠ والمحزر الوجيز لابن عطية الأندلسي ج ٣ ص ٩٠ وتفسير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٥٤ والعجاب في بيان الأسباب ج ١ ص ٣٧٠ وإيمان أبي طالب ص ١٢٣ و ١٢٤.

اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ^(١) فإنه من أجل طمأننتهم، وتأنيسهم، والرفق بهم، والمداراة لهم، لا لأنه (ﷺ) كان يفعل كفعالهم، فإن النبي (ﷺ) لم يكن ليقدّم على أمر حتى يعرف رضا الله به، ويستأذنه سبحانه وتعالى فيه.

أبو طالب (عليه السلام) الشيخ المهتدي:

وزعموا أيضاً: أنه لما توفي أبو طالب، جاء علي (عليه السلام) إلى النبي (ﷺ)، وقال له: إن عمك الشيخ الضال قد توفي^(٢).

١ - الآية ١١٧ من سورة التوبة.

٢ - المصنف للصنعاني ج ٦ ص ٣٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ١٥٥ وج ٧ ص ٤٩٩ والسنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ١٠٧ و ٦٤٧ وج ٥ ص ١٥١ والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٤٠١ وتلخيص الحبير ج ٥ ص ١٤٩ و سنن أبي داود ج ٢ ص ٨٣ و سنن النسائي ج ٤ ص ٧٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٨ وفتح الباري ج ٧ ص ١٤٨ و تحفة الأحوذني ج ٤ ص ٦١ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٢ ص ٣١٥ وخصائص أمير المؤمنين "عليه السلام" للنسائي ص ٣٦ و ١٢٧ ومسنند أبي يعلى ج ١ ص ٣٣٥ وتنقيح التحقيق للذهبي ج ١ ص ٣٠٧ ونصب الرابة ج ٢ ص ٣٣٣ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ٢٣٦ وكنز العمال ج ١٣ ص ١١٩ وج ١٤ ص ٣٦ و ٣٧ و فيض القدير ج ٣ ص ٨٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٨٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٤٣ وتفسير القرآن = = العظيم ج ٢ ص ٤٠٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٢٤ والكامل لابن عدي ج ٢ ص ٣٢٦ وعلل الدارقطني ج ٤ ص ١٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٦ ص ٣٣٥ وسير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٨٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٧.

بل في رواية: أن الإمام علياً (عليه السلام) رفض ما أمره به النبي (صلى الله عليه وآله) من تغسيله، ودفنه، فطلب من غيره أن يتولى ذلك^(١).
ونقول:

أولاً: قد روى أحمد في مسنده والبلاذري وغيرهما هذه الرواية، وفيها: إن عمك الشيخ قد توفي، من دون ذكر كلمة "الضال"^(٢). فلماذا هذا الدس في الرواية؟!

ثانياً: إن نفس أن يخاطب علي (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الطريقة: "إن عمك الشيخ الضال.. الخ.. هو أمر لا ينسجم

١ - المصنف للصنعاني ج ٦ ص ٣٩ وراجع: كنز العمال (ط الهند) ج ١٧ ص ٣٢ و ٣٣ ونصب الراية ج ٢ ص ٢٨١ و ٢٨٢ وفي هامشه عن عدد من المصادر.

٢ - مسند الإمام أحمد ج ١ ص ١٠٣ و ١٢٩ . ١٣٠ . والسنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٣٠٤ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٣٣٥ ح ٤٢٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٦ ص ٢٥١ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمدي) ج ٢ ص ٢٤ وفيه: أنه أمره هو فواراه.

مع أدب الخطاب مع الرسول، في الوقت الذي كان يمكن له أن يقول: إن أبي الشيخ "الضال" قد توفي. ولا يمكن أن يحتمل أحد أن يصدر من علي (عليه السلام) ما يناهز الآداب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو مع غيره.

ثالثاً: لو لم يكن أبو طالب مؤمناً فلماذا يأمره بتغسيله؟! فهل يغسل الكافر؟!!

رابعاً: ماذا يصنع هؤلاء بما ورد في كثير من المصادر، من أن الإمام علياً (عليه السلام) هو الذي تولى تغسيل أبي طالب ودفنه، واغتسل بعد تغسيله إياه غسل المس الواجب على من مس أي ميت مسلم؟!^(١).

خامساً: هناك عشرات الأدلة والشواهد على إيمان أبي طالب "صلوات الله وسلامه عليه".

سادساً: إن الأحاديث تصرح بأنه (عليه السلام) قد حزن على

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١ وراجع: تذكرة الفقهاء (ط.ج) ج ٢ ص ١٣٣ و (ط.ق) ج ١ ص ٥٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٦ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص ١٢٢ و (ط قم سنة ١٤١٠هـ) ص ٢٦٥ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٥٥٧ وإيمان أبي طالب للمفيد ص ٢٥ وجمار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٦٠ و ٢٦١ وج ٢٣ ص ١٢٥ و ١٦٣ والغدير ج ٧ ص ٣٨٦ والدرجات الرفيعة ص ٦١ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٨٢ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٧٧.

أبي طالب، وترحم عليه، ودعا له، وعارض جنازته، ومشى فيها.. وو إلخ.. وهي تنافي هذا الحديث الذي يصف أبا طالب بالضال.

رثاء علي (عليه السلام) لأبي طالب:

وقد رثى علي (عليه السلام) أبا طالب بقوله:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول، ونور الظلم

لقد هد ففدك أهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم

ولَقَّأَكَ رُبُّكَ رِضْوَانَهُ فَقَدْ كُنْتَ لِلْمَصْطَفَى خَيْرَ عَمٍّ^(١)

ورثاه (عليه السلام) أيضاً بقوله:

أرقت لطير آخر الليل غردا يذكرني شجوا عظيما مجددا

أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى جواداً إذا ما أصدر الأمر أوردنا

فأمست قريش يفرحون بموته ولست أرى حيا يكون مخلدا

أرادوا أمورا زينتها حلومهم ستوردهم يوماً من الغي موردا

ويرجون تكذيب النبي وقتله وأن يُفترى قدما عليه ويُجددا

١ - بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١١٤ والغدير ج ٣ ص ١٠٦ وج ٧ ص ٣٧٩ و ٣٨٨ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٤٥٩ وج ٦ ص ٥٥٨ والدر النظيم ص ٢١٩ والكنى والألقاب ج ١ ص ١١٠ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص ١٢٢ وتذكرة الخواص ص ٩ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٦٧ و ٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٢٢٩.

كذبتُم وبيتِ الله حتى نذيقكم صدور العوالي والحسام المهندا
فإما تبيدوننا وإما نبيدكم وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإن الحي دون مُجَّد بني هاشم خير البرية محتدا
وهذه الأبيات توجد في الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) مع تغيير يسير وزيادة، وإليك نصها:
أرقت لنوح (لطيِّر) آخر الليل غردا يذكرني شجوا عظيما مجددا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى وذا الحلم لا خلفا ولم يك قعددا
أخا الملك خلى ثلثة سيسدها بنو هاشم أو يستباح فيهمدا
فأمست قريش يفرحون بفقده ولست أرى حيا لشيء مخلدا
أرادت أمورا زينتها حلومهم ستوردهم يوما من الغي موردا
ويرجون تكذيب النبي وقتله وأن يفتروا بهتاً عليه ويجحدا
كذبتُم وبيتِ الله حتى نذيقكم صدور العوالي والصفيح المهندا
ويبدو منا منظر ذو كريهة إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
فإما تبيدوننا وإما نبيدكم وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإن الحي دون مُجَّد بنو هاشم خير البرية محتدا
وإن له فيكم من الله ناصرا ولست بلاق صاحب الله أوحدا
نبي أتى من كل وحي بحظه فسماه ربي في الكتاب مُجَّدا
أغر كضوء البدر صورة وجهه جلا الغيم عنه ضوءه فتوقدا

أمين على ما استودع الله قلبه وإن كان قولاً كان فيه مسدداً^(١)
ونقول:

إن هذا الرثاء تضمن ما يلي:

- ١- الإشادة بخصال امتاز بها أبو طالب (عليه السلام) ، ومنها جوده، وحصافة رأيه، وحسن تدبيره، وإيوائه للصعاليك والضعفة، واعتصام المستجيرين به. وهو يغيث الناس بعطاياه في أوقات العُدْم والمحل.
- ٢- إنه علم من أعلام الهداية، ونور للناس في الظلمات.
- ٣- إن فقد أبي طالب قد هدّ أهل الحفاظ.
- ٤- إنه يصلي على أبي طالب، ويطلب له رضوان الله..
- ٥- إنه يعبر عن عظيم حزنه لفقد أبي طالب.
- ٦- إن موته قد ترك ثلماً عظيمة، لا يسدها إلا قبيلة بني هاشم بأسرها.

١- الغدير ج ٧ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ عن ديوان أمير المؤمنين، وعن ابن أبي الحديد. يضاف إلى ذلك. مع بعض الاختلاف :- تذكرة الخواص ج ١ ص ١٤٩ و ١٥٠ وترجمة أبي طالب من تاريخ دمشق ج ٦٦ ص ٣٤٤ وديوان الإمام علي (ط بيروت) ص ٦٩ ٧٠ وسيرة ابن إسحاق ص ٢٣٩. وراجع: حلية الأبرار ج ١ ص ١٠٥ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ١٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٦ ص ٣٤٤ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٦٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٢٢٩.

- ٧ . إن قريشاً قد فرحت بموت هذا الطود الشامخ، مع أن من يشمت بموت الآخرين لا يمكنه أن يضمن الخلود لنفسه، وهذا يدل على عدم صحة الشماتة بالموت، لأنه سيحل بالشامت أيضاً كما حلّ بغيره ..
- ٨ . إنه يقرر أن من الخطأ الفادح الإقدام على أمور من دون النظر إلى عواقبها، وهذا ما وقعت فيه قريش، وليس من شيمة العقلاء الوقوع في مثل ذلك ..
- ٩ . لقد بين (عليه السلام) أن الصراع مع قريش صراع مصير ووجود .. إلا إذا تراجعت قريش عن موقفها الظاهر، وأقرت بأن السلم مع العشيرة هو الأقرب إلى الرشد والعقل.
- ١٠ . إن ناصر النبي (صلى الله عليه وآله) على المعاندين من قريش هو الله سبحانه، فلا يظن أحد أن النبي (صلى الله عليه وآله) لا ناصر له. فإن من كان الله معه لا يفقد شيئاً، ومن لم يكن الله معه، فلا شيء معه ينفعه.
- ١١ . ثم إنه (عليه السلام) يصف النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بصفات ظاهرية وباطنية، ويقول: إن صورة وجهه كضوء البدر، حين يجلو ضوءه الغيم، فيبدوا متوقداً.
- ويصفه بأنه أغز: أي كريم الأفعال واضحها، أو الأبيض من كل شيء^(١).
- ١٢ . ثم يصفه بما لا بد لهم من الإقرار به، وبما يقودهم إلى الإيمان

١ - لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣ و (نشر أدب الحوزة . قم) ج ٥ ص ١٤ .

والتصديق بنبوته، وهو صفتان:

الأولى: إنه أمين على ما استودع الله قلبه، فلا يفرط في الأمانة، ولا يستهين بها.

الثانية: أنه مسدّد في أقواله، وهو تعبير آخر عن صدقه.

ومن الواضح: أن الصادق والأمين هما من ألقاب رسول الله (ﷺ) التي شاعت وذاعت وعرفت عنه منذ نشأته، ومن كان كذلك فلا بد من تصديقه فيما يقول، كما لا مجال لاثامه بالتهاون فيما أوّمن عليه، وبأنه زاد أو نقص، أو حرّف وتصرّف فيه..

في شعر أبي طالب علم كثير:

وروا: "أن علياً (عليه السلام) كان يعجبه أن يُروى شعر أبي طالب (عليه السلام) ، وأن يدوّن، وقال: تعلّموه، وعلموه أولادكم، فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير"^(١).

١- راجع: بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١١٥ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٠٩ والغدير ج ٧ ص ٣٩٣ و ٣٩٤ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٧ ص ٣٣١ و (ط دار الإسلامية) ج ١٢ ص ٢٤٨ ومستدرك الوسائل ج ١٥ ص ١٦٦ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٧ ص ٢٥٥ و ج ٢١ ص ٤٠٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٤٣٦ و ج ٦ ص ٥٥٨ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٠٩ وإيمان أبي طالب ص ٨٨ والحجة على الناهب الى تكفير أبي طالب ص ١٣٠ وضياء العالمين.

ونقول:

في هذا النص العديد من اللمحات والدلالات، ومنها:

- ١ . إن الله تعالى حين ذم الشعراء، فإنما ذم منهم اولئك الذين يتجاوزون الواقع، ليعيشوا في خضم الأوهام، حيث يتنكبون سبيل الهداية، ليهيموا على وجوههم، دون أن يكون لديهم روادع عن الدخول في أي وادٍ كان..
وليس هذا هو ديدن العقلاء، فإنهم لا يدخلون في شيء إلا بعد معرفة وجوه الصلاح والفساد فيه، ويعلمون ما ينتهي إليه أمرهم..
- ٢ . أما شعر أبي طالب، ففيه علم كثير، أي أن فيه الكثير من الحقائق والمعايير والضوابط التي تزيد من حصانة الإنسان ضد الجهالات، وتصونه من الوقوع في الخطأ، وتعصمه عن الضلالات.. وتعطيه المزيد من الوضوح في كل سبيل يختار السلوك فيه.
- ٣ . ولأجل ذلك كان علي (عليه السلام) يجب نشر هذا الشعر وإشاعته، من حيث أنه يجب نشر العلم، ليتكامل به الناس، وليكون عوناً لهم على حل مشاكلهم، وتذليل صعوبات الحياة لهم، لأنه (عليه السلام) يجب للناس الخير والصلاح، والهداية والفلاح، والسداد والنجاح.
- ٤ . وبمقدار ما كان (عليه السلام) يجب نشر هذا العلم، فإنه كان يجب الحفاظ عليه، وتمكين الأجيال الآتية منه، فكان (عليه السلام) يجب لهذا

الشعر أن يُدَوَّن، لأنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثاقب النظر بعيد المهمة، يشعر بمسؤوليته عن الصلاح والإصلاح لحياة الناس، حتى الذين لم يولدوا بعد منهم، لأن بصلاحهم يصلح كل شيء يتعاطون معه حتى الماء والهواء، والشجر والحجر، والنبات، والجماد، والإنسان والحيوان، وما في البر والبحر، على قاعدة: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ^(١).

وهناك قاعدة أخرى في ضد ذلك بينها الله تعالى بقوله: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) ^(٢).

٥ . ما ذكرناه فيما سبق ينتج أن ثمة مسؤولية تقع على عاتق كل فردٍ من الناس، لا بد من التصدي لإنجازها.. وهي أن يتعلموا هذا العلم، لتناهم بركاته، وليستفيدوا منه في صلاح أنفسهم، وإصلاح أمورهم وأحوالهم..

٦ . هناك مسؤولية أخرى يتحملها الناس كلهم أيضاً فرداً فرداً، وهي تعليم هذا الشعر لأولادهم.. من حيث أن الإنسان بما له من عاطفة ورابطة طبيعية بأولاده، يندفع إلى تعليمهم وتربيتهم، وإيصال الخير لهم، وإصلاح أحوالهم، من موقع التعقل والروية - والحزم..

١ - الآية ٩٦ من سورة الأعراف.

٢ - الآية ٤١ من سورة الروم.

وهو يسعى لمنعهم من كل ما يشينهم، وما يرى أنه مضر بهم، حتى لو كان هو لا يمتنع عنه. أي أنه يرضى الإضرار بنفسه، لكنه لا يرضاه لأولاده.. وتراه لا يسعى لتثقيف نفسه، لكنه يفرض على أبنائه أن يتقفوا أنفسهم، وهو لا يتعلم، ويبدل كل ما يملك ليعلمهم. ولأجل ذلك وسواه يأمر علي (عليه السلام) الناس بأن يتعلموا شعر أبي طالب، معللاً ذلك بأن فيه الكثير من العلم، والكثير من النفحات الإيمانية، وأن يعلموه أولادهم..

نقش خاتم أبي طالب:

عن الإمام الرضا (عليه السلام) . وروي عن آباءه أيضاً بعدة طرق: أن نقش خاتم أبي طالب كان:
"رضيت بالله رباً، وبابن أخي محمد نبياً، وبابني علي له وصياً"^(١).

ونقول:

أولاً: يبدو أن أبا طالب قد علم بهذا الأمر، أعني بالنبي والوصي، وآمن به منذ ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حيث قد رأى دلائل ذلك في أكثر من حادثة، وقد تقدم شيء من ذلك في بعض الفصول في أول هذا الكتاب. بل إن علائم النبوة وبشائرها، كانت ظاهرة في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يعرفها حتى الأحبار والرهبان فيه بمجرد رؤيتهم له " (عليه السلام) " ،

١ - تفسير أبي الفتوح ج ٨ ص ٤٧١ والدرجات الرفيعة ص ٦٠ ومحبوب القلوب ج ٢ ص ٢١٩ والغدير ج ٧ ص ٣٩٥ وإيمان أبي طالب ص ٨٩.

فكيف بالأقربين إليه، كما ان أخبار قرب ظهوره (ﷺ) كانت منتشرة وشائعة، كما أن دلائل امامة علي (عليه السلام) كانت ظاهرة وخصوصاً للأقربين منذ ولادته (عليه السلام) ، وقد مرت بنا بعض الروايات حول ذلك..

بل لعل الصحيح هو: أن أبا طالب قد علم به من خلال ما عرفه من الأسرار، حيث كان مستودعاً للوصايا، كما أشير إليه في بعض النصوص^(١).

ثانياً: نقل المعتزلي وغيره أن علي بن يحيى البطريق كان يقول عن مدائح أبي طالب (عليه السلام) للنبي (ﷺ):
"لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبي طالب، وهو شيخ قريش ورئيسها، وذو شرفها يمدح ابن أخيه مُجَدَّاً، وهو شاب قد ربي في حجره، وهو يتيمه ومكفوله، وجار له مجرى أولاده بمثل قوله:
وتلقوا ربيع الأبطحين مُجَدَّاً على ربوة في رأس عنقاء عيطل
وتأوي إليه هاشم إن هاشماً عرانيين كعبٍ آخر بعد أول
ومثل قوله:

١ - راجع: الكافي ج ١ ص ٤٤٥ وبحار الأنوار ج ١٧ ص ١٣٩ وج ٣٥ ص ٧٣ والغدير ج ٧ ص ٣٩٤ والتفسير الصافي ج ٤ ص ٩٦ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٠٩ ومجمع البحرين ج ١ ص ٤٦١ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٥٠ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٨٨.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

فإن هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابي من الناس، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء.

فإذا تصورت أنه شعر أبي طالب، ذاك الشيخ المبجل العظيم في النبي مُحَمَّد (ﷺ)، وهو شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه في حجره غلاماً، وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً، يأكل من زاده، ويأوي إلى داره، علمت موضع خاصية النبوة وسرها، وأن أمره كان عظيماً^(١).

وإنما ذكرنا كلام هذا الرجل بطوله هنا لكي نسوقه بعينه بحق أبي طالب في موقفه من ولده علي (عليه السلام) .. فأبو طالب وهو شيخ قريش، وذو شرفها، والمبجل العظيم فيها، ينقش على خاتمه معلناً رضاه إبنه علياً وصياً للنبي (ﷺ)، وهو ابنه الذي رباه في حجره غلاماً، وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً، يأكل من زاده، ويأوي إلى داره، ويراه في جميع حالاته، ويرصده ويراه، ويرعاه في كل التفاصيل، وله عليه حق الأبوة، ومقام الرعاية، وفضيلة التنشئة والتربية...

١ - شرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٣ وخصائص الوحي المبين ص ٤٥.

تضحيات علي (عليه السلام) تضحيات أبي طالب:

وسياتي في غزوة بدر ما ملخصه: أنه لما جرح عبيدة بن الحارث بن المطلب، وقال لرسول الله: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه.

كذبتهم وبيت الله ييزى محمد ولما نطاعن دونه وناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال (ﷺ): أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟!

قال: يا رسول الله أسخطت علي في هذه الحالة؟!

قال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي، فانقبضت لذلك^(١).

ثم لم يلبث عبيدة أن استشهد، بسبب جراحته تلك، رضوان الله تعالى عليه.

ونقول:

قد ذكرنا هذه الواقعة في كتابنا الصحيح من سيرة النبي (ﷺ)، في غزوة بدر، فلا بأس بمراجعتها هناك.. غير أننا نحب أن نشير

هنا إلى ما يلي:

١- راجع: تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٥ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٥٥ والصافي ج ٢ ص ٢٨١ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٣٢.

أولاً: قد ظهر أن النبي (ﷺ) يعتبر جهاد علي وجعفر (عليهما السلام) جهاداً لأبي طالب (عليه السلام) نفسه، فإنهما ثمرة من ثمرات تربيته، ونور من أنوار حكمته، وإيمانه وقبس من تضحياته، وهو الذي كان يدفعهما للتضحية في سبيل هذا الدين، ويشجعهما على الإستقامة على طريق الحق والهدى، ويوفر لهما كل المناخات اللازمة لذلك..

ثانياً: إنه (ﷺ) يشهد على صحة نوايا علي وجعفر (عليهما السلام) وبإخلاص علي (عليه السلام) في تضحياته لله ولرسوله، فلا معنى لادعاء عمر بن الخطاب: أنه (عليه السلام) كان يحسد أو يرائي في ما يظهره من زهد، وعبادة وتقوى^(١).
نور أبي طالب (عليه السلام) :

سأل أحدهم الإمام علياً (عليه السلام) في رحبة الكوفة فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله، وأبوك معذب في النار؟! فقال له: مه، فض الله فاك!! والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم! أبي معذب في النار، وابنه قسيم الجنة والنار؟!

ثم قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفى أنوار الخلق إلا خمسة أنوار: نور محمد، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ومن ولدته من الأئمة، لأن نوره من نورنا الذي خلقه الله

١- سيأتي الحديث عن ذلك إن شاء الله في فصل: عمر وخلافة علي " عليه السلام " .

تعالى من قبل أن يخلق آدم بألفي عام^(١).

ونقول:

أولاً: ما معنى هذا التغيظ من أمير المؤمنين (عليه السلام) على رجل لم يزد على أن طرح سؤالاً عليه، بل لقد بلغ به الأمر إلى حد الدعاء عليه بأن يفض الله فاه؟! فبأي شيء استحل (عليه السلام) ذلك منه؟!

ونجيب:

أولاً: إن الرواية لم تصرح لنا بسبب غيظه (عليه السلام) ، غير أن من

١ - الأمالي للطوسي ص ٣٠٥ و ٧٠٢ والمحاسن ٤ حديث ٢ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص ٩٥ و ٩٦ و (ط دار سيد الشهداء . قم) ص ٧٤ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٦٩ و ١١٠ والإحتجاج ج ١ ص ٥٤٦ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ٣٤٠ وكنز الفوائد ج ١ ص ١٨٣ وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٨٣ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٤٢ والغدير ج ٧ ص ٣٨٧ وبشارة المصطفى ص ٢٠٢ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣١٢ ومائة منقبة لابن شاذان ص ١٥٣ وخاتمة = المستدرك ج ٥ ص ٢٠ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص ١٧٤ وكنز الفوائد ص ٨٠ والعقد النضيد والدر الفريد ص ٣٠ والصراط المستقيم ج ١ ص ٣٣٦ والصافي ج ٤ ص ٩٧ والدرجات الرفيعة ص ٥٠ وعن البرهان ج ٣ ص ٢٣١ وتأويل الآيات ج ١ ص ٣٩٦ وغاية المرام ج ١ ص ١٦٣ و ج ٢ ص ٢٩٣ وإيمان أبي طالب ص ٧٨.

الممكن أن يكون قد عرف أن ذلك الرجل كان عارفاً بالحق، لكنه يريد التشنيع على علي (عليه السلام) بأمر يعلم بطلانه.. ولعل شهرة إيمان أبي طالب في تلك الفترة كانت بحيث يكون السؤال عن إيمانه من المحرمات، تماماً كالسؤال عن إيمان الأنبياء وأوصيائهم، فإنه لا يكون إلا من مريض القلب، ظاهر العداء لهم.

ثانياً: إن حديث أمير المؤمنين عن نور أبي طالب بهذه الطريقة يدلنا على أن لأبي طالب مقاماً هو فوق مقام الأنبياء بما فيهم إبراهيم وأوصيائهم (عليهم السلام)، باستثناء نبينا الأعظم وأوصيائه صلى الله عليه وعليهم. ولذلك حكم (عليه السلام) بأن نوره يطفى أنوار كل الأنبياء والأوصياء السابقين على نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ليرى الخلق كرامة وعظمة وتضحيات أبي طالب.. التي يراد طمسها، ولو بالإفتراء والتجني عليه في حياته وبعد وفاته، وإلى يومنا هذا..

وقد أكد ذلك (عليه السلام) حين أخبر بأن نور أبي طالب خلق مع أنوار النبي والأئمة قبل أن يخلق آدم (عليه السلام) بألفي عام. ثالثاً: إنه (عليه السلام) يستدل على عدم عذاب أبي طالب بالنار بأن ابنه قسيم الجنة والنار.. وهذا يدل على أن ذلك السائل كان يقر بإيمان أبي طالب، ولكنه يدعي أنه لا تناله الشفاعة..

فأجابه (عليه السلام) بأمر ثلاثة:

الأول: أن القضية معكوسة، فإن أبا طالب هو الذي يشفع في الخلائق، وأن كرامته عند الله بحيث لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه

الله فيه .. ومثله لا يمكن أن يكون في النار، فضلاً عن أن يحتاج إلى شفاعة أحد..

الثاني: لو سُئِمَ جدلاً . أن أبا طالب في النار، فإذا كان ولده قسيم الجنة والنار، ويقدر على أن يأخذه إلى الجنة من خلال الشفاعة، فلماذا لا يفعل ذلك؟!

إلا إذا فرض أن هذا الولد ليس باراً بأبيه، ولا يراعي أبسط القواعد الأخلاقية التي أمر الله بمراعاتها.. وفي هذه الحالة لا يستحق أن يكون قسيم الجنة والنار.

الثالث: ما أشرنا إليه آنفاً من أن من يكون نوره من نور مُحمَّد وأهل بيته، وقد خلق نوره قبل آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بألفي عام، ويطفئ نوره حتى نور الأنبياء والأوصياء باستثناء مُحمَّد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، والأئمة من بعده (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، لا يمكن أن يكون من أهل النار.. وذلك واضح لا يخفى.

من ينشدنا شعر أبي طالب:

وحين استسقى النبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأهل المدينة، وخاف أهل المدينة من الغرق، وقال (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): اللهم حوالينا ولا علينا.. قال (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وهو على المنبر: "لله در أبي طالب، لو كان حياً لقرت عيناه، من الذي ينشدنا شعره"؟! فقال علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): يا رسول الله، كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال: أجل. فأنشده أبياتاً من القصيدة، ورسول الله (ﷺ) يستغفر لأبي طالب على المنبر إلخ..^(١).
ونقول:

١. لا ريب في أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي يفهم مرامي رسول الله (ﷺ)، ويترجمها سلوكاً وحركة وموقفاً..
٢. إن طلب رسول الله (ﷺ) إنشاد خصوص هذا الشعر في هذه المناسبة، ثم استغفر له، وهو على المنبر، لعله لأجل أن يتناقل

١ - الغدير ج ٧ ص ٣٧٤ و ٣٧٥ عن أعلام النبوة للماوردي ص ٧٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٨١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١١٦ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٧٠ وبدائع الصنائع ج ١ ص ٢٨٣ وعمدة القاري ج ٧ ص ٣١ وشرح شواهد المغني ج ١ ص ٣٩٨ وأسنى المطالب ص ٢٦ وطلبة الطالب ص ٤٣ والسيرة = = النبوية ج ١ ص ٤٣ وروضة الواعظين ص ١٣٩ ومستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٣٨٨ والأمالى للمفيد ص ٣٠٣ والأمالى للطوسي ص ٧٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٤ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٢ وج ٣٥ ص ٧٥ وج ٨٨ ص ٣٣٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٢ ص ٥٧٤ وفتح الباري ج ٢ ص ٤١١ والأحاديث الطوال ص ٧٣ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٢ ص ٦٦ وكنز العمال ج ٨ ص ٤٣٨ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ١٢٥ و ١٢٧ وتنبيه الغافلين ص ٦٩ وإيمان أبي طالب ص ٦٠.

الناس موقفه هذا من أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، لأنه الرجل العظيم، الذي تتعمدون الإفتراء عليه في أغلى شيءٍ لديه، ألا وهو دينه وإيمانه، فيتهمونه بالكفر والشرك..

٣ . قد يستفاد من هذا الموقف النبوي الكريم أن أبا طالب حين قال هذه القصيدة لم يكن ينساق وراء تخيلاته الشعرية، بل كان يعبر عن وقائع يعلمها، ويعتقد بها.

٤ . لقد حرص النبي (ﷺ) على ألا ينشد هو هذا الشعر، لا لأنه لا يحسن التكلم به، فإن ذلك غير مقبول.. بل لعله كان يخشى أن يقول المتقولون الحاقدون بأن له يداً في صنع هذا الشعر، ونسبته إلى أبي طالب.

ولعله يريد أيضاً أن يظهر امتياز علي (عليه السلام) ، وفهمه مرامي وإشارات رسول الله (ﷺ) أكثر من كل من عداه.. أو أن كلا هذين الأمرين أو غيرهما مما ينضم إليهما كان مقصوداً له أيضاً..

علي (عليه السلام) وآية النهي عن الإستغفار للمشركين:

وذكر الشريف النسابة العلوي المعروف بـ "الموضح" بإسناده: أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاة على الموتى، فما صلى النبي (ﷺ)

، على أبي طالب ولا على خديجة، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب، وعلي، وجعفر، وحمزة جلوس، فقاموا، وشيعوا جنازته، واستغفروا له.

فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً . ظناً منهم أن أبا طالب مات مشركاً، لأنه كان يكتنم لإيمانه . فنفى الله عن أبي طالب الشرك، ونزه نبيه والثلاثة المذكورين من الخطأ في قوله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ) (١) (٢).

وعن علي (عليه السلام) : أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فذكر (عليه السلام) ذلك للنبي (ﷺ)، فنزلت آية النهي عن الإستغفار للمشركين (٣).

١ - الآية ١١٣ من سورة التوبة.

٢ - بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١٢٧ والغدير ج ٧ ص ٣٩٩ عن كتاب الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب لابن معدّ ص ٦٨ و (ط دار سيد الشهداء . قم) ص ٢٦٨ .
٣ - أسنى المطالب ص ١٨ ومسنّد أحمد ج ١ ص ١٣٠ و ١٣١ والمستدرک للحاکم ج ٢ ص ٣٣٥ وعمدة القاري ج ٨ ص ١٨٢ ومسنّد أبي يعلى ج ١ ص ٤٥٧ وكنز العمال ج ٢ ص ٤٢١ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٩٣ والإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٩٨ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٢ وفتح القدير ج ٢ ص ٤١١ وإيمان أبي طالب ص ١٢٢ وشيخ الأبطح، وأبو طالب مؤمن قريش والغدير ج ٨ ص ١٢ عن الطيالسي وأحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي، والنسائي، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وإبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم وصححه والضياء في المختارة، والإتقان، وأسباب النزول، والكشاف، وابن كثير، وأعيان الشيعة ..

ونقول:

قد دلت هاتان الروايتان على إيمان أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، إلا أن في الرواية الأولى إشكالين، يحتاجان إلى جواب، وهما:

الأول: قد ذكرت الرواية الأولى جعفر بن أبي طالب في جملة الذين شيعوا جنازة أبي طالب رضوان الله تعالى عليه..

ومن المعلوم: أن جعفرًا كان حينئذٍ في بلاد الحبشة، ورجع منها إلى المدينة سنة فتح خيبر، إلا أن يقال: إنه عاد لفترة وجيزة إلى مكة، حين سرت شائعة بلغت المسلمين في الحبشة مفادها أن الوثام والسلام قد حلّ بين المشركين والمسلمين.. فعاد قسم منهم إلى مكة فوجدوا أن هذا الأمر لا حقيقة له، فمكثوا يسيراً ثم عادوا أدراجهم..

الثاني: إنه ليس من المعقول: أن تُشيع جنازة أبي طالب، ولا يحضر تشييعها أخوه حمزة، وابتاؤه البرة به منذ اللحظة الأولى لبدء التشييع، فما معنى قول الرواية: "اجتازت جنازة أبي طالب، وعلي جعفر، وحمزة جلوس، فقاموا وشيعوا جنازته".

الصلاة على أبي طالب:

و قالوا: إنه لم يصل على أبي طالب (عليه السلام) ، لأن الصلاة على الميت لم تكن قد فرضت..

ونحن لا نطمئن إلى صحة ذلك، فقد كانت الصلاة على الميت قد فرضت من عهد آدم، وقد صلى عليه ولده "هبة الله" بأمر جبرئيل (عليه السلام) (١).

وفي الروايات: أنه صَلَّى على عابد من عباد بني إسرائيل في عهد داود (عليه السلام) أيضاً (٢).

وفاء علي (عليه السلام) ودفاعه عن أبي طالب:

ونذكر هنا بعض ما تضمن دفاع علي (عليه السلام) وثنائه عن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه. فمن ذلك:

١. عن الإمام السجاد (عليه السلام): إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يأمر أن يحج عن عبد الله وابنه، وأبي طالب في حياته، ثم أوصى

في

-
- ١- الكافي ج ٨ ص ١١٤ وكمال الدين ص ٢١٤ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٥٣ ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٦٧ وبحار الأنوار ج ١١ ص ٤٥ وج ٢٣ ص ٦٤ وج ٧٨ ص ٣٤٦ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣١٥ و ٣١٦ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ١٢٥ وتفسير العياشي ج ١ ص ٣١٠.
 - ٢- كتاب الزهد للحسين بن سعيد الكوفي ص ٦٦ وبحار الأنوار ج ١٤ ص ٤٢ وج ٦٩ ص ٣٠٢ وج ٧٨ ص ٣٨٤ وج ٧٩ ص ٦١ عنه، والحدائق الناضرة ج ١٠ ص ٤٣٩ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٧٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٨٥ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٩٢٥ والجواهر السننية للحر العاملي ص ٨٥.

وصيته بالحج عنهم^(١).

وقد احتمل بعض الإخوان أن كلمة: "وابنه" تصحيف "آمنة" أو تصحيف كلمة "أبيه"، يعني عبد المطلب، ولم نجد شاهداً يؤيد هذا الاحتمال. وإن كنا لا نمنع من إثارته.

٢. عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: "والله، ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط.

قيل له: فما كانوا يعبدون؟!

قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم (عليه السلام)، متمسكين به"^(٢).

٣. عنه (عليه السلام): "كان - والله - أبو طالب، عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً، يكتُم إيمانه، مخافة على بني هاشم أن تنابذها

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج ١٤ ص ٦٨ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ١١٢ و ١٥٧ والغدير ج ٧ ص ٣٨٠ والدرجات الرفيعة ص ٤٩ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص ٨٥ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٦٩.

٢ - كمال الدين ص ١٠٤ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ١٧٤ وبحار الأنوار ج ١٥ ص ١٤٤ ج ٣٥ ص ٨١ والغدير ج ٧ ص ٣٨٧ والدر النظيم ص ٢٢١ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٧٩ وتفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٠ وعن البرهان ج ٣ ص ٧٩٥.

قريش" (١).

٤ . وقيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) : من كان آخر الأوصياء قبل النبي (صلى الله عليه وآله) ؟!

قال: أبي (٢).

٥ . عن العباس بن عبد المطلب قال: قال أبو طالب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا ابن أخي، الله أرسلك؟!

قال: نعم.

قال: فأرني آية.

قال: ادع لي تلك الشجرة.

فدعاها، فأقبلت حتى سجدت (٣).

-
- ١ - وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٦ ص ٢٣٢ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٨٠ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ١١٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٥٨٣ والغدير للأميني ج ٧ ص ٣٨٨ والحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب ص ١٢١ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٨٠.
 - ٢ - الغدير ج ٧ ص ٣٨٩ عن ضياء العالمين للفتوي، وإيمان أبي طالب للأميني ص ٨٢.
 - ٣ - الغدير ج ٧ ص ٣٩٥ عن الأمالي للصدوق ص ٣٦٥ و(ط مؤسسة البعثة) ص ٧١١ وروضة الواعظين ص ١٣٩ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١١٢ وبحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧٠ وج ٣٥ ص ٧١ والدرجات الرفيعة ص ٥٠ والدر النظيم ص ١٣٤ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٩٠.

ورواه السيد ابن معد، ولفظه: قال أبو طالب بمحضر من قريش، ليريهم فضله: يا ابن أخي، الله أرسلك؟! قال: نعم.

قال: إن للأنبياء معجزاً وخرق عادة، فأرنا آية.

قال: ادع تلك الشجرة، وقل لها: يقول لك محمد بن عبد الله: أقبلي بإذن الله.. فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه، ثم أمرها بالإنصراف فانصرفت. فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق.

ثم قال لابنه علي (عليه السلام): يا بني، الزم ابن عمك^(١). ونقول:

إننا نذكر القاريء بما يلي:

١- لم يكن علي (عليه السلام) يكتفي بالأقوال المصرحة بإيمان أبي طالب، بل كان يضيف إليها الأفعال، التي تزيل أي لبس عن هذا

١- الغدير ج ٧ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ عن كتاب الحجة على الداهب إلى تكفير أبي طالب ص ١٢٨ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ١١٥ وإيمان أبي طالب للأميني ص ٩١ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣٦٦ وراجع: روضة الواعظين ص ١٣٩ وغير ذلك.

الموضوع، من حيث أنها تتضمن إعطاء القاعدة التي هي أوضح دلالة، وأكثر مناعة واستعصاء على التشويه، لأنها تسد الطريق على المدعين للباطل، والمروجين له، بما لها من دلالة ظاهرة على المطلوب.
وتوضيح ذلك:

إنه قد يستطيع الحاقدون أن يوقعوا الريب أو الشك في قلوب بعض البسطاء بادّعاء أن من يقول بإيمان أبي طالب (عليه السلام) ، فإنما يدعيه من دون علم، أو عصبية له، أو إنطلاقاً من حسن الظن الذي لا يستند إلى الوقائع، أو لغير ذلك، ولكنهم لن يتمكنوا من ذلك حين تتأكد لديهم قاعدة عن الله ورسوله تقول: إن آباء الأنبياء والأوصياء منزّهون عن الكفر والشرك.

فالحج عن عبد الله الذي مات، قبل ولادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو بعدها بقليل لا يمكن تفسيره إلا على قاعدة أن آباء الأنبياء كانوا على نهج الإيمان والإسلام، على دين إبراهيم (عليه السلام) .

ويدل على ذلك: قوله (عليه السلام) عن عبد المطلب وعبد مناف وأبي طالب إنهم ما عبدوا صنماً قط، وأنهم كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم، متمسكين به.

ومعنى ذلك: أنه لا مجال للحديث عن شرك أبي طالب (عليه السلام) ، أو عبد الله، أو عبد المطلب، أو غيرهما من آباء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٢ . قد يقول الحاقدون وأهل الريب هنا: صدّقنا أنهم كانوا على دين

إبراهيم، ولكن من الذي قال: إنهم قد صدّقوا نبوة نبينا الأعظم (ﷺ)؟! ..

فجاء الجواب القاطع للعدز ليقول: إن حج علي (ﷺ) عن عبد الله، وعن النبي (ﷺ)، وعن أبي طالب يدل على أن عبد الله وأبا طالب كان حالهما في الإيمان والإسلام حال رسول الله (ﷺ) .. فلو أن أبا طالب أنكر نبوة النبي (ﷺ) لخرج من الإيمان إلى الكفر، ولم يصح أن يحج عنه أحد..

٣. كان علي (ﷺ) يأمر بالحج عن عبد الله وابنه، (أو: آمنة. أو أبيه) كما تقدم، وأبي طالب في حال حياته، ثم أوصى بمواصلة ذلك بعد وفاته، وذلك ليشب على هذا الأمر الصغير، وبهرم فيه الكبير، ويترسخ في وجدان الناس بصورة عملية وعفوية..

٤. لعل هذا الإهتمام ناشئ عن إرادة تنزيه ساحة قدس الأنبياء عن أي نقص، يمكن أن يؤثر على رسوخ وعمق الاعتقاد بهم.. ولو لأسباب خارجة عنهم، وعن دائرة قرارهم واختيارهم..

بالإضافة إلى لزوم الوفاء لهؤلاء المصطفين الأخيار، والصفوة الأبرار، بتنزيه ساحتهم عن إصاق التهم الباطلة بهم..

٥. إن أسلوب أبي طالب في قصة الشجرة التي دعاها إلى رسول الله (ﷺ) تذكرنا بقصة إبراهيم التي حكاها الله تعالى بقوله:

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

الآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ..

إلى أن قال:

..وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ^(١).

١ - الآيات ٧٦ - ٨٣ من سورة الأنعام.

الفصل السادس: من شعب أبي طالب .. وحتى الهجرة..

وفاة شيخ الأبطح:

وبعد سقوط حصار المشركين للهاشميين في شعب أبي طالب ووفاة الولي والناصر والصفى أبي طالب "صلوات الله وسلامه عليه". الذي كان لوفاته عظيم الأثر على مسار الأحداث، حتى انتهى الأمر باضطراب النبي (ﷺ) إلى الهجرة، حيث لم يعد له في مكة ناصر.

وسنحاول عرض الأحداث التي تلت وفاة هذا الرجل العظيم.. والتي كان لعلي (عليه السلام) اثر وحضور فيها. وذلك في المطالب

التالية:

النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) في الطائف:

وبعد وفاة أبي طالب (عليه السلام) ، وبالذات، في السنة العاشرة من البعثة.. خرج (ﷺ) إلى الطائف وحده^(١).

١ - تفسير الثعلبي ج ٩ ص ١٩ وتفسير البغوي ج ٤ ص ١٧٢ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢١٠ وعبون الأثر ج ١ ص ١٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٤٣٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٥١ و ٦٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٨٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٦٦ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٠٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٤٩.

وقيل: كان معه علي (عليه السلام) (١).

وقيل: زيد بن حارثة (٢).

وقيل: هما معاً (٣)، وذلك لليال بقين من شوال سنة عشر.

فأقام (عليه السلام) في الطائف عشرة أيام يدعوهم، فلم يجبه أحد، وخافوا على أحداثهم، فطلبوا منه أن يخرج عنهم، وأغروا به سفهاءهم فجلسوا له في الطريق صفيين يرمونه بالحجارة، وعلي (عليه السلام) يدافع عنه حتى شج في رأسه، وقيل: إن زيد بن حارثة هو الذي شج في رأسه.

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٧ وح ١٤ ص ٩٧ عن الشيعة، وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢٩٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٧٥.

٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢١١ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٥ وح ٩ ص ١٨١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٧ وح ١٤ ص ٩٦ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ١٥ و ٢٢ وح ٣٨ ص ٢٩٣ والإستيعاب ج ١ ص ٣٩ وأسد الغابة ج ١ ص ١٩ وعميون الأثر ج ١ ص ١٧٤ و ١٧٥ والحجة على الناهب إلى تكفير أبي طالب ص ٢٦٢ وفتح الباري ج ٧ ص ١٣١ وح ٨ ص ٥١٤ وتحفة الأحوذى ج ٧ ص ١٤٤ وح ٩ ص ١٦٨ والمعارف لابن قتيبة ص ١٥١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٤٣٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٥١ و ٦٠ و حلية الأبرار ج ١ ص ٣٤٥.

٣ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٧ وح ١٤ ص ٩٧.

وعاد (ﷺ) إلى مكة، فحاولت قريش مواجهته بأنواع من الأذى، فقال لعلي أو لزيد: إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه.

النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) في بني عامر:

وخرج علي (عليه السلام) مع النبي (ﷺ) مرة أخرى إلى بني عامر بن صعصعة، يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، فلم يجيبوه، وغاب عن مكة عشرة أيام^(١).

النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) في بني شيبان:

وخرج (عليه السلام) مع رسول الله (ﷺ)، ومعهما أبو بكر إلى بني شيبان، ولم يستجيبوا لدعوته، وغاب عن مكة ثلاثة عشر يوماً^(٢).

ونقول:

إن لنا بعض الوقفات مع ما تقدم، وهي التالية:

بالنسبة لخروج علي (عليه السلام)، أو زيد بن حارثة مع النبي (ﷺ) إلى الطائف، نقول:

١- بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢٩٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٨.

٢- بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢٩٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٦.

وجود علي (عليه السلام) هو الأرجح:

إن الذي رافق النبي (صلى الله عليه وآله) في سفره ذلك، كان شخصاً واحداً كما يدل عليه ظاهر خطاب النبي (صلى الله عليه وآله) لمن كان معه، فإنه كان يتكلم مع شخص واحد، وهذا هو أيضاً ظاهر كلمات المؤرخين حيث ظهر منها أن المدافع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والذي شج رأسه أيضاً شخص واحد..

فالقول بأن زيداً وعلياً (عليه السلام) معاً كانا مع النبي يصبح بعيد الإحتمال.

وربما يكون قول المدائني: إن كلا من زيد وعلي (عليه السلام) كان مع النبي قد جاء ليبرر ذكر زيد، حيث ظهر منه أن المدائني لم يقو على إنكار حضور علي (عليه السلام) ولم يرد إنكار وجود زيد، فلجأ إلى هذا الجمع الذي يكرس صحة قول الشيعة في علي، ويسجل اعتراف المدائني لهم بهذا الأمر، ولكنه يحاول التسويق لحضور غيره معه.

فيإذا أضيف إلى ذلك ما نعرفه عن مناوئي علي (عليه السلام) من السعي الحثيث لإبعاده (عليه السلام) عن أي مقام هو له قدر الإمكان.. فإن ذلك يجعلنا نؤكد حضور علي (عليه السلام)، ونشك كثيراً في حضور غيره..

وربما يمكن تأييد ذلك أيضاً بأنه (عليه السلام) كان هو الذي رافقه إلى بني عامر بن صعصعة، وإلى بني شيبان، ولم يذهب معه زيد بن حارثة ولا غيره.

على أننا لا نجد مبرراً لتخلف علي (عليه السلام) عن النبي في أي

مقام، إلا إذا رأى النبي (ﷺ) ضرورة لوجود علي (عليه السلام) في موقع آخر، ولم يظهر لنا هنا ذلك..
لماذا علي (عليه السلام)؟!:

إن النبي (ﷺ) لم يتول بنفسه الرد على سفهاء أهل الطائف، ربما لأن أي مبادرة منه للرد على تصرفاتهم من شأنها أن تفرح قلب الذين أغروهم بإيذائه، لأنهم يكونون قد نجحوا. بزعمهم. في وضع النبي (ﷺ) في مواجهة السفهاء، وهو يدافع عن نفسه.
ونحن لم نر للنبي (ﷺ) أي موقف يحاول فيه مناوئوه إيذائه لم نره أظهر لهم أنه يقصدهم بسوء. حتى إنه حين يظفر بمن ارتكب من الجرائم ما يستحق معه القتل، فإنه (ﷺ) لم يبادر بنفسه إلى قتلهم، بل كان يتولى ذلك علي (عليه السلام) أو حمزة أو غيره..
وذلك لأنه يطلب من الناس الإيمان به، ويريد الله منهم أن يحبوه (ﷺ) كحب الله. ومن رأى النبي (ﷺ) يحمل السيف أو السوط لقتله، أو يبادر إلى ضربه، أو يتذكر حصول ذلك منه، فإنه قد لا يستطيع أن يحبه هذا الحب العظيم.. وسيكون خلوص اسلامه وصحته موضع ريب وشك كبير..

ولذلك شككنا في صحة قولهم: إنه (ﷺ) قتل أبي بن خلف.
وحين شكنا لأبي طالب ما فعلوه به حين وضعوا عليه سلا ناقة، بادر أبو

طالب وبنو هاشم لنصرتهم، وحمل حمزة السلاح، فأمره علي لحاهم واسبلتهم.
واشتكى أيضاً لعلي (عليه السلام) أذى صبيان المشركين له، فبادر علي لمنعهم وصار يقضمهم في وجوههم وآنفهم وأذانهم ثم،
واستصحبه معه إلى الطائف، فدافع وحامي، ورد كيد سفهاء ثقيف عنه.
أما حين يتعلق الأمر بدفع الظلم عن الآخرين، فإن النبي (صلى الله عليه وآله) يبادر إلى ذلك، ويتخذ قرار الحرب ضد الظالمين والمعتدين، لأن
الآثار السلبية تصبح إيجابية، لأن الدفاع عن المظلوم شرف، وكرامة، والإنتصار له نبل وشهامة، وتتضاءل فيه فرص الإتهام بالتجني
والتحامل، أو الإتهام بالمبالغة في ردة الفعل، من الرجل الحليم الذي لا ينبغي أن يصدر منه ذلك تجاه تصرف سفيه، قد يجد الناس له من
جهله وطيشه بعض العذر فيما ندد عنه من تصرفات رعناء، أو أعمال قبيحة شنعاء..
ولأجل ذلك كان دفاع علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) الذي كان في موقع المعتدى عليه والمظلوم، هو الأصح والأصلح في
سياسة النبي (صلى الله عليه وآله)، والأعظم أثراً في تحقيق الغرض، من دون أن يكون له أي أثر سلبي على الإطلاق..
بل قد يكون له الكثير من الآثار الإيجابية، حين يستيقظ الضمير من غفوته، ويعود الوجدان في هدأة الأمور إلى صحوته، فيجد
السفاهة والجهالة كلها في جانب، ويجد النبل والطهارة، والحلم والرصانة في الجانب الآخر، حيث يكتشف أن هذا الذي صب عليه
السفهاء كل الحقد والسوء والظلم لم يشأ حتى أن يرميهم ولو بوردة، حتى لا يفهم هذا الرمي على أنه

تعبير عن الكراهية لهم والتباين معهم، بل كان غيره هو المبادر للدفع عنه، وللتضحية في سبيله.

علي (عليه السلام) في بيعة العقبة:

ويقولون: إنه حين قدم أهل المدينة إلى مكة في موسم الحج، اجتمعوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند العقبة فبايعوه، فعلمت قريش بالأمر، فجاءت علي بكرة أبيها، قد حملوا السلاح.

وخرج حمزة ومعه السيف، هو وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى فم الشعب، فلما نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟! فقال: ما اجتمعنا، وما هنا أحد. والله، لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضرته بسيفي^(١). فصددهم عما كانوا دبروه وقصدوه..

١ - راجع فيما تقدم أي كتاب تاريخي أو حديثي شئت مثل: بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٢ و ١٣ و ٤٨ والصافي ج ٢ ص ٢٩٤ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٤٧ والميزان ج ٩ ص ٧٨ وحلية الأبرار ج ١ ص ٩٤ وإعلام الوري ص ٥٧ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٤٤ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٨ و ٣١٩ ودلائل النبوة للبيهقي (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٤٥٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٩٣ و ٢١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧ وما قبلها وما بعدها، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨٨ وقبلها وبعدها، وغير ذلك كثير.

ونقول:

لعلك تقول:

كيف استطاع رجلان هما حمزة بن عبد المطلب، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يردا كيد قريش كلها، وهي قد جاءت بسلاحها؟! لا سيما وهي في أوج غضبها وهي جاثمة؟!!

ونجيب:

إن الروايات تصرح: بأن حمزة وعلياً (عليه السلام) قد وقفا على فم الشعب، وهو بمثابة مضيق لا يمر فيه إلا جماعة صغيرة من الرجال، فإذا أخذ الفارس أو الفارسان بفم المضيق، فإنه يتمكن بشجاعته وحسن رويته، وسرعة حركته من صد من يريد الورد في ذلك المضيق، وبالتالي صد من خلفهم أيضاً..

وقد ذكر الرواة: أن عمرو بن عبد ود . أو غيره كان يعد بألف فارس، لأنه أخذ عليهم فم الوادي، وكان ضيقاً جداً، فلم يتمكنوا من

وروده^(١). إلا

١ - راجع: بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وج ٣١ ص ٤٤٥ وج ٤١ ص ٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٤ ورسائل المرتضى ج ٤ ص ١٢٢ ومصباح البلاغة (مستدرك نصح البلاغة) ج ٣ ص ١٨٣ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٧ وجوامع الجامع ج ٣ ص ٥٢ ومجمع البيان ج ٨ ص ١٣٠ والميزان ج ١٦ ص ٢٩٦ وتفسير الألوسي ج ٢١ ص ١٥٥ وإعلام الوري ج ١ ص ٣٨٠ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٤٥١ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ وحيب السير ج ١ ص ٣٦١ وينابيع المودة ص ٩٥ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٧٨ وج ٢٠ ص ٦٢٥ وج ٣١ ص ٢٣٣ وج ٣٢ ص ٣٦٨.

أشتاتاً متفرقين، فحيث قد صدت الطليعة منهم، امتنع التقدم على من بعدهم.

المؤاخاة الأولى في مكة:

وتذكر الروايات: أن النبي (ﷺ) آخى بين المسلمين في مكة قبل هجرتهم.. على الحق والمواساة. فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين عثمان وعبد الرحمان بن عوف، وبين الزبير، وابن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب وبلال، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص.

وبين أبي عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة. وبين سعيد بن زيد وطلحة، وبين علي (عليه السلام) ونفسه (ﷺ)، وقال: أما ترضى أن أكون أخاك؟!

قال: بلى يا رسول الله رضيت.

قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة^(١).

١ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ عن الإستيعاب. و مناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ١ ص ٣٢٥ و ٣٢٨ و ٣٤٦ و شرح الأخبار ج ٢ ص ١٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٦ و عيون الأثر ج ١ ص ٢٦٤ و جواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٦٩ و سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٦٣ و مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه الأصفهاني ص ١٠١ و أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٦ و ٣٣٧ و ٣٧٧ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٧ و ج ٣٠ ص ٥٧٦. وراجع أيضاً: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤ و تاريخ الخميس = ج ١ ص ٣٥٣ و تلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع مع المستدرك) ج ٣ ص ١٤ والإكمال في أسماء الرجال ص ١٧٧ وغير ذلك..

وسياتي: أنه (ﷺ) قد آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وهناك أمور سوف نتعرض لها حين الحديث عن المؤاخاة هناك..

الفصل السابع: هجرة النبي (ﷺ) إلى المدينة..

حديث الهجرة:

اجتمعت قريش في دار الندوة، واتفقوا على أن يقتلوا رسول الله (ﷺ)، فاختروا عشرة أو خمسة عشر رجلاً، من كل قبيلة من قريش. وكانوا عشر أو خمس عشرة قبيلة أو أكثر. ليبيئوا النبي (ﷺ) بضربة واحدة من سيوفهم. فأخبر الله تعالى نبيه بمكرهم، فأخبر (ﷺ) علياً (عليه السلام) بمكر قريش، وأمره أن يتغشى ببرد الحضرمي، وينام في فراشه. فقال علي (عليه السلام): أوتسلم بميتي هناك يا نبي الله؟!

قال: نعم.

فتبسم علي (عليه السلام) ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله.

فنام على فراشه، واشتمل ببرده الحضرمي، وخرج النبي (صلى الله عليه وآله) في فحمة العشاء، والرصد قد أطفأوا بداره ينتظرون، وهو يقرأ (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ^(١) وذهب (عليه السلام) إلى الغار.

وقالوا: إن أبا بكر جاء وأمير المؤمنين (عليه السلام) نائم، فخاطبه، وهو يحسبه نبي الله، فقال له علي: إن نبي الله انطلق نحو بئر ميمونة فأدركه ^(٢).

١ - الآية ٩ من سورة يس.

٢ - راجع ما تقدم في المصادر التالية: المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٧٣ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامشه وصحاحه، ومسنده أحمد ج ١ ص ٣٢١ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٣٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٠٠ والبرهان ج ١ ص ٢٠٧ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٣٠ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي (ط النجف) ص ٦٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠ عن أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير واحد وهو ثقة، وعن الطبراني في الكبير والأوسط، وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٠ و ٧٨ و ٩٣ عن الطبري وأحمد، والعباشي، وكفاية الطالب، وفضائل الخمسة ج ١ ص ٢٣١ وذخائر العقبى ص ٨٧ وكفاية الطالب ص ٢٤٢. وقال: إن ابن عساكر ذكره في الأربعين الطوال، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام"، من تاريخ ابن عساكر (تحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٨٦ و ١٩٠ ونقله المحمودي في هامشه عن: الفضائل لأحمد بن حنبل، حديث ٢٩١ وعن غاية المرام ص ٦٦ عن الطبراني ج ٣ في الورق ١٦٨/ب وفي هامش كفاية الطالب عن: الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٣. وأما الفقرات الأخرى فهي موجودة في مختلف كتب الحديث والتاريخ. وراجع: حلية الأبرار ج ١ ص ١٤٤ والميزان ج ٩ ص ٨١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٧ و ٣٧٦ والأمل للطوسي ص ٤٦٦ ومستدرک الوسائل ج ٥ ص ١٥٥ و ٤٦٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٥ ص ٤٧٥ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٠.

قالوا: وجعل المشركون يرمون علياً (عليه السلام) بالحجارة، كما كانوا يرمون رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو يتضور (أي يتلوى ويتقلب)، وقد لف رأسه في الثوب، لا يخرج منه حتى أصبح. فهجموا عليه.

فلما بصر بهم علي (عليه السلام) قد انتضوا السيوف، وأقبلوا عليه، يقدمهم خالد بن الوليد، وثب له علي (عليه السلام) فختله، وهمز يده، فجعل خالد يقمص قماص البكر، ويرغو رغاء الجمل، وأخذ من يده السيف، وشد عليهم بسيف خالد، فأجفلوا أمامه إجمال النعم إلى خارج الدار، وتبصّروه، فإذا هو علي، قالوا: وإنك لعلي؟! قال: أنا علي.

قالوا: فإننا لم نردك، فما فعل صاحبك؟!

قال: لا علم لي به^(١).

فأسرعوا إلى قومهم فأخبروهم، فهبت قريش لتدارك الأمر قبل فوات الأوان، وأذكوا العيون، وركبوا في طلب النبي (ﷺ). وكان في الغار، وواصلوا اقتفاء أثره إلى قرب باب الغار، فوجدوا العنكبوت قد نسجت على بابه، وباضت في مدخله حمامة وحشية، وغطته أغصان شجرة^(٢) فرجعوا عنه.

وأمهل أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب) إلى الليلة التالية، فانطلق ليلاً هو وهند بن أبي هالة حتى دخلا الغار على رسول الله (ﷺ)، فأمر الرسول الأعظم هنداً أن يتناع له ولصاحبه بعيرين، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين، ترتحلهما إلى يثرب.

١- أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣ و (ط دار الثقافة) ص ٤٦٧ و بحار الأنوار ج ١٩ ص ٦١ و ٦٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٧ و ٣٧٦ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٤٥ و ج ٢ ص ١٠٨.

٢- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٨١ و ١٨٢ والدرر لابن عبد البر ص ٨١ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٤٤ والمحرر الوجيز ج ٣ ص ٣٥ والشفا للقاضي عياض ج ١ ص ٣١٣ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٩ وتفسير السمعي ج ٢ ص ٣١١.

فقال: إني لا آخذهما، ولا أحدهما إلا بالثمن.

قال: فهي لك بذلك.

فأمر علياً (عليه السلام) فأقبضه الثمن^(١).

ثم أوصاه (عليه السلام) بحفظ ذمته، وأداء أماناته، وكانت قريش ومن يقدم مكة من العرب في الموسم يستودعون النبي (عليه السلام)، ويستحفظونه أموالهم وأمتعتهم.

وأمره أن ينادي صارخاً بالأبطح غدوة وعشياً: من كان له قبل مُجَّد أمانة فليأت، فلنؤد إليه أمانته..

وقال (عليه السلام) لعلي أنذ، أي بعد أن ذهب الطلب عنه (عليه السلام): إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه، حتى تقدم

علي، فأد أمانتي على أعين الناس ظاهراً.

ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي، ومستخلف ربي عليكما، ومستحفظه فيكما^(٢).

١ - راجع: بحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٢ والأُمالي للطوسي ج ٢ ص ٨٣ و (ط دار الثقافة) ص ٤٦٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٣٧ والدرجات الرفيعة ص ٤١١ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٤٦ والميزان ج ٩ ص ٨١ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣١.

٢ - الأُمالي للطوسي ج ٢ ص ٨٣ و (ط دار الثقافة) ص ٤٦٨ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٤٧ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٢ والميزان ج ٩ ص ٨٢ والدرجات الرفيعة ص ٤١١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٧ و ٣٧٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٢.

فأمر (ﷺ) علياً (عليه السلام) أن يتناع رواحل له وللفواطم، ومن أزمع الهجرة من بني هاشم^(١).
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) يذكر مبيته على الفراش، ومقام رسول الله (ﷺ) :
وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالْحَجْرِ
مُجْد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وبت أراعيهم متى يأسروني وقد وطنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً هناك وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص قلائص يفرين الحصا بما يفري (٢)

١- الأمالي للطوسي ج ٢ ص ٨٣ و (ط دار الثقافة) ص ٤٦٨ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٤٧ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٢ والميزان ج ٩ ص ٨٢ والدرجات الرفيعة ص ٤١١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٧ و ٣٧٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٢. والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٠٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٢٨٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٢٦.

٢- كشف الغمة ج ٢ ص ٣٢ والميزان ج ٩ ص ٨٢ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٤٨ وج ٢ ص ١١٥ والأمالي للطوسي ج ٢ ص ٨٣ و (ط دار الثقافة) ص ٤٦٨ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٣ وج ٣٤ ص ٤١٣ وج ٣٦ ص ٤٦ وج ٣٨ ص ٢٩٢ والدرجات الرفيعة ص ٤١١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٧ و ٥٥٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين " عليه السلام " للكوفي ج ١ ص ١٢٤ والفصول المختارة ص ٥٩ والتعجب للكراجكي ص ١٢٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٣٥ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٣٧ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٤٥٧ وج ٦ ص ٥٥٧ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ١٣١ و ١٣٢ والدر المنثور ج ٣ ص ١٨٠ وتفسير الألوسي ج ٩ ص ١٩٨ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص ٢٦ والمناقب للخوارزمي ص ١٢٧ ونجح الإيمان ص ٣٠٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٢٣٣ وينايع المودة لذوي القربى ج ١ ص ٢٧٣ وتذكرة الخواص ص ٣٥ وغاية المرام ج ٤ ص ١٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ١٢٠ وج ٢٠ ص ١١٠ وج ٢٢ ص ٥٥٨ وج ٣٠ ص ١١٥ و ٥٩٤.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم العديد من الوقفات، نذكر منها ما يلي:

أمر رسول الله (ﷺ):

إن أول ما يطالعنا في هذا الحدث الفريد: أن النبي (ﷺ) اكتفى بإخبار علي (عليه السلام) بمكر قريش، ثم أمره بأن يتغشى ببرده، وينام في فراشه، ولم يترك الخيار في ذلك.

ولا ريب في أنه (ﷺ)، لم يفعل ذلك من عند نفسه، بل هو هنا ينفذ أمر الله تعالى، فإن أوامر النبي (ﷺ) تارة تكون

على أساس القاعدة التي أوحاها الله إليه.. كما لو أمره بإقامة الحجّة على عدوه قبل الحرب، فإن كان هناك خطورة يتعرض لها من يريد أن يكلفه بذلك، فإنه لا يجبره على هذا الأمر، بل يترك الخيار له في أن يقبل أو لا يقبل، لأنه يريد منه أن يقدم على ذلك متقرباً إلى الله تعالى، حتى إذا أصابه سوء كان مثاباً عليه، وإن قتل كان شهيداً..

أما لو أجبره على ذلك، وقتل، فقد لا يكون شهيداً، لأنه لم يقصد التقرب إلى الله تعالى فيما أقدم عليه.. ولأجل ذلك نلاحظ: أنه (ﷺ) حين أراد أن يرسل رسولاً إلى أهل مكة عام الحديبية عرض الأمر على عمر، فرفض قبوله، بحجة أن بني عدي لا ينصرونه لو أرادته قريش بسوء. ورضي عثمان بذلك ثقة منه بعدم إقدام قريش على أذاه. كما أن علياً (عليه السلام) حين أراد في حرب الجمل أن يرسل مصحفاً إلى عائشة وأصحابها ليدعوهم إلى ما فيه، وهو مقتول. طلبه فتى من أهل الكوفة، فأعرض عنه علي (عليه السلام) .

ثم قال: من يأخذ هذا المصحف، يدعوهم إلى ما فيه، وهو مقتول.

فقال ذلك الفتى: أنا.

فدفعه إليه، فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى، فأخذه باليسرى، فقطعوا يده اليسرى، فأخذه بصدره، والدماء تسيل على قبائه، فقتل "

بالحجّة

فقال علي (عليه السلام) : الآن حل قتلهم^(١) .

كما أنه (عليه السلام) كان يستشير في أمر الحرب، كما ذكرناه في واقعة أحد في الصحيح من سيرة النبي الأعظم (عليه السلام) ، فراجع.
وبالعودة إلى حديث الغار نقول:

إننا نلاحظ: إن النبي (عليه السلام) قد أمر علياً (عليه السلام) أمراً جازماً بأن يتغشى ببرد، وينام في فراشه.. ولم يعطه أية فرصة لإبداء رأيه، أو للتعبير عن رغبته..

فهل لأن الأمر قد جاءه من الله تعالى باتاً وقاطعاً، فأبلغه إلى علي (عليه السلام) كما هو؟! مع علمه بانقياد علي (عليه السلام) لأمر الله تبارك وتعالى، بدون سؤال؟!!

١ - تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة و الأعلمي) ج ٣ ص ٥٢٢ و المناقب للخوارزمي ص ١٨٦ و الجمل ص ٣٣٩ و تذكرة الخواص ص ٧١ و ٧٢ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١١٢ و بحار الأنوار ج ٣٢ ص ١٧٤ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٢ و ٥٢٩ و شرح الأخبار ج ١ ص ٣٩٤ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٢٤١ و مروج الذهب ج ٢ ص ٣٧٠ و المصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٣٧ و وقعة الجمل للغلابي البصري ص ٣٧ و ٣٨ و نهج السعادة ج ٢ ص ٣٨٨ و أعيان الشيعة ج ١ ص ٤٥٧ و ٥٢٤ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٤٤٠ .

أم أنه كان يعلم بأن علياً (عليه السلام) ليست له رغبة بغير نجاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو خياره الأول والأخير، حتى لو أن الأمر لم يكن محتماً ولا باتاً، بل حتى لو لم يكن هناك أمر أصلاً، فإن احتمال النجاة للنبي يحتم على علي (عليه السلام) الإقدام على التضحية بنفسه، بكل سعادة ورضا؟!

إننا نرى أن هذا الأمر الأخير هو الأقرب إلى الواقع، ويشهد لذلك: أن علياً (عليه السلام) قد سأل النبي (صلى الله عليه وآله) سؤالاً واحداً، ولم يزد عليه، وهو أنه (صلى الله عليه وآله) هل يسلم بذلك؟! فلما أجابه بالإيجاب فرح وضحك، وسجد لله شكراً.. ولم يسأل مثلاً عما مصيره هو، أو عما يجري عليه..

تغش بيردي الحضرمي:

وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) بأن يتغشى بيرده الحضرمي.. ولعله أراد بذلك تكريس الوهم لدى المتأمرين بأن النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه لا يزال في فراشه، ربما لأن هذا البرد كان معروفاً لديهم.

كيفية خروج النبي (صلى الله عليه وآله):

قد يقال: إذا كان خروج النبي (صلى الله عليه وآله) من بين المجتمعين بصورة إعجازية، فلماذا يحتاج إلى أن ينام علي (عليه السلام) على فراشه؟! ونجيب:

بأن النبي (ﷺ) خرج من بين المجتمعين حول بيته بصورة طبيعية لا إعجازية، لأنه استفاد من نفس الوسائل التي تقع تحت اختيار سائر الناس.. فالكل يحاول أن يستفيد من ظلام الليل للتستر والتخفي عن أنظار أعدائه، كما قد يستفيد من هبوب الرياح في تلك الظلمة، لينثر على أعدائه تراباً يدخل في عيونهم، ويربكهم، ويظنون أن الرياح هي التي أثارت ذلك التراب.

والكل يستفيد أيضاً من الآية المباركة لصرف أنظار أعدائه عنه..

فلم يرد النبي (ﷺ) على الإستفادة مما هو ميسور لجميع الناس.

وجميع الناس أيضاً يحاولون أن يوهوا عدوهم بوجودهم في مكان، ولو بإضاءة الصباح، أو إبقاء أناس فيه، يظن العدو الراصد، أنهم هم بغيته، فكان نوم علي (عليه السلام) على فراش رسول الله (ﷺ) من هذا القبيل أيضاً..

كيف وصل أبو بكر إلى علي (عليه السلام)؟!:

وحين يواجهنا قولهم: إن أبا بكر جاء إلى علي وهو نائم على فراش النبي (ﷺ)، فسأله عنه، فقال له: إنه ذهب نحو بئر ميمونة.

فإننا نحتاج إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

أولاً: كيف وصل أبو بكر إلى موضع رسول الله (ﷺ)، والرصد محيط بيته (ﷺ)، يراقب كل حركة فيه.. ويصغي

لكل حديث يدور، فيسمعه إلا ما كان منه همساً؟!!

وقد علمنا: أن النبي (ﷺ) كان مضطراً للخروج من الباب الذي كان المتآمرون يتجمعون عنده، وقد خرج من بيته بطريقة خاصة، استطاع بها التشويش عليهم.. الأمر الذي يدل على أن لذلك البيت باباً واحداً لم يكن للنبي (ﷺ) بد من الخروج منه، وكان على أبي بكر أن يستفيد من خصوص هذا الباب لدخوله وخروجه.. وكان المحدثون به ينظرون للنائم من خلل هذا الباب، ويرمونه بالحصى.. فكيف دخل أبو بكر وخرج، ولم يره المحدثون بالباب؟! ولا رأوه من الخلل الذي بالباب؟! إلا إن كان قرارهم هو عدم التعرض للداخلين والخارجين إلا إذا كان الخارج هو رسول الله (ﷺ).. ولكن كيف يسمحون بدخول وخروج الأغيار، وهم يعلمون: أن الداخلين سوف يخبرون من في البيت عن الوضع المحيط به، وسيحذرونه مما ينتظره، وسيقترحون عليه المخارج من الوضع القائم..

ثانياً: لو تجاوزنا ذلك كله، فإن ثمة سؤالاً آخر وهو: ألم يسمع الجالسون على الباب ما دار بين علي (عليه السلام) وأبي بكر؟! ألم يدركوا ولو من خلال اختلاف الأصوات أن الصوت هو صوت علي (عليه السلام)، لا صوت النبي (ﷺ).
ثالثاً: إذا كانوا ينظرون إلى النائم من خلل الباب، ويرمونه بالحصى،

ويروونه يتضور ويتقلب، فذلك يعني أن ثمة نوراً يكفي لرؤية هذه الأحوال، فكيف لم يعرفوا: أن النائم الذي خاطب أبا بكر . ولعله كشف رأسه له ورأوه . ليس هو النبي (ﷺ) بل هو شخص آخر وهو علي (ؑ) . إلا إن كانوا قد رموه بالحصى بعد طلوع الفجر، وانتشار بعض النور..

من أجل ذلك نقول:

إن الظاهر هو: أن أبا بكر لم يأت إلى بيت النبي (ﷺ)، ولعله التقى به في طريقه، فأخذه معه^(١). كما دلت عليه بعض الروايات. تضور علي (ؑ) :

وكان (ؑ) يتضور ويتململ حين كان المشركون يرمونه بالحصى ولعله (ؑ) كان يقصد ذلك، ربما لكي يتواصل شعورهم بوجوده بقربهم، وتتأكد طمأنينتهم وسكينتهم إلى ذلك.

أو لأنه أراد أن يذيقهم مرارة الندم على عدم تأكدهم من شخصية النائم، بعد أن أحسوا أنه يتصرف على خلاف ما عهدوه، ولذلك عبروا له عن أنهم قد لاحظوا أنه كان يتضور، ولم يكن النبي (ﷺ) يفعل ذلك، حينما كانوا يرمونه..

١ - راجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٤٤ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٧٣ وراجع ص ٦١ عنه، والأماي للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٢ وغير ذلك.

لم يكن مع علي (عليه السلام) سلاح:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن علياً (عليه السلام) حين هوجم وهو نائم على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) استولى على سيف خالد بن الوليد، فلما حصل في يده صال عليهم، فانجفلوا من بين يديه إلى خارج البيت، ثم تبصّروه فعرفوه.. وانتهت القضية عند هذا الحد.. ونلاحظ هنا:

أولاً: إنه بالرغم من حصول السيف في يد علي (عليه السلام)، فإنه لم يقتل به أحداً منهم، بل اكتفى بدفعهم عن نفسه. وهذا هو التصرف الحكيم والصحيح، إذ لو تجاوز الأمر ذلك، فرمما تعقدت الأمور، واستبيحت دماء المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا لا يزالون في مكة، بما فيهم عائلة النبي (صلى الله عليه وآله)، وسائر بني هاشم..

ثانياً: إن استيلاء علي (عليه السلام) على سلاح أحد المهاجمين، بل الذي كان في طليعتهم، وكانوا يشيعون عنه الكثير من الحكايات، ويمنحونه أوسمة البطولة بمناسبة وبغير مناسبة. إن هذا. قد صدمهم نفسياً، وهزمهم من داخلهم.. فهم قد جاؤا ليحسموا الأمور على أساس أن لا يعطوا في مقابل ذلك أي ثمن؛ فظهر لهم أن عليهم أن يدفعوا أثماً لم يهيئوا أنفسهم لدفعها.. وأن عليهم أن يعيدوا قراءة الواقع بصورة متأنية ودقيقة، فلم يبق أمامهم أي خيار سوى التراجع..

المبيت، والخلافة:

والغريب هنا: أن نجد أحد من عرف بتنكره لخط الإمامة، والولاية، وبعيدة عن خط الشيعة والتشيع. يضطر لأن يعترف بأن قضية مبيته (عليه السلام) على فراش النبي (ﷺ) ليلة الهجرة، من الإشارات الواضحة إلى خلافته (عليه السلام)، فيقول:

"هذا الذي كان من عليّ في ليلة الهجرة، إذا نظر إليه في مجرى الأحداث التي عرضت للإمام عليّ في حياته بعد تلك الليلة؛ فإنه يرفع لعيني الناظر إمارات واضحة، وإشارات دالة على أن هذا التدبير الذي كان في تلك الليلة لم يكن عارضاً بالإضافة إلى عليّ، بل هو عن حكمة لها آثارها ومعقباتها، فلنا أن نسأل:

أكان لإلباس الرسول (ﷺ) شخصيته لعليّ تلك الليلة ما يوحي بأن هناك جامعة تجمع بين الرسول وبين عليّ أكثر من جامعة القرابة القريبة التي بينهما؟! وهل لنا أن نستشف من ذلك: أنه إذا غاب شخص الرسول كان علياً (كذا) هو الشخصية المهيأة لأن تخلف، وتمثل شخصه، وتقوم مقامه؟! "

وأحسب أن أحداً قبلنا لم ينظر إلى هذا الحدث نظرنا هذه إليه، ولم يقف عنده وقفنا تلك حتى شيعة عليّ" (١).

١- علي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب ١٠٥ و ١٠٦.

قريش وعلي (عليه السلام) :

١ . والملاحظ هنا: أن قريشاً لم تصر على أمير المؤمنين في استنطاقها له عن مكان ابن عمه .

وذلك لأنهم علموا: أنهم إنما يحاولون عبثاً، ويطلبون مستحيلاً، فإن من كان يحمل مثل هذا الإخلاص، ومثل هذه التضحية النادرة في التاريخ، لن يفشي لهم سرّاً قد ضحى بنفسه في سبيل كتمانها، لذلك نراهم قد أطلقوه وانصرفوا عنه يائسين^(١) .

٢ . لقد كان علي (عليه السلام) في موقفه هذا تجاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثلاً أعلى للإنسانية الكاملة، فقد عرف الناس به معنى الإخلاص، وماهية التضحية، وحقيقة الإيمان .

حيث إنه يرى نفسه مقتولاً على كل حال، إما لظن المشركين أنه رسول الله، فيخبطوه بأسيا ففهم ضربة رجل واحد، وإما انتقاماً منه، حيث كان سبباً لخلاص من سفه أحلامهم، وعاب آهنتهم، وفرق جماعتهم، وهم يعرفون أيضاً حب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له ومنزلته منه، فإذا قتلوه فإنما يقتلون أخاه وابن عمه، والرجل المخلص الذي يفديه بنفسه^(٢) .
وأما انصرفهم عنه، بعد ظهور الأمر، فهو إما خوفاً منه، بعد أن رأوا

١ - راجع: حياة أمير المؤمنين "عليه السلام" ص ١٠٥ و ١٠٦ .

٢ - المصدر السابق ص ١٠٧ و ١٠٨ .

ما فعله بخالد، وإما من أجل توفير الفرصة للبحث عن غريمهم الأصلي والأهم بالنسبة إليهم.

وهنا اشكال يورده خصوم علي (عليه السلام) :

وهو أنه إذا كان علي (عليه السلام) يعلم بأن حديث الدار يدل على أنه (عليه السلام) لن يقتل في هذه الحادثة، بل سوف يعيش إلى ما بعد الرسول (ﷺ)، ليكون وصيه وخليفته من بعده، فلا تبقى له فضيلة في مبيته على فراش النبي (ﷺ) ليلة الهجرة.

والجواب:

أولاً: إن ذلك لا يمنع من حصول البداء في هذا الأمر. وبعبارة أخرى ان هذا الأمر خاضع للوح المحو والإثبات، والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فهو يخضع لشروط ويحتاج إلى فقد موانع ترجع إلى الإختيار: منها، ما صرح به النبي (ﷺ)، وهو المؤازرة والاستمرار والثبات عليها والإخلاص لله فيها..

ثانياً: إن ذلك لا يمنع من تعرضه (عليه السلام) للجراح، وقطع الأعضاء، والأسر والتعذيب البالغ.

وهو أمر يخشاه الناس، ويتجنبونه.. إن نوم علي (عليه السلام) ، على فراش الرسول (ﷺ)، في ظل هكذا ظروف حتى لو اخبره النبي (ﷺ)، بأنه سوف يسلم يعبر عن إيمان عميق وثقة بالله ورسوله وأنه في أعلى درجات اليقين، وإلا فهذا أبو بكر مع علمه بأن الله

سيحفظ نبيه وسيظهره على الدين كله لم يمنعه ذلك من إظهار الجزع الشديد والحزن مع ما رآه من آيات ومعجزات، وكذلك الكثير من الناس يعلمون أن الميت في قبره لا يملك أي ضرر أو نفع ولكنهم يخافون من النوم بين المقابر، وما ذلك إلا لضعف اليقين والإيمان لديهم، وذلك ظاهر.

وقد تقدم قول علي (عليه السلام) : في شعره:

وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وسبأتي بعض ما يرتبط بذلك إن شاء الله..

علي وإسماعيل (عليهما السلام):

ولا يصح قياس استسلام علي (عليه السلام) للموت هنا بحال إسماعيل (عليه السلام) حين استسلم للذبح.. لأن إسماعيل قد استسلم لوالد شفيق، يجد في عطفه وحنانه، ورضاه ما يسليه عما ينزل به، أما علي فهو أمام عدو شرس قاس، وشامت لا يرحم، ولا يشفى غليله إلا سفك دمه، وصب أقسى أنواع التنكيل به، لأنه يرى أنه قد ضيع عليه فرصته، وأبطل كيده، وأفضل تدبيره..

فرح علي (عليه السلام) وحزن أبي بكر:

ولابد أن نذكر القارئ الكريم بالفرق الشاسع بين من يحزن على نفسه، ويحتاج إلى من يسكنه.. وبين من يضحى بنفسه، من أجل

حياة غيره، وينام على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي احتوشته ذؤبان هائجة

بالسيوف القواطع، والصفاح اللوامع، ليقطعوه بها إرباً إرباً.

حتى إذا علم أن مبيته على هذا الفراش من موجبات سلامة رسول الله (ﷺ) تبسم (عليه السلام) ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكر الله.

ولم يسأل عما سوف يصيبه، ما دام أن الله تعالى ينجي نبيه بهذا المبيت المبارك.

فاستحق بذلك أن يباهي الله به ملائكته، وأن ينزل القرآن، ليخلد له هذا الموقف، ليكون عبرة لمن اعتبر إلى يوم القيامة.

آية الشراء نزلت في علي (عليه السلام) :

وقد ورد: أن الله تعالى أوحى إلى جبرائيل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه

بالحياة؟!!

فاختار كلاهما الحياة.

فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد (ﷺ)؛ فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة؟!!

اهبطا إلى الأرض، فاحفظاه من عدوه.

فنزلا، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرائيل ينادي: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله به الملائكة؟!!

فأنزل الله عزوجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ

١ - الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

٢ - راجع: أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥ والمستجد للتنوخي ص ١٠ وثمرات الأوراق = ص ٣٠٣ والبرهان ج ١ ص ٢٠٧ وإحياء العلوم ج ٣ ص ٢٥٨ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٩ وكفاية الطالب ص ٢٣٩ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٩٧ ونور الأبصار ص ٨٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٣١ وتذكرة الخواص ص ٣٥ عن الثعلبي، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٤٥٨ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٩ و ٦٤ و ٨٠ عن الثعلبي في كنز الفوائد، وعن الفضائل لأحمد ص ١٢٤ و ١٢٥.

وهي أيضاً في: المناقب للخوارزمي ص ٧٤ وبنابيع المودة ص ٩٢ عن ابن عقبة في ملحمة، وقال في حبيب السير ج ٢ ص ١١: إن ذلك مذکور في كثير من كتب السير والتاريخ.

والرواية موجودة أيضاً في: التفسير الكبير ج ٥ ص ٢٠٤ والجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٨ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٩ وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٣٠ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤ وتلخيص المستدرک للذهبي بهامش نفس الصفحة، ومسند أحمد ج ١ ص ٣٣١ وترجمة الإمام علي "عليه السلام" من تاريخ دمشق (تحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٨١ و ٨٢ والأمامي للطوسي ج ٢ ص ٨٤ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٣١٠ وراجع ص ١٧٨ و ٨٢. وراجع: الإرشاد للمفيد ص ٣١ وروضة الواعظين ص ١٠٧ وخصائص الوحي المبين ص ٩٤ و ٩٣ وراجع ص ٩١ والعمدة لابن البطريق ص ٢٤٠ وراجع ص ٢٣٨ ورواه في: غرائب القرآن للنيسابوري (بهامش جامع البيان) ج ٢ ص ٢٩١ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ٦٠ ونقله المحمودي في هوامش شواهد التنزيل ج ١ ص ٩٧ عن غاية المرام ص ٣٤٦ باب ٤٥ وعن تفسير أبي الفتوح الرازي ج ٢ ص ١٥٢ ونقله المرعشي في ملحقات إحقاق الحق والتعليقات عليه ج ٣ ص ٢٤. ٣٤. ج ٨ ص ٣٣٩ و ج ٦ ص ٤٧٩ و ٤٨١ و ج ٢٠ ص ١٠٩. ١١٤. و ج ١٤ ص ١١٦ عن عدد ممن قدمنا.

وعن المصادر التالية: اللوامع ج ٢ ص ٣٧٦ و ٣٧٥ و ٣٧٧ عن المجمع والمباني، وعن أبي نعيم والثعلبي وغيرهم، وعن البحر المحيط ج ٢ ص ١١٨ وعن معارج النبوة ج ١ ص ٤ وعن مدارج النبوة ص ٧٩ وعن مناقب المرتضوي ص ٣٣ وعن روح المعاني ج ٢ ص ٧٣ عن الإمامية وبعض من غيرهم، وعن مرآة المؤمنین ص ٤٥ وعن تلخيص المتشابه في الرسم للخطيب البغدادي ج ١ ص ٤١٤ وعن إمتاع الأسماع ص ٣٨ وعن مقاصد الطالب ص ٧ وعن وسيلة النجاة ص ٧٨ وعن المنتقى للكارزوني (مخطوط) ص ٧٩ وعن روض الأزهر ص ٣٧١ وعن أرجح المطالب ص ٧٠ و ٥٠٧ و ٤٠٧ وعن إتحاف السادة المتقين ج ٨ ص ٢٠٢ وعن مفتاح النجا في مناقب آل العبا (مخطوط) ص ٢٣ وعن روض الأحباب للهروي ص ١٨٥ وعن تفسير الثعلبي، وعن السيرة المحمدية للكارزوني (مخطوط)، وعن مكاشفة القلوب ص ٤٢ وعن توضيح الدلائل (مخطوط) ص ١٥٤ وعن الكوكب المضي (مخطوط) ص ٤٥ وعن غاية المرام في رجال البخاري سيد الأنام (مخطوط) ص ٧١ وعن الكشف والبيان وعن المختار في مناقب الأخيار (مخطوط) ص ٤ وعن مناهج الفاضلين للحموي (مخطوط).

وقال ابن شهر آشوب: إن هذا الحديث قد رواه الثعلبي، وابن عاقب في ملحمة = = وأبو السعادات في فضائل العشرة، والغزالي في الإحياء، وفي كيمياء السعادة عن عمار، وابن بابويه، وابن شاذان والكليني، والطوسي، وابن عقدة، والبرقي، وابن فياض، والعبدي، والصفواني والثقفى بأسانيدهم عن ابن عباس، وأبي رافع وهند بن أبي هالة.

والغديري ج ٢ ص ٤٨ عن بعض من تقدم، وعن: نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٩ عن السلفي. وأشار إليه مغلطاي في سيرته ص ٣١ والمستطرف، وكنوز الحقائق ص ٣١.

قال الإسكافي: "وقد روى المفسرون كلهم: أن قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ..) نزلت في علي (عليه السلام) ليلة المبيت على الفراش"^(٦).

ونقول:

إن المباهاة بعلي (عليه السلام) ، أمام الملائكة وإنزال أفضلهم لحراسته (عليه السلام) ، ليلة مبيته على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

١- راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٢.

يعطي المعنى العميق لمرامي قوله تعالى في سورة البقرة: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (١) ..

فإن جعل الخليفة إنما هو لإظهار حقيقة النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) ، وأهل البيت صلوات الله عليهم. وعلى الملائكة أن يدركوا أن هناك خلقاً لا يمكن أن تبلغه العقول، وأن أعظم الملائكة شأناً واسماهم مقاماً وفضلاً، لا يزيد على حد أن يكون من حراس واتباع ومحبي واحد من هؤلاء.. ولو لأجل موقف واحد من مواقفه.. فضلاً عن سائر مقاماته، كضربته يوم الخندق.. وغير ذلك.. كذبة مفضوحة:

وإن المصادر التي ذكرناها عن قريب، وقول الاسكافي المتقدم حول نزول آية الشراء في علي (عليه السلام) ، يظهر أن ابن روزبهان قد كذب في

١ - الآيات ٣٠ حتى ٣٣ من سورة البقرة.

قوله:

إن أكثر المفسرين قالوا: إن هذه الآية نزلت في الزبير والمقداد، حين أرسلهما النبي (ﷺ) إلى مكة لينزلا جثة خبيب بن عدي عن الخشب التي صلبه المشركون عليها. فأنزلاه. وكان حول خشبته أربعون رجلاً من المشركين. ويذكر المظفر: أن المفسرين لم يذكروا نزولها في الزبير والمقداد، ولم يذكر ذلك حتى السيوطي، والرازي، والزمخشري في كشفه، مع أن السيوطي ذكر عامة رواياتهم، والرازي جمع في تفسيره كل أقوالهم.. وذكر في الإستيعاب في ترجمة خبيب: أن الذي أنزل خبيباً هو عمرو بن أمية الضمري.. وقد تكلمنا حول هذا الموضوع في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)، وقلنا: إن ما قالوه في هذا المقام غير صحيح، فراجع..

ابن تيمية ماذا يقول؟!:

وقد أنكر "ابن تيمية" على عاداته في إنكار الواضحات والثوابت من فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) نزول آية الشراء في علي (عليه السلام) وقال:
"كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير.

وأيضاً قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له: لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، فلم يكن فيه فداء بالنفس، ولا إثارة بالحياة، والآية المذكورة، في سورة البقرة. وهي مدنية باتفاق. وقد قيل: إنما نزلت في صهيب رضي الله عنه " لما هاجر" (١). ونقول:

١. إن كانت الآية مدنية بالنسبة إلى علي عليه السلام، فهي أيضاً مدنية بالنسبة إلى صهيب، فما يقال هناك يقال هنا.
٢. لقد أجاب الإسكافي المعتزلي على دعوى الجاحظ: أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: لن يصل إليك شيء تكرهه! فقال: " هذا هو الكذب الصراح، والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال له: " فاضطجع في مضجعي، وتغش ببردي الحضرمي، فإن القوم سيفقدوني، ولا يشهدون مضجعي، فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذلك، حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغد في أماتي".

ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولده أبو بكر الأصم، وأخذه الجاحظ، ولا أصل له. ولو كان هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه، وقد وقع الإتفاق على

١ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٩٢.

أنه (عليه السلام) ضرب، ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو، حتى تضور، وأحتم قالوا له: رأينا تضورك الخ. (١). هذا وقد تقدم في أوائل هذا الفصل: أن النبي (ﷺ) إنما قال لعلي (عليه السلام): إنه لا يصل إليه شيء يكرهه، حينما التقى معه في الغار، وأمره برد ودائعه، وأن ينادي في مكة بذلك، وطمأنه إلى أن نداءه هذا لن يتسبب له بمتاعب وصعوبات وليس المقصود: أنه لن يناله مكروه من أي مشرك في جميع الأحوال والأزمان.

٣. ويدل على أنه كان (عليه السلام) موطناً نفسه على القتل ما يلي:

ألف: لو صح ما ذكره ابن تيمية لم يكن معنى للافتخار بموقفه ذاك؛ فقد روي أن عائشة فخرت بأبيها، ومكانه في الغار مع الرسول (ﷺ)، فقال عبد الله بن شداد بن الهاد: وأين أنت من علي بن أبي طالب، حيث نام في مكانه، وهو يرى أنه يقتل؟! فسكتت، ولم تحر جواباً (٢).

ب: عن أنس: أنه (عليه السلام) كان موطناً نفسه على القتل (٣).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٣. وراجع: قاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٩٧ والعثمانية للجاحظ (تحقيق عبد السلام مجد هارون) ص ٣٢٦.

٢ - أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٥٦ عنه.

٣ - المصدران السابقان.

ج: إن علياً (عليه السلام) نفسه قد أكد على هذا، ودفع كل شبهة فيه، حينما قال في شعره المتقدم:
وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى ومن طاف بالبيت العتيق بالحجر
إلى أن قال:

وبت أراعيهم متى يثبتونني وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وبات رسول الله في الغار آمناً هناك وفي حفظ الإله وفي ستر^(١)

د: وعنه (عليه السلام): "وأمرني أن أضطجع في مضجعه، وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له، مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه،
فمضى (صلى الله عليه وآله) لوجهه، واضطجعت في مضجعه،

وأقبلت رجالاً قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي (صلى الله عليه وآله)، فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي؛ فدفعتهم
عن نفسي بما قد علمه الله والناس.

١ - نور الأبصار ص ٨٦ وشواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٢ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤ وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، وأما الشیخ الطوسی ج ٢ ص ٨٣ =
وتذکره الخواص ص ٣٥ وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٣٠ ومناقب الخوارزمي ص ٧٤ و ٧٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٣١ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٣ وتاريخ الخميس
ج ١ ص ٣٢٥. والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بمأمش الحلبية) والمصادر لهذا الشعر كثيرة جداً لا مجال لتتبعها.

ثم أقبل على أصحابه، فقال: أليس كذلك، قالوا: بلى يا أمير المؤمنين^(١).
وقيل: إنهم ضربوا علياً، وحبسوه ساعة، ثم تركوه^(٢).

ملاحظة:

يمكن أن يفهم مما تقدم: أن الحديث الذي يقول: إنه (عليه السلام) قد حاربهم بسيف خالد موضع شك وريب، لأنه إنما حاربهم بسيفه هو لا بسيف خالد.

إلا أن يقال: أن نسبته إليه لا تدل على ملكيته له.

أو يقال: لعله حاربهم بسيفه أولاً، ثم بسيف خالد ثانياً بعد أن أخذه منه، أو العكس وإن كان هذا القول ضعيفاً.

٤ . وبعد، فإن قيمته (عليه السلام) كامنة وقائمة في عمق ذاته، من حيث صفاء جوهره، تماماً كما هي قيمة الذهب والجوهر، والألماس، بالقياس إلى الحديد والنحاس، فإنك تستخدم الحديد، وتستفيد منه ليل نهار، أما الجوهر والألماس، فإنه يحتفظ بقيمته العالية رغم أنه مودع في أعماق الخزائن، وقد لا يستفاد منه في شيء من الأعمال إلا ما شذ وندر.

ولأجل ذلك نقول: إن نزول الآية لتعظيم أمير المؤمنين (عليه السلام) يصح، حتى لو لم يكن علي حاضراً في واقعة ليلة الهجرة، لأن من

شؤون

١- بحار الأنوار ج ١٩ ص ٤٥ عن الخصال ج ٢ ص ١٤ و ١٥ .

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٥ .

وخصائص علي (عليه السلام) أنه يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، دون كل أحد سواه.
٥ . وأما دعوى ابن تيمية: أن حديث حراسة جبرائيل وميكائيل له (عليه السلام) ، ونزول الآية فيه، كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير .

فلا تصح أصلاً، إذ لم نجد أحداً منهم صرح بكذب هذه الرواية سواه، فهو يدعي عليهم ما لا يعرفون، وينسب إليهم ما هم منه بريئون . بل قد عرفت تصحيح الحاكم والذهبي لهذا الحديث، وتقدم أيضاً: أن طائفة كبيرة من الحفاظ والعلماء قد رووه من دون غمز أو لمز فيه .

إلا أن يكون شيطان ابن تيمية قد أوحى إليه بأن ينسب إليهم ما هم منه براء .
٦ . وأجاب الحلبي عن كلام ابن تيمية بقوله: " .لكنه في الإمتاع لم يذكر أنه (عليه السلام) قال لعلي ما ذكر؛ أي لن يصل إليك شيء تكرهه، وعليه فيكون فداؤه للنبي بنفسه واضحاً .

ولا مانع من تكرار نزول الآية في حق علي، وفي حق صهيب . وحينئذ يكون "شري" في حق علي (عليه السلام) بمعنى باع، أي باع نفسه بحياة المصطفى، وفي حق صهيب بمعنى اشترى، أي اشترى نفسه بماله .
ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية؛ لأن

الحكم يكون للغالب" (١). انتهى.

ولكن بعض ما أجاب به الحلبي محل نظر؛ فإن استعمال شرى بمعنى باع تارة وبمعنى اشترى أخرى محل نظر؛ لأنه يلزم منه استعمال المشترك في أكثر من معنى، وقد منعه طائفة من العلماء.

فإذا لم نجز استعمال المشترك في معنيين لم يصح كلام الحلبي حتى وإن كانت الآية قد نزلت مرتين لأن محل الكلام إنما هو في قراءتنا نحن للآية، وكيفية فهمنا لها.

أما نحن فنرى: أنه لا مانع من ذلك؛ إلا ما كان من قبيل الاستعمال في المعنى الحقيقي والمجازي معاً. لأن المجاز يحتاج إلى القرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي. فلا يمكن أن تجتمع معه.. لحصول التكاذب والتناقض.

وشاهدنا على ذلك صحة التورية وشيوعها في كلام العرب.

هذا عدا عن أن صهيياً لا خصوصية له في بذله ماله، فإن كثيراً من المهاجرين قد تخلوا عن أموالهم للمشركين، وهاجروا فراراً بدينهم.

٧. إن قوله (ﷺ) لن يصلوا إليك من الآن بشيء تكرهه: إنما كان بعد أن ذهب الطلب عن النبي (ﷺ)، لا قبل ذلك..

كما أن المراد به هو نفي حصول الأذى له في خصوص واقعة الهجرة. أما بعد ذلك فلم يكن محط النظر..

١ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧.

كما أنه يدل على أن الفترة التي كانت قبل صدور هذا القول لم تكن مأمونة من حدوث ما يكره حدوثه.
٨. قولهم إن سورة البقرة مدنية، ولو صح نزول الآية في علي (عليه السلام) لكانت مكية. غير مقبول، فإن نزول الآية لو سلم أنه كان في نفس ليلة المبيت، فمن الواضح أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان حينئذٍ في الغار، وليس معه سوى أبي بكر؛ فلم يكن ثمة مجال للإعلان بنزول الآية إلا بعد وصوله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة، واستقراره فيها، ثم إتاحة الفرصة له في الظرف المناسب لإظهار هذه الفضيلة العظيمة لابن عمه ووصيه.

أما آية الغار فيمكن أن تكون قد نزلت في السنة التاسعة أو العاشرة، لأجل إبطال بعض الإشاعات وزعمهم أن الحضور في الغار كان فضيلة لأبي بكر.

فلا بأس أن تعد بهذا الاعتبار مدنية، وتجعل في سورة البقرة، التي كان نزولها في مطلع الهجرة، كما هو معلوم. هذا بالإضافة إلى أن وجود آية مكية في سورة مدنية ليس بعزيز. وأما ما ذكره الحلبي من تكرر نزول الآية فلا دليل عليه، بل الأدلة الآتية تدفعه وتنافيه. قصة صهيب لا تصح:

وقد ذكروا: أن آية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ

الله^(١) قد نزلت في صهيب الرومي، حيث أراد الهجرة، فمنعه المشركون من ذلك حتى بذل لهم ماله. فلما التقى بالنبي (ﷺ) في قباء، قال له النبي (ﷺ): ربح البيع، أو نحو ذلك، فنزلت الآية^(٢).

وهذا لا يصح، وقد ناقشنا ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)^(٣) فيمكن الرجوع إلى ذلك الكتاب، لكننا نكتفي هنا بما يلي:

أولاً: إن الآية تثني على من بذل نفسه ابتغاء مرضات الله، لا من بذل ماله..

ثانياً: إنهم يذكرون: انه لم يتخلف مع النبي (ﷺ) أحد من المهاجرين إلا حبس أو فتن، إلا علياً وأبا بكر^(٤).

١ - الآية ٢٠٢ من سورة البقرة.

٢ - راجع: الإصابة: ج ٢ في ترجمة صهيب، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣ و ٢٤ والدر المنثور ج ١ ص ٢٠٤ عن ابن سعد، وابن أبي أسامة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية، وابن عساکر، وابن جرير، والطبراني، والحاكم، والبيهقي في الدلائل، وابن أبي خيثمة، وفي النصوص اختلاف.

٣ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم " صلى الله عليه وآله " ج ٤ ص ٢٢٣ فما بعدها.

٤ - السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٢٣ وسيرة مغلطاي ص ٣١.

ثالثاً: إن مفاد آية الشراء هو الشراء على من نزلت في حقه ولم يكن صهيب بالذي يستحق ذلك كما أظهرته الوقائع^(١).

علي (عليه السلام) يتعاهد النبي (صلى الله عليه وآله) في الغار:

ويقولون: إن النبي (صلى الله عليه وآله) مكث في الغار حتى ذهب الطلب عنه. وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يأتي النبي (صلى الله عليه وآله) بالطعام

والشراب في تلك الفترة^(٢).

وهذا هو المتوقع، والأمر الطبيعي، حيث إن علياً (عليه السلام) . وحده . الذي كان يعلم إلى أين توجه النبي (صلى الله عليه وآله) .

ولا يصح ما زعموه من أن أسماء بنت أبي بكر هي التي هيأت للنبي (صلى الله عليه وآله) ولأبي بكر زادهما، وكانت تأتيهما إذا أمست بما

يصلحهما من الطعام..

وادعوا أنها سميت بذات النطاقين، لأنها قطعت نطاقها قطعتين، فشدت فم الجراب الذي فيه الشاة المطبوخة بواحدة، وشدت فم القرية

١ - راجع: ترجمة صهيب في قاموس الرجال وغيره..

٢ - راجع: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٣٨ واعلام الورى ص ١٩٠ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٨٤ عنه، وتيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص ٧٥.

بالأخرى..

وكذا لا يصح ما زعموه: من أن عامر بن فهيرة كان يروح على النبي (ﷺ) وعلى أبي بكر، بمنحة غنم لأبي بكر، كان يرهاها ليحلب لهما.

ولا يصح أيضاً قولهم: إن عبد الله بن أبي بكر كان يأتيهما بالأخبار من مكة إلى الغار^(١).

نعم لا يصح هذا.. ولا ذاك، ولا ذلك..

أولاً: لأن هؤلاء: أسماء، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن أبي بكر، لم يكونوا يعرفون إلى أين توجه رسول الله (ﷺ) وأبو بكر. بل ادّعوا: إن علياً (عليه السلام) هو الذي أعلم أبا بكر بالجهة التي قصدتها رسول الله (ﷺ) ليلة الهجرة، فلحقه في الطريق، وذهب معه إلى الغار، ولم ينقل أنه رجع إلى بيته فأخبرهم بمقصده ومسيره.

ثانياً: ادّعوا: أن هاتفاً من الجن أخبر عائلة أبي بكر بمسيرهما إلى المدينة في أبيات أنشدتها، وذلك في اليوم الثاني من خروجهما من الغار^(٢).

ثالثاً: قد احتج علي (عليه السلام) بهذا الأمر في يوم الشورى، فقال:

١- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٩ والسيرة النبوية لابن هشام وكنز العمال (ط الهند) ج ٢٢ ص ٢١٠ عن البغوي وابن كثير.

٢- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥١.

"نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله الطعام وهو في الغار، ويخبره الأخبار غيري؟! قالوا: لا.."^(١).

رابعاً: ذكروا أيضاً: أن النبي (ﷺ) أرسل إلى علي (عليه السلام) يطلب منه أن يبعث إليه براحلة وزاد، ففعل.. وأرسل أبو بكر يطلب من ابنته ذلك، فأرسلت إليه بزاد وراحتين، أي له، ولعامر بن فهيرة^(٢). ولعل هاتين الراجلتين هما اللتان اشتراها علي لرسول الله (ﷺ) من أبي بكر حسبما تقدم^(٣). فيكون أبو بكر قد هاجر على راحلة اشتراها الرسول من أبي بكر نفسه!

وثمة مناقشات أخرى لأقوايلهم الأنفة الذكر، فراجع حديث الهجرة في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) الجزء الرابع.

١- الإحتجاج (ط النجف) ج ١ ص ٢٠٤.

٢- اعلام الورى ص ٦٣ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٧٠ و ٧٥ عنه، وعن الخرائج والجرائح، وعن قصص الأنبياء.

٣- ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٣٨ والدر المنثور، وفي تيسير المطالب ص ٧٥ أنه استأجر الرواحل الثلاث.

شراء الرواحل:

وذكرت الروايات: أن النبي (ﷺ) اشترى من أبي بكر الراحلة أو الراحلتين اللتين هاجرا عليهما^(١).
لكن نصاً آخر يقول: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) اشترى للنبي (ﷺ) ثلاثاً من الإبل، واستأجر الأريقط بن عبد الله، وأرسل الإبل معه إلى النبي (ﷺ) ليلة الخروج من الغار^(٢).

-
- ١- راجع: بحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٢ والألمالي للطوسي ج ٢ ص ٨٣ و (ط دار الثقافة) ص ٤٦٧ والغدير ج ٨ ص ٥٢ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٣٧ والدرجات الرفيعة ص ٤١١ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٤٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٧ و ٣٧٦ والميزان ج ٩ ص ٨١ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣١. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٧ ص ٣٩ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٤٠ و ج ٢١ ص ٣٠٩ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٨٧ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٢٩٤ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٤ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ١٠٣ والثقات لابن حبان ج ١ ص ١١٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٣٢٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٥ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣١٧ وعيون الأثر ج ١ ص ٢٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٤٥.
- ٢- ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساکر (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٣٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٣٠٠ والغدير ج ٨ ص ٥٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢١٢ وفي تيسير المطالب ص ٧٥ أنه استأجر الرواحل الثلاث.

ولعله (ﷺ) قد اشترى تلك الرواحل من أبي بكر، أو من غيره. وربما كان النبي (ﷺ) يحتاج إلى ذلك كله ليحمل معه أبا بكر أيضاً والزيد الذي يحتاجان إليه في ذلك السفر الطويل.

غير أن سؤالاً يبقى يتلجلج في الصدر عن سبب رفض النبي الاستفادة من مال أبي بكر، بل هو يريد ان تكون هجرة أبي بكر أيضاً على نفقته، فهل كان لا يرى أن ذلك المال كان حلالاً، أم أنه لا يريد أن تكون له منة عليه؟! أم ماذا؟!:

وصية النبي (ﷺ) بفاطمة (ﷺ):

وصرحت الروايات المتقدمة: بأنه (ﷺ) أوصى علياً (ﷺ) بابنته فاطمة (ﷺ)، وأمره أن يتناع رواحله، وللفواطم، ولمن أزمع الهجرة معه من بني هاشم.

ونقول:

أولاً: إن هذا النص يعطي: أنه لم تكن للنبي (ﷺ) بنت يفترض أن يهتم بشأنها سوى فاطمة (ﷺ).. ولأجل ذلك أمره بأن يأتي، وجعل الله تعالى خليفته عليهما، وأمره أن يشتري رواحله له ولها، ولسائر الفواطم لأجل الهجرة، فلو كانت أم كلثوم بنتاً لرسول الله (ﷺ) لكان ذكرها، وأوصى بها، وأمر علياً بشراء راحلة لها لتهاجر عليها..

وقد تحدثنا عن ذلك في كتبنا المختلفة، مثل بنات النبي (ﷺ) لا رباؤه والقول الصائب، والبنات ربائب وغير ذلك. ثانياً: إن هذا الدعاء النبوي لعلي (عليه السلام) ولفاطمة قد جاء في سياق واحد، جاعلاً علياً خليفته علي فاطمة مما يعني التطبيق العملي لقوله (ﷺ) في حديث إنذار العشيرة، وخليفتي من بعدي.. وحتى لو كان (ﷺ) قد قال: وخليفتي في أهلي، فإنه يؤدي نفس معنى الخلافة في الأمة، كما أوضحناه حين الحديث عن هذا الموضوع، فإن الخلافة في الأهل إذا كانت تشمل البالغين المكلفين، كان معناها الولاية العامة، لا مجرد الولاية التي تكون للرجل على أبنائه..

والخلاصة: أنه (ﷺ) صرح بخلافة علي (عليه السلام) على فاطمة، وقد كان يمكن أن يوصيه بالإتيان بها مع الفواطم من دون أن يجعله خليفة عليها.. ثم عقب ذلك بأنه يجعل الله خليفة عليها وعليه.. ربما لكي يفهمنا بصورة أوضح وأصرح أن مراده بالخلافة هنا تولي الأمر، من جميع الجهات.

أداء الأمانات:

وإن إبقاء علي (عليه السلام) في مكة لأداء الأمانات، ورد الودائع للناس، في مثل هذه الظروف الحساسة والخطيرة جداً، لهو من أروع المواقف المعبرة عن الإلتزام بالقيم، وبالمثل والمبادئ، فلا تجد أي أثر لالتماس المبادرات، وانتهاز الفرص، حتى حين تكون متوفرة له، وتكون

الظروف الصعبة ملحة عليه بهذا المستوى من الإلحاح.

واللافت هنا: أنه (ﷺ) أمر علياً بأن يؤدي الأمانات على أعين الناس ظاهراً، بل صارخاً بالناس ثلاثة أيام، بالأبطح، يطلب منهم الحضور لأخذها، وذلك ليعطيهم درساً بليغاً في الصدق مع الذات، وليضعهم أمام أنفسهم، وفي مواجهة وجدانهم، ليرى الجميع تناقضاتهم في سلوكهم، وكيف أن باءهم تجر المنافع لأنفسهم، ولا تجرهم إلى الإعتراف بالحق، والبخوع والخضوع له.. كما أن هذا الظهور العلني لعلي (عليه السلام) ، له معناه ومغزاه في كبت الأعداء، واكتوائهم بنار الخيبة والحسرة.. يكيّدون النبي (ﷺ) وعلياً (عليه السلام) :

روي: أن عمير بن وابل الثقفي أمره حنظلة بن أبي سفيان أن يدعي على علي (عليه السلام) ثمانين مثقال من الذهب وديعة عند محمد (ﷺ) ، وأنه هرب من مكة، وأنت وكيله، فإن طلب بينة الشهود، فنحن معشر قريش نشهد عليه. وأعطوه على ذلك مائة مثقال من الذهب، منها: قلادة عشرة مثاقيل لهند.

فجاء وادعى على علي (عليه السلام) ، فاعتبر الودائع كلها. ورأى عليها أسامي أصحابها ولم يكن لما ذكره عمير خيراً، فنصح له نصحاً كثيراً.

فقال: إن لي من يشهد بذلك، وهو أبو جهل، وعكرمة، وعقبة بن أبي معيط، وأبو سفيان، وحنظلة.

فقال (عليه السلام) : مكيدة تعود إلى من دبرها، ثم أمر الشهود أن يقعدوا في الكعبة. ثم قال لعمير: يا أخا ثقيف، أخبرني الآن حين دفعت وديعتك هذه إلى رسول الله أي الأوقات كان؟! قال: ضحوة نهار. فأخذها بيده ودفعها إلى عبده. ثم استدعى بأبي جهل وسأله عن ذلك، قال: ما يلزمي ذلك. ثم استدعى بأبي سفيان، وسأله، فقال: دفعها عند غروب الشمس. وأخذها من يده وتركها في كفه. ثم استدعى حنظلة، وسأله عن ذلك، فقال: كان عند وقت وقوف الشمس في كبد السماء. وتركها بين يديه إلى وقت انصرافه. ثم استدعى بعقبة، وسأله عن ذلك، فقال: تسلمها بيده، وأنفذها في الحال إلى داره، وكان وقت العصر. ثم استدعى بعكرمة، وسأله عن ذلك، فقال: كان بزوغ الشمس. أخذها فأنفذها من ساعته إلى بيت فاطمة. ثم أقبل على عمير وقال له: أراك قد اصفر لونك وتغيرت أحوالك. قال: أقول الحق، ولا يفلح غادر. وبيت الله، ما كان لي عند مُجَّد وديعة، وإنهما حملاني على ذلك. وهذه دنانيرهم، وعقد هند عليها اسمها مكتوب.

ثم قال علي (عليه السلام) : إيتوني بالسيف الذي في زاوية الدار. فأخذه وقال: أتعرفون هذا السيف؟!!

فقالوا: هذا لحنظلة.

فقال أبو سفيان: هذا مسروق.

فقال (عليه السلام): إن كنت صادقاً في قولك فما فعل عبدك مهلع الأسود؟!

قال: مضى إلى الطائف في حاجة لنا.

فقال: هيهات أن يعود تراه، ابعث إليه أحضره إن كنت صادقاً.

فسكت أبو سفيان. ثم قام (عليه السلام) في عشرة عبيد لسادات قريش، فنبشوا بقعة عرفها، فإذا فيها العبد مهلع قتيل. فأمرهم

بإخراجه.

فأخرجوه وحملوه إلى الكعبة. فسأله الناس عن سبب قتله.

فقال: إن أبا سفيان وولده ضمنوا له رشوة عتقه، وحثّاه على قتلي، فكمن لي في الطريق، ووثب عليّ ليقتلني، فضربت رأسه وأخذت

سيفه، فلما بطلت حيلتهم أرادوا الحيلة الثانية بعمير.

فقال عمير: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله^(١).

١- قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السلام" ص ٢٥ و ٢٦ عن الطبري، وابن شهر آشوب، والواقدي. ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٧٥ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢١٩ ومستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٣٨٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٥ ص ١٠٦.

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

سياسة المداراة:

إنه (عليه السلام) لم يبادر إلى زجر المدعي كذباً وتيئيسه من متابعة البحث في القضية التي أثارها، لأن ذلك معناه: خروج عمير إلى الناس، ليعلن أن محمداً (صلى الله عليه وآله) قد خان الأمانة وذهب بالمال. زاعماً: أن عدم وجدان علي (عليه السلام) ما ادعاه عمير بين الأمانات ليس معناه أنه كاذب فيما يدعيه، إذ لا شيء يثبت انحصار ودائع الناس بهذا الموجود بين يدي علي (عليه السلام). ينصحه أولاً:

إنه (عليه السلام) بادر إلى نصيحة ذلك المدعي زوراً، وبالغ فيها، وأكثر منها كي يعيده إلى توازنه، ويوقظ وجدانه، قبل فوات الأوان. وليبقى أثر هذه النصيحة في نفسه، حين يظهر البرهان القاطع كذبه في دعواه، ليكون ندمه أعظم، وألمه أشد. وليشعر بإحسان علي (عليه السلام) إليه، وحرصه عليه، حتى وهو يفترى على أقدس وأوفى الناس.

اليقين بالنتائج:

إن علياً (عليه السلام) بعد أن يئس من إنابة ذلك المدعي إلى رشده، واستشهد بمن شهدوا له، أعلن أمرين:

أحدهما: أنه يواجه مكيدة مدبرة ظهرت له من نفس عرض المدعي شهادة هؤلاء المعلنين بالعداوة للرسول، والمعروفين بسعيهم لإسقاطه بأية طريقة كانت، ولو بالدس والإفتراء.

ودلّه على الإفتراء في دعواه أيضاً: يقينه بصدق النبي، وبأمانته التي يشهد بها جميع أهل مكة، حتى سموه بالصادق الأمين..
ومجرد أن لا يجد (ﷺ) تلك الأمانة في جملة الأمانات الموجودة لديه لا يدع عنه مجالاً لأي شك أو شبهة بكذب ذلك الشخص فيما يدعيه الرسول.

الثاني: أنه (ﷺ) أخبر بالنتيجة سلفاً، وهي: أن المكيدة ستعود إلى من دبرها، وقد تحقق ذلك بالفعل، لأنه عالم بالطرق الصحيحة والمشروعة، التي من شأنها كشف الحقيقة للناس، وقد مارسها حتى انكشفت هذه الحقيقة بالفعل.
السؤال هو المشكلة:

واللافت هنا: أنه (ﷺ) قد طرح على الشهود سؤالاً لا يستطيع المدعي أن يتكهن بما سيجيب عنه كل واحد منهم، ولا يمكنه أن يصدده عنه، لا بإشارة، ولا بعبارة.

اصفر لونك:

إنه (ﷺ) لم يواجه ذلك المدعي للباطل بالتكذيب، حتى بعد

أن ظهر كذبه، بل قال له: أراك قد اصفر لونك، وتغيرت أحوالك. لأن مواجهته بالقسوة استدعوه للمكابرة، وافتعال مشكلة تستطيع أن تصرف الأنظار عن قبح ما أتاه، وتشحن الأجواء بروائح كريهة، مفعمة بالتحدي والعداء، الأمر الذي يجعل هذا المفترى محققاً في ما يدعيه بنظر الناس.. ويبرر للناس هذا الموقف الرديء، لأنهم يزعمون أن للعدو أن يكافح عدوه بمختلف الوسائل المتاحة له. ولكن رفقته (عليه السلام) به، بعد نصيحته المتقدمة له قد دفعت ذلك المفترى إلى الإعتراف بغدره، وتواطئه مع أولئك المسرفين على أنفسهم ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

سيف حنظلة:

وفي هذا الظرف بالذات، وقبل أن يستفيق المتآمرون من الصدمة، فاجأهم (عليه السلام) بإظهار سيف حنظلة بن أبي سفيان، وعرضه عليهم، وبدا كأنه يريد أن يتعرف على صاحب السيف ويرده إليه. فعرف الحاضرون السيف.

فاغتتمها أبو سفيان فرصة للتخلص من الموقف البالغ في حراجه، فأراد صرف الأنظار إلى جهة أخرى ربما يتمكن من خلالها من اتهام علي (عليه السلام) بما يشينه، فبادر إلى ادعاء: أن السيف مسروق. ربما ليُتبع ذلك مباشرة بأنه يتهم علياً (عليه السلام) بسرقة. فإن كانوا هم قد شهدوا شهادة زور، فإن علياً (عليه السلام) قد ارتكب جريمة السرقة، والعياذ

بِالله..

أين عبدك مهلع:

وكان علياً (عَلِيٌّ) كان بانتظار هذه الكلمة من أبي سفيان. فأورد عليه سؤاله الأصعب عن عبده "مهلع". فكذب عليه أبو سفيان في الجواب. ليتستر على محاولة اغتياله، فلا تجتمع عليه فضيحتان:

إحدهما: السعي لاغتيال الأبرياء، من دون أي مبرر.

والآخر: المكيدة التي دبرها، واتخذ فيها صفة شاهد الزور.

ثم إنه (عَلِيٌّ) أعلن للناس بالحقيقة، وقدم لهم الشاهد والدليل الذي لا دافع له.. وكانت الفضيحة أكبر، والخزي أشد وأعظم.. السياسة الحكيمة:

وبعد.. فإن من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: أننا نجد أمير المؤمنين علياً وكذلك أبناءه من بعده (عَلِيٌّ) يبادرون إلى أمور من شأنها تفويت الفرصة على مزوري التاريخ من أعداء الدين والحق والإيمان، فقد روى عبد الواحد بن أبي عون:

أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حينما حضرته الوفاة أمر علياً (عَلِيٌّ) صائحاً يصيح: "من كان له عند رسول الله عدة أو دين فليأتني".

فكان علي (عَلِيٌّ) يبعث كل عام عند العقبة يوم النحر من يصيح بذلك، حتى توفي علي، ثم كان الحسن بن علي يفعل ذلك حتى توفي، ثم كان

الحسين يفعل ذلك، وانقطع ذلك بعده، رضوان الله تعالى عليهم وسلامه.
قال ابن عون: فلا يأتي أحد من خلق الله إلى علي بحق ولا باطل إلا أعطاه^(١).

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ٨٩ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ٣١٩.

الفصل الثامن: هجرة علي (عليه السلام)

هجرة أمير المؤمنين (عليه السلام) :

واستمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هجرته المباركة حتى قرب من المدينة، فنزل بادئ ذي بدء في قباء، في بيت عمرو بن عوف، فأراده أبو بكر على دخول المدينة، وألاصه فأبى، وقال: ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن أُمي وأخي، وابنتي، يعني علياً وفاطمة (عليهما السلام) (١).

١- راجع: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٣٥ و (ط دار الحديث) ج ١ ص ٣٠٢ من دون ذكر للاسم، وأما لي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣ و (ط دار الثقافة) ص ٤٦٩ وإعلام الوري ص ٦٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٥٣ و حلبة الأبرار ج ١ ص ١٤٩ و ١٥٨ و ١٥٩ و بحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٤ و ١٠٦ و ١١٥ و ١١٦ و ج ٢٢ ص ٣٦٦ و ج ٥٥ ص ٣٦٧ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٠ والدرجات الرفيعة ص ٤١١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٨ و ٣٧٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٢ والكافي ج ٨ ص ٣٣٩ و ٣٤٠ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٢٩ و ١٣٠ ومستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٢٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٤ ص ٨٦ و ج ١٩ ص ٤١٧ والمختصر للحلي ص ١٠٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٣٢٨ واللمعة البيضاء ص ٦٤١ ونفس الرحمن للنوري ص ٩٩ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٣٥.

فلما أمسى فارقه أبو بكر، ودخل المدينة، ونزل على بعض الأنصار، وبقي رسول الله بقباء، نازلاً على كلثوم بن الهدم^(١). ثم كتب رسول الله (ﷺ) إلى أخيه علي (عليه السلام) كتاباً يأمره بالمسير إليه، وقلة التلوم. وأرسل الكتاب مع أبي واقد الليثي. فلما أتاه كتاب النبي (ﷺ) تهيأ للخروج والهجرة، فأعلم من كان معه من ضعفاء المؤمنين، وأمرهم أن يتسللوا، ويتخفوا تحت جناح الليل إلى ذي طوى، وخرج (عليه السلام) بفاطمة بنت الرسول، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله (ﷺ)، وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فأمره (عليه السلام) بالرفق، فاعتذر بخوفه من الطلب.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إربع عليك، فإن رسول الله (ﷺ) قال لي: (أي حين سفره من الغار كما تقدم) يا علي أما إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه.

وأدركه الطلب قرب ضجنان، وهم سبع فوارس مثلثمون، وثامنهم مولى للحارث بن أمية، يدعى جناحاً.

١ - إعلام الوری ص ٦٦ و (ط مؤسسة أهل البيت) ج ١ ص ١٥٢ و بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٠٦ عنه.

فأنزل علي (ﷺ) النسوة، وأقبل على القوم منتضياً السيف، فأمره بالرجوع، فقال: فإن لم أفعل؟! قالوا: لترجعن راغماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك.

ودنا الفوارس من المطايا ليثوروها، فحال علي (ﷺ) بينهم وبينها، فاهوى جناح بسيفه، فراغ علي (ﷺ) عن ضربته، وتحتله علي (ﷺ) فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه، حتى مس كاثبة فرسه، وشد عليهم بسيفه، وهو يقول:

خلوا سبيل المجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه، وقالوا: أغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب.

قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله يثرب، فمن سره أن أفري لحمه، وأهريق دمه، فليتبعني، أو فليدن مني، ثم أقبل على صاحبيه، فقال لهما: أطلقا مطاياكما.

ثم سار ظاهراً حتى نزل بضعجان، فتلوم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة الرسول (ﷺ) فعبدوا الله تلك الليلة قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلى بهم علي (ﷺ) صلاة الفجر ثم سار بهم، فجعلوا يصنعون ذلك في كل منزل، حتى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم.

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا..).

إلى قوله: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ دُونِ أَوْ أَنْتِي..)^(١).
ولما بلغ النبي (ﷺ) قدومه (عليه السلام) ، قال: ادعوا لي علياً.

قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي.

فأتاه (ﷺ) بنفسه، فلما رآه اعتنقه، وبكى رحمة لما تقدمه من الورم، وكاننا تقطران دماً.

وقال (ﷺ) لعلي (عليه السلام) : يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبك . والذي نفسي بيده . إلا مؤمن قد امتحن قلبه للإيمان ولا يبغضك إلا منافق أو كافر^(٢) .

١ - الآيات ١٩١ . ١٩٥ من سورة آل عمران.

٢ - راجع فيما ذكرناه: أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣ . ٨٦ و (ط دارالثقافة) ص ٤٧٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٣ و ١٨٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٦٠ و حلية الأبرار ج ١ ص ١٥٢ و ١٥٣ و بحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٤ . ٦٧ و ٨٥ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٣ وتأويل الآيات ج ١ ص ١٢٧ والبرهان ج ١ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ عن الشيباني في نهج البيان، وعن الإختصاص للشيخ المفيد، وإعلام الورى ص ١٩٠ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٦٩ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٧٧ وفضائل أمير المؤمنين " عليه السلام " للكوفي ص ١٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٥١ و ج ٨ ص ٣٤١ و ج ١٨ ص ٦٨ و ج ٢١ ص ٢٩٣ و ج ٣٠ ص ١٤ .

وهذه الرواية تضع علامة استفهام على من هاجر قبله إلى المدينة مع الرسول.

ونقول:

البنات ربائب مرة أخرى:

وقد تضمن النص المتقدم دلالة أخرى على أن أم كلثوم على الأقل لم تكن بنتاً، للنبي (ﷺ)، وهو قول النبي (ﷺ) لأبي بكر، حول دخول المدينة: "ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن أُمِّي وأخي، وابنتي يعني فاطمة (عليها السلام)".

وفي نص آخر: حتى يقدم ابن أُمِّي وأخي، وابنتي، علياً وفاطمة (عليهما السلام) (١).

فإن المفروض: أن أم كلثوم كانت في مكة، فلماذا لم يشر إليها النبي (ﷺ) في كلامه؟! بل تحدث عن بنت واحدة ينتظر قدمها عليه، وهي فاطمة (عليها السلام).

فإما لم يكن للنبي (ﷺ) بنت اسمها أم كلثوم، أو أن أم كلثوم كانت متمردة علي أبيها، ولا تطيع أوامره، أو تختار البقاء مع المشركين في مكة، ولا تهاجر مع أبيها.. وهذا ما لم يشر التاريخ إلى شيء منه، ولا مجال لادعائه.

١ - تقدمت مصادر الحديث.

ابن أمي، وأخي:

وعن قوله (ﷺ) عن علي (عليه السلام) : "ابن أمي وأخي" نقول:

إن اختياره (ﷺ) لهذا التعبير للدلالة على موقع علي (عليه السلام) منه، يدلنا على أنه قد قصد به أن يظهر فضل فاطمة بنت أسد من جهة، ومكانة علي (عليه السلام) منه من جهة أخرى، فهو (ﷺ) يعتبرها أمه، ويرى علياً (عليه السلام) أخاه.. وكأنه (ﷺ) يجعل كون علي (عليه السلام) ابن أمه بمثابة المرتكز الطبيعي لاعتباره أخاً له، وفي هذا تعميق لمعنى الأخوة بينهما من حيث إن هذه الأخوة قد تجاوزت نطاق الافتراض والاعتبار لتلامس الأخوة النسبية الواقعية، ولتصبح العلاقة غير خاضعة للرفع والوضع، والاعتبار القابل للنقض باعتبار آخر..

النبي (ﷺ) لا يدخل المدينة وحده:

إن رفض النبي (ﷺ) دخول المدينة، من دون علي (عليه السلام) وفاطمة، قد يشير إلى أنه (ﷺ)، يريد أن يستكمل العناصر المكونة للصورة التي تقدم النموذج للإنسان الإلهي وللتدبير الربوبي، والخطوة الإلهية للبشر في مسيرتهم نحو الأهداف التي رسمها الله لهم. فثمة نبوة ورسالة، وثمة حاكمية إلهية، واستمرار لهذه الحاكمية، كما أن ثمة نموذجاً حياً للإنسان الإلهي، والتربية الربانية..

ولذلك أراد (ﷺ) أن يدخل المدينة مع وصيه ووزيره، ومن رضيه الله تعالى إماماً وولياً للبشر كلهم.

وتلك هي الصورة التي يريد أن يقدمها لأهل المدينة التي سوف تكون منطلقه في إقامة دين الله، وهداية عباد الله إلى الله تبارك وتعالى..
أبو بكر يغضب ويشتمز:

وقد جاء في بعض روايات الهجرة: أنه في نفس اليوم الذي وصل فيه النبي (ﷺ) إلى قباء ونزل على كلثوم بن الهدم أصّر عليه أبو بكر ليدخل المدينة، فرفض وأخبره: أنه لا يريم (أي لا يفارق ولا يبرح مكانه) حتى يقدم عليه ابن عمه، وأخوه في الله، وأحب أهل بيته إليه، الذي وقاه بنفسه، على حد تعبيره (ﷺ).

فغضب أبو بكر، واشمأز، وفارق النبي (ﷺ)، ودخل المدينة في تلك الليلة، وبقي (ﷺ) ينتظر أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى وافاه بالفواطم، وأم أيمن^(١) في النصف من ربيع الأول، لأن

١- راجع فيما ذكرناه كتاب: بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٠٦ و ١١٥ و ١١٦ و ٧٥ و ٧٦ و ٦٤ وإعلام الورى ص ٦٦ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٤٥ وراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٣٥ و (ط دار الحديث) ج ١ ص ٣٠٣ وأمالى الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣ و (ط دار الثقافة) ص ٤٧٠ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٣ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٨٥ وراجع: الكافي ج ٨ ص ٣٤٠ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٣٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٣ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٣٣ والطرائف لابن طاووس ص ٤١٠ والمختصر للحلي ص ١٠٦ و حلية الأبرار ج ١ ص ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٣٢٩ ونور الثقلين ج ١ ص ٤٢٣ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٧٢.

النبي (ﷺ) قدم إلى قباء في الثاني عشر.

وقيل: بقي (ﷺ) في قباء بضع عشرة ليلة^(١).

وقيل: أقام هناك اثنتين وعشرين ليلة^(٢). من ربيع الأول، وقد وافاه علي (عليه السلام) بعد ثلاثة أيام^(٣). ونزل مع رسول الله "صلى الله"

عليه

١- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ عن البخاري.

٢- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥ عن ابن عقبة.

٣- راجع: إمتاع الأسماع ص ٤٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٦٨ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٩٧ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٧٢٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٢٦ وراجع ص ٦٢٥ و ج ٣٠ ص ١٥ و ٥٥٨ و ٦١٧ و ٦١٨ و بحار الأنوار ج ١٩ هامش ص ١٠٦ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٦٩ وشرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٣٠٥ وأنساب الأشراف ص ٩١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٩٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٢٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٧٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٢٦٧ ونبايع المودة ج ٢ ص ١٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٢.

على كلثوم بن الهدم^(١).

ويرى البعض: أن الذي قدم بالعيال هو زيد بن حارثة وأبو رافع^(٢).

ورفع الحلبي الثاني: باحتمال أن يكون الكتاب الذي أرسله إلى علي (عليه السلام) من قباء قد أرسله معهما، ثم رافقا علياً في الطريق، وعادا معه^(٣).

فنسب البعض الحجىء بالعيال إليهما، وتجاهل دور أمير المؤمنين (عليه السلام)

١- راجع: كنز العمال ج ١٦ ص ٦٨٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٦٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٣٠٥ وأنساب الأشراف ص ٩١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٩٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٢٤٢ وشرح إحقاق الحق = (الملحقات) ج ٨ ص ٦٢٥ و ج ٣٠ ص ١٥ و ٥٥٨ و ٦١٧ و ٦١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ١٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٦٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٧٠ وجواهر المطالب ج ١ ص ٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٢٦٧ وينايع المودة ج ٢ ص ١٤٩.

٢- راجع: المستدرک للحاکم ج ٤ ص ٥ وفتح الباري ج ٧ ص ١٧٦ و ٢٠٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٦٢ والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ص ٩٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ٢٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٤ ص ١٩٣٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٨٣ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٥٢ و ٢٦٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٣ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٣٣.

٣- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٣ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٣٣.

الرائد، وموقفه في الدفاع عنهما حاجة في نفسه قضاها.

لا مبرر للإصرار:

تحدثت الروايات أن أبا بكر الأصم^(١) النبي (ﷺ) ليدخل المدينة، فأبى. فتركه ودخلها وحده.

ونقول:

لا معنى لأن يقترح أحد على رسول الله (ﷺ) شيئاً، فضلاً عن أن يصر عليه في أي من الأمور، بل عليه أن يسلم لرسول الله (ﷺ) في كل شيء، عملاً بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)^(٢).

ويتأكد لزوم هذا التسليم إذا كان هذا الأمر يرتبط بالنبي (ﷺ) نفسه، وبدعوته وحركته في محيطه، فإنه أدرى بما يريد الله تعالى منه، وأعرف بما يصلح له وبما لا يصلح، وهذا بالذات هو حال النبي (ﷺ) فيما يرتبط بدخوله إلى المدينة في ذلك الوقت بالذات.. ويزيد الأمر غرابة: أن يقدم أبو بكر على ترك رسول الله (ﷺ) في قباء، ويدخل هو المدينة وحده.. فإن هذا ليس هو المتوقع من صحابي يهيمه أمر رسول الله (ﷺ) والإستزادة من بركات

١ - أُلصق: أي حركه واراذه كالذي يريد أن يقتلع التوتد من موضعه.

٢ - الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.

وجوده، والإستفادة من علمه، وتربيته وتوجيهاته.

لماذا الغضب والإشمئزاز؟!

وقد ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن النبي (ﷺ) قال: "لست أرى حتى يقدم ابن عمي، وأخي في الله عز وجل، وأحب أهل بيتي إلي، فقد وقاني بنفسه من المشركين.

قال: فغضب عند ذلك أبو بكر، واشتمت، وداخله من ذلك حسد لعلي (عليه السلام) إلخ..".

ويستوقفنا هنا: أن النبي (ﷺ) لم يبرر مقامه في قباء إلا بأمر واحد، وهو انتظاره قدوم علي (عليه السلام) ..

ثم وصف علياً (عليه السلام) بأوصاف عالية، تميزه على جميع ما عداه.

والأهم من ذلك: أنه (ﷺ) قدم الدليل والمبرر لهذه الأوصاف، الذي لا مجال لإنكاره ولا للتأويل أو التلاعب فيه..

وقد أوضح هذا المبرر: أن هذا الكلام ليس مجرد كلام إنشائي، قد يتم التراجع عنه، أو إشراك شخص آخر فيه.

وبعبارة أخرى.. إن التضحية التي قدمها علي (عليه السلام)، وهي وقايته لرسول الله (ﷺ) بنفسه ليلة المبيت، أمر تفرد به علي

(عليه السلام) ولا يشاركه فيه غيره. فلا مجال إذن لمشاركة أحد له في الحب الذي نتج عن هذه التضحية.. إلا بتضحيات مماثلة.. وهي مما لا

يتوقع حصوله من أحد سواه..

من أجل ذلك: وجد أبو بكر نفسه أمام طريق مسدود، فتضايق إلى حد الغضب، وأخذه حب الإستثثار بهذه الفضيلة لنفسه، وأنى له بذلك، وهو لا يستطيع أن يضحى بأي شيء حتى لرسول الله (ﷺ)، كما أظهرته الوقائع طيلة حياة النبي (ﷺ).
أبو بكر في بناء مسجد قباء:

وبعد وصول أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى رسول الله (ﷺ)، وهو لم يزل في قباء بادر (ﷺ) إلى تأسيس مسجد قباء المعروف..

وزعمت بعض الروايات أيضاً: أنه (ﷺ) أمر أبا بكر بأن يركب الناقة، ويسير بها، ليخط المسجد على ما تدور عليه، فلم تنبعث به، فأمر عمر فكذلك، فأمر علياً (عليه السلام) فركبها، فانبعثت به، ودارت به، فأسس المسجد على حسب ما دارت عليه..
وقال (ﷺ): إنها مأمورة^(١).

ولكن سيأتي أن ذلك إنما كان في مسجد المدينة، لا في قباء.

١ - مجمع الزوائد ج ٤ ص ١١ وعمدة القاري ج ٧ ص ٢٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٢٦٨ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٣٩ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٢٤٦ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨ والإكمال في أسماء الرجال ص ٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٣ ص ٥٠١ وراجع: تاريخ جرجان ص ١٤٤ وفي عبارته سقط.

ونقول:

هناك استفادات ومناقشات، وإشارات تجعلنا نشير إلى الأمور التالية:

إنها مأمورة:

هناك أمور تمر على الناس في حياتهم تبقى لها آثار عميقة في وجدانهم، وتحتزنها ذاكرتهم، ويكون لها دور كبير في تعميق الإيمان، وترسيخ القناعات، بعد أن تكون الآيات والمعجزات والبراهين والدلالات العقلية قد أخذت بيد الإنسان إلى الخضوع والبخوع، والتسليم، وإبعاد الشبهات وإزالة الريب.

ومن المفردات التي كان (ﷺ) يعتمد عليها في ذلك تلك الأحداث التي تظهر الكرامة الإلهية، وتدلل على علاقة شخص بعينه بالغيب، وفوزه بالرعاية الإلهية. وقضية انبعاث الناقة هنا بعلي دون سواه من هذا القبيل.

الرفق بالضعائف:

تقدم: أنه حين جاء كتاب رسول الله (ﷺ) علياً (عليه السلام)، أعلم من كان معه من ضعفاء المؤمنين، وأمرهم بالتخفي بالليل، وأن يتسللوا إلى ذي طوى..

وخرج (عليه السلام) بالفواطم، فجعل أبو واقد يسوق بالرواحل فأعنف بها فأمره (عليه السلام) بالرفق بالنسوة، إنهن من الضعائف.

فاعتذر بأنه يخاف الطلب، فأخبره بأن النبي (ﷺ) قال

له: إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه.
ونقول:

في هذا النص اشارات عديدة، نذكر منها..

١ . إن علياً (عليه السلام) آثر أن يستصحب معه ضعفاء المؤمنين، لا سيما وأن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قال له: إنه لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه، فإن هذا يجعله يطمئن إلى سلامته، وسلامة من معه أيضاً.
فأحب أن يستفيد من هذه الفرصة لتخليص خصوص الضعفاء من برائن مشرقي قريش..
وهذا هو المتوقع من علي الذي يعتصر قلبه ألماً لما يشاهده من أذى أهل الشرك لأولئك الضعفاء، وها هو يجد الفرصة لتخليصهم، فلماذا لا يعتنمها؟!

٢ . ولا بد لأولئك الضعفاء من التخفي بالليل والتسلل إلى ذي طوى، لأن الضمانة لهم لم تتوفر بعد، لأنهم لم ينضوا بعد تحت جناح أمير المؤمنين (عليه السلام) ، لكي يكون هو الحامي والكفيل.

٣ . وقد صرح (عليه السلام) بأن النسوة من الضعائف، فأشرك معهن غيرهن في صفة الضعف، ربما ليدلنا على أن الضعف ليس صفة لخصوص النسوة اللاتي حملهن معه، ليكون غيرهن من النساء لسن كذلك.. بل الضعف هو صفة المرأة بصورة عامة، فإن جسدها لا يحتمل العنف، لأن المهمة التي خلقت من أجل القيام بها، تحتاج إلى هذا النوع من المزايا المهمة جداً في نطاق القيام بالوظيفة التي أوكلت إليها، وهن ضعاف بالقياس إلى

مهمات الرجال. وهن أقوياء فيما يرتبط بما اعدهن الله تعالى له.. فضعفهن مزية لهن، وإنما يتصف بالسلبية إذا أريد لهن أن يقمن بوظائف لا تصلح لهن، ولا يصلحن لها.

٤ . ولا بد لنا من عطف النظر على هذا اليقين الذي أظهره (عليه السلام) بتحقيق ما أخبره به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فصار يتصرف وفق ما يفرضه عليه ذلك اليقين.

ولا بد أن يكون (عليه السلام) قد قصد بنقل قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلك اللحظة لأبي واقد، فيقترن بذلك التصرف المستند لهذا الإخبار النبوي، لكي يعطي الآخرين درساً في عمق الإيمان، وفي التسليم التام لما يخبر به الأنبياء صلوات الله عليهم، ولتكون مشاهدة تحقق ما يخبرون به، من مفردات معجزاتهم التي تعمق الإيمان في نفوس أهل البصيرة والإيمان.

إنه علي (عليه السلام) .. وليس عمر!!:

وقد تقدم: أنه (عليه السلام) بعد أن قتل أحد الفرسان السبعة الذين هاجموه، وتضعض سائرهم عنه، قال لهم: "من سره أن أفري لحمه، وأهريق دمه، فليتبني، أو فليدن مني".

ولكن نفوس شائني علي (عليه السلام)، التي تنضح بالحقد والضعينة، أغارت . كما هي العادة . على هذه الفضيلة لعلي (عليه السلام) ايضاً، لكي تستلبها، وتمنحها إلى غيره..

ثم أمعنت في التزوير والكيد بزعمها أنه (عليه السلام) نفسه هو الذي

حكى هذه القصة عن فلان من الناس، لأن نقل الحديث عنه (عليه السلام) سيكون أوقع في النفوس، وأبعد عن الشبهة، وأدعى للقبول..
فرووا عن علي (عليه السلام) أنه قال: ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا متخفياً إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد
بسيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يديه أسهماً، واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى
المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، فقال:

"شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، فمن أراد أن تتكلمه أمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي".

قال علي (عليه السلام) : فما تبعه أحد، ثم مضى لوجهه^(١).

ونحن لا نريد أن نقول: إن عدم لحوقهم به كان استهانة به، وازدراء له..

ولا نريد أن نقول أيضاً: إنه أمنهم، ففعل ما لا خطر فيه عليه، وأن ذلك يثير الريب في أن يكون على تفاهم تام معهم.. إذ ليس لدينا

شاهد

١ - تاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٥١ وأسد الغابة ج ٤ ص ٥٨ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٤ ص ٣٨٧ عن ابن عساکر، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١
و ٢٢ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٨٣ و ١٨٤ وكنز العمال ج ١٤ ص ٢٢١ و ٢٢٢ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٢ ص ٥٧٥ عن ابن عساکر، وأشار إليه في نور
الأبصار ص ١٥.

تاريخي يؤيد هذا أو ذلك..

ولكننا نرى:

إن أصل هذه المزعمة مكذوب عليه.. أو مصنوع له، إن أردنا أن نتوخى الدقة في التعبير.. والشواهد على ذلك كثيرة..
أولاً: إن هذا ليس هو عمر بن الخطاب الذي نعرفه، فلعله عمر آخر لم نسمع به!!.. لأن عمر الذي نعرفه كان يشتد على المؤمنين في حالات السلم، ويضعف ويتراجع ويهرب أمام الأعداء في حالات النزال والقتال، فهو الفرار في أحد، وقريظة، وخيبر، وحنين، وذات السلاسل، ولم نره أظهر نفسه في حرب الخندق..

ثانياً: إنه حين أسلم اختبأ في داره خائفاً، حتى جاءه العاص بن وائل السهمي فأجاره.. كما رواه البخاري وغيره^(١).

١ - راجع: صحيح البخاري (ط مشكول) ج ٥ ص ٦٠ و ٦١ و (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢٤٢ ففيه روايتان بهذا المعنى، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٤ و (ط دار الكتاب العربي) ج ١ ص ١٧٦ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٤ والإكمال في أسماء الرجال ص ١٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٣٧٤ وعيون الأثر ج ١ ص ١٦٣ ونسب قريش لمصعب الزبير ص ٤٠٩ وتاريخ عمر لابن الجوزي ص ٢٦ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٢ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٧ ومقدمة فتح الباري ص ٣٦٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٧٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢ ودلائل النبوة للبيهقي (ط دار النصر) ج ٢ ص ٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٤٢.

وكانت مشورته في بدر على رسول الله (ﷺ) .. تنضح بالتخويف من قريش، وجبروتها، وخيلائها.. فلم يرضها رسول الله (ﷺ)^(١).

ثالثاً: إنه لم يجرؤ على حمل رسالة النبي (ﷺ) لقريش عام الحديبية، بحجة أن بني عدي لا ينصرونه إن أودى، وحملها عثمان^(٢).

١- مغازي الواقدي ج ١ ص ٤٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٨٦ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢١٧ و ٢٤٧ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٥٨ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ١٨١ ومجمع البيان ج ٤ ص ٤٣٢ والأصفي ج ١ ص ٤٢٥ والصافي ج ٢ ص ٢٧٤ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٢٤ والميزان ج ٩ ص ٢٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٦ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٩٣ وج ٩ ص ٢٤١ وعيون الأثر ج ١ ص ٣٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢٦ والدر المنثور ج ٣ ص ١٦٦ عن دلائل النبوة للبيهقي.

٢- راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٧٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٣٣ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١١١ وعين العبرة ص ٢٤ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٠ و ٢٠١ والثقات ج ١ ص ٢٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٧٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦١٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦ وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٢٥٤ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١١٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٨٢.

رابعاً: إنهم يزعمون: أن أبا بكر كان أشجع الصحابة، استناداً إلى موقفه عند استشهاد رسول الله (ﷺ) (١) ونحن وإن كنا نرى أن ذلك غير صحيح أيضاً.. بدليل ما رأيناه من حزنه في الغار، وأنه لاذ في مواطن النزال بالفرار، غير أننا نقول: - على سبيل الالتزام - لماذا لم يهاجر أبو بكر ظاهراً، وهاجر عمر كذلك؟!..

خامساً: هل يمكن أن نقول: إن عمر كان أشجع من النبي (ﷺ)، حيث خرج (ﷺ) إلى الغار متخفياً في الليل، وعمر هاجر ظاهراً ومهدداً ومتوعداً؟!!

سادساً: لماذا احتاج رسول الله (ﷺ) إلى الهجرة، فقد كان بإمكان عمر أن يمنع الناس من أذيته في مكة؟! أو لماذا لم يحمه حتى يهاجر ظاهراً منها؟!!

ولماذا ترك أهل مكة يحصرون النبي (ﷺ) والهاشميين في الشعب، وبقي هو حراً طليقاً في مكة..

١- راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٢٢٢ والغدير ج ٧ ص ٢١٣ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥٤. وراجع: الفتح المبين لدحلان (بهامش سيرته النبوية) ج ١ ص ١٢٣. ١٢٥. والوافي بالوفيات ج ١ ص ٦٦ وعن نور الأبصار للشبلنجي ج ١ ص ١٠٧.

وكذلك كان حال أبي بكر، فإن هؤلاء يزعمون أن عمر وأبا بكر قد أسلما قبل حصر المسلمين في الشعب..
وإذا كانت لعمر هذه الشجاعة، فلماذا لم يعز الاسلام به، رغم زعمهم أن النبي (ﷺ) دعا أن يعز الاسلام به؟!
فإما أن يقرّوا بأنهما قد أسلما بعد خروج المسلمين من الشعب، أو يقرّوا بأنهما كانا قد أسلما قبل ذلك، وقد أخفيا إسلامهما تقيّةً
وخوفاً، أو أن يذكرّوا لنا السبب في عدم تعرض قريش لهما، إن كان إسلامهما ظاهراً طيلة تلك السنين..

وفي جميع الأحوال نقول:

إن الصحيح: هو ما قدمناه من أن علياً (عليه السلام) هو الذي قال ذلك القول، وردّ الذين لحقوا به حين هجرته خائبين خاسرين، بعد
أن قتل أحد فرسانهم.

ولكنهم أغاروا على هذه الفضيلة ظناً منهم أنها مستورة، أو غير مشهورة، لأنهم كانوا في أشد الضيق من كرامات وجهاد ومواقف علي،
خصوصاً مبيته في فراش رسول الله (ﷺ) ليلة الهجرة، مع ظهور ضعف أبي بكر في حزنه الذي حكاه الله عنه..
فحاولوا إطرء أبي بكر في الغار بما لا مزيد عليه، ثم حاولوا أن يمنحوا عمر بن الخطاب هذه الفضيلة على لسان علي (عليه السلام)، لأن
ذلك أوقع في النفس، وأبعد عن الشبهة، وأدعى إلى القبول والتسليم..

ولكن الله تعالى قد فضح أمرهم، وأكذب أحدوثتهم، وهو المستعان على ما يصفون..

آيت لا أعبد غير الواحد:

ولسنا بحاجة إلى التذكير: بأن علياً (عليه السلام) في هذه الواقعة بالذات لم يقل: إني أدافع عن نفسي وعن المستضعفين الذين معي، بل

اعتبر نفسه بصدد الدفاع عن عقيدته، وهي عقيدة التوحيد، وعبادة الله الواحد في مقابل الشرك..

وكان هذا هو كل هم (عليه السلام) هنا. ولذلك قال:

خَلَّوْا سَبِيلَ الْجَاهِدِ الْمَجَاهِدِ آيْتٌ لَا أَعْبُدُ غَيْرَ الْوَاحِدِ

وهذا الاعلان الصريح هو الاشد ايلاماً، لقلوب المشركين..

علي (عليه السلام) أول الأمة هجرة:

وتقدم: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام): إنه (عليه السلام) أول الأمة هجرة إلى الله ورسوله، مع أن هناك من هاجر إلى

الحبشة، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بحوالي ثمان سنوات، كما أن هناك من هاجر إلى المدينة قبله، مثل مصعب بن عمير الذي ذهب إلى

المدينة ليعلم أهلها. وهو أول من هاجر إليها مع ابن أم مكتوم^(١). كما أن أبا بكر الذي

١- راجع: الإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٤ ص ١٤٧٣ وأسد الغابة ج ٣ ص ٢١١ وج ٤ ص ٥٩ و ١٠٣ و ٣٦٩ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٤٥ و ٣٦١ والإصابة ج ٤ ص ٤٩٥ وج ٦ ص ٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٣١٥ و ٣٣٢ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢١١ و ٢٣٠ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٢ وج ٩ ص ١٩١ و ٢٠٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٢١ و ٢٥٣ وكنز العمال ج ١٦ ص ٦٦٧ ومسند أحمد ج ١ ص ٣ وج ٤ ص ٢٨٤ و ٢٩١ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ وج ٦ ص ٨٢ والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ٦٢٦ وج ٣ ص ٦٣٤ = والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٠ وفتح الباري ج ١١ ص ٢٣٨ وج ١٣ ص ١٤٧ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٣٦ و ٥٩ و ٦٠ وج ١٩ ص ٢٨٨ ومسند أبي داود ص ٩٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٣٣١ وج ٨ ص ٤٥٧ وكتاب الأوائل ص ٤٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٥١٣ ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٢٦٢ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ١٩٠ وج ١٥ ص ٢٩٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٣٢ والإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٤٥ والدر المنثور ج ٦ ص ٣٣٧ وفتح القدير ج ٥ ص ٤٢٢ وتفسير الألوسي ج ٣٠ ص ١٠١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٣٤ وج ٣ ص ١١٧ وج ٤ ص ٢٠٦ و ٣٦٧ والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٣٨٠.

اشتد حزنه وخوفه في الغار حتى انزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة .

ونجيب:

أولاً: صحيح أن هناك من هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، ولكن هجرتهم كانت لأغراض مختلفة، ومنها، أو أهمها التخلص من العذاب والآلام التي

يقاسونها.. ولم يكن علي (عليه السلام) من هؤلاء، بل هو يرى أن أحلى أيامه هي حين يكون مع الله ومع رسوله، ولا يقيم وزناً لكل ما يجري عليه من أذايا، وآم وبلايا، مهما اشتدت.. وذلك على قاعدته التي أطلقها (عليه السلام) : لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة علي الفراش^(١).

وعلى قاعدته الأخرى: فزت ورب الكعبة^(٢).

١- راجع: نصح البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ٢ والكافي ج ٥ ص ٥٣ و ٥٤ وتحذيب الأحكام ج ٦ ص ١٢٣ وروضة الواعظين ص ٣٦٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة = آل البيت) ج ١٥ ص ١٤ و ١٧ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٨ و ١٠ ومصباح البلاغة (مستدرك نصح البلاغة) ج ٢ ص ٢٦٩ و ج ٣ ص ٢٨٩ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢٣٨ والأموالي للطوسي ص ١٦٩ و ٢١٦ وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص ١٥٤ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٦١ و ج ٣٢ ص ١٠٠ و ١٨٩ و ١٩٤ و ج ٣٣ ص ٤٥٥ و ج ٣٤ ص ١٤٦ و ج ٦٨ ص ٢٦٤ و ج ٧٤ ص ٤٠٣ و ج ٩٧ ص ١١ و ١٤ و ٤٠ و جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٧ و ١٢٧ و مستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٤٥٨ و الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص ٦٠٣ ونصح السعادة ج ١ ص ٢٩٦ و ٣٠١ و شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٣٠٦ و ج ٧ ص ٣٠٠ وتاريخ البيهقي ج ٢ ص ٢٠٩ و كتاب الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٤٦٨ والجمل للمفيد ص ١٩٠ والمناقب للخوارزمي ص ١٨٥ ومطالب السؤول ص ٢١٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٤١ وينايع المودة ج ١ ص ٤٦٤.

٢- راجع: خصائص الأئمة ص ٦٣ و شرح الأخبار ج ٢ ص ٤٤٢ والمسترشد ص ٤ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٨٥ و ج ٣ ص ٩٥ والطرائف لابن طاووس ص ٥١٩ و حلية الأبرار ج ٢ ص ٦٣ و ٣٩١ و مدينة المعاجز ج ٣ ص ٤٠ و بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢ و ج ٤٢ ص ٢٣٩ و شجرة طوبى ج ١ ص ٦٤ و نصح السعادة ج ٧ ص ١١١ و ١٢٤ و ١٢٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١١٢٥ و شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٢٠٧ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٥٦١ و أسد الغابة ج ٤ ص ٣٨ و أنساب الأشراف ص ٤٨٨ و ٤٩٩ والجوهرة في = نسب الإمام علي وآله ص ١١٤ والوفاء بالوفيات ج ١٨ ص ١٧٣ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٣٨ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ١٨٠ والدر النظيم ص ٢٧١ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٩٦ و ٩٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص ٣٩٦ و ينايع المودة ج ١ ص ٢٠٣ و ج ٣ ص ١٤٥.

ثم على قاعدة: كيف طعم الموت عندك يا بني؟!
قال: أحلى من العسل^(١).
بالإضافة إلى قاعدة:
ترك الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعني في الحب ارباً لما مال الفؤاد إلى سواكا..

١ - راجع: وسيلة الدارين في أنصار الحسين ص ٢٥٣ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ٢١٥ و ٢٢٨ والهداية الكبرى ص ٢٠٤.

فلم يكن علي بالذي يترك رسول الله (ﷺ) ، ويهرب من الأذى إلى أي بلد كان .. بل هو أينما كان يهاجر إلى الله وإلى رسوله .. وهو لم يترك مكة إلا بعد أن تلبدت آفاقها بظلمات الشرك والبغي، والبعد عن الله، ولمعت أنوار الهداية والتقوى في أجواء المدينة، فاجتذبت تلك الأنوار، فالتحق بها حباً وشغفاً، وشوقاً ولهفاً ..

فعلي (ﷺ) هو أول الأمة هجرة إلى الله وإلى رسوله، ومعه الطاهرة المعصومة السيدة فاطمة الزهراء "صلوات الله عليها" ..
ثانياً: إن الذين هاجروا قبل علي (ﷺ) إلى الحبشة أو إلى غيرها، لم تكن هجرتهم إلى رسول الله، لأنه (ﷺ) لم يكن قد خرج من مكة بعد ..

ثالثاً: إن إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة ليفقه الناس، لا يعد هجرة له . بل هو شخص انتدب لمهمة، ففعل ما انتدب له ..

الباب الثالث: من الهجرة.. إلى أحد..

لا يستوي من يعمر المساجد:

لقد هاجر رسول الله (ﷺ) من مكة إلى المدينة، وانتشر الإسلام وانطلق من هذا البلد الجديد، بجهد وجهاد رسول الله (ﷺ) وهدايته ورعايته، وبتضحيات أهل بيته الطاهرين، والخيرة الأصفياء من صحبه الميامين..

وفي بدايات هجرته المباركة أسس (ﷺ) مسجد قباء، ثم مسجده في المدينة.

وحدث في بناء هذا المسجد المبارك بين عثمان بن عفان وعمار بن ياسر ما دعا رسول الله إلى التدخل لصالح عمار..

وملخص ما جرى . وإن كنا نرى أن بعض ما أغضب علياً وعماراً قد حذف من الرواية . كما يلي:

إن عثمان كان في بناء المسجد (كما زعم الراوي: نظيفاً متنظفاً). وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه، فإذا وضعها نفض كفه، ونظر

إلى ثوبه، فإن أصابه شيء من التراب نفضه، فنظر إليه علي بن أبي طالب، فأنشأ يقول:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر، فجعل يرتجز بها، وهو لا يدري من يعني بها فمرّ بعثمان، فقال: يا ابن سمية بمن تعرّض؟! - ومعه جريدة - فقال: لتكفن، أو لأعترضن بها وجهك..

فسمعها النبي (ﷺ)، وكان يستظل ببيت أم سلمة، فغضب وقال: إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي.. إلى أن تذكر الرواية: أنه (ﷺ) قال لعمار: " لا يقتلك أصحابي، ولكن تقتلك الفئة الباغية"^(٩).
ونقول:

ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) الجزء الخامس أموراً كثيرة ترتبط بهذه القضية، يمكن لمن أراد الإطلاع

١ - السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٢ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٢ ص ٣٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٤ والأعلاق النفيسة ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٢ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٦٢ وقاموس الرجال (الطبعة الأولى) ج ٧ ص ١١٨ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٤٣ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٣٨ وراجع ج ٣٣ ص ١٢ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٣٩ و ٥٠ والدرجات الرفيعة ص ٢٥٩ وعن العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٣٦ والمسترشد ص ٦٥٨ وغوالي اللآلي ج ١ ص ١١٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٦٠. وراجع: الغدير ج ٩ ص ٢١ و ٢٢ و ٢٧ عن مصادر كثيرة.

عليها أن يرجع إليه، غير أننا نذكر هنا ما يلي:

متى كان بناء المسجد؟!:

لقد بنى النبي الأعظم (ﷺ) مسجده بعد هجرته إلى المدينة، ثم بنى بيوته حوله، ثم جدد بناءه بعد عام خير، أي في السنة السابعة للهجرة^(١).

والظاهر: هو أن قضية عمار وعثمان قد وقعت في هذا البناء الثاني.

ويشهد لذلك:

أولاً: أن عمرو بن العاص وابنه عبد الله كانا حاضرين حين قال النبي (ﷺ) لعمار: تقتلك الفئة الباغية.

وقد ذكرا ذلك لمعاوية حين قتل عماراً في صفين، وقالوا: إنهما سمعا رسول الله (ﷺ) يقول: في حقه ما قال.. فاخترع معاوية مقولة أن الذي قتل عماراً هو من وضعه بين أسيافهم، يعني علياً (عليه السلام)^(٢).

١- وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣٨.

٢- الفتوح لابن أعمش ج ٣ ص ١١٩ و ١٣٠ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٩١ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٥٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٧٢٣ ومسند أحمد ج ٢ ص ١٦٤ و ج ٥ ص ٢١٣ والمناقب للخوارزمي ص ١٦٠ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٢٣٣ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٣١ و ٢٣٢ ونور الأبصار ص ٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٥٧٨ و ٥٧٩ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١١٠ و (تحقيق الشيرازي) ج ١ ص ١٤٦ وكشف الغمة = = ج ١ ص ٢٦٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤١ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٤ ص ٢٨ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٨٥ و ج ٢ ص ١٥٥ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨١ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٦ ص ٢٤٠ و ج ٧ ص ٢٩٩ وتذكرة الخواص ج ١ ص ٤١٨ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٦ و ٧ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٤٠ وراجع: وشرح الأخبار ج ١ ص ٤١٢ ومعاني الأخبار ص ٣٥ والإحتجاج ج ١ ص ٢٦٦ والمعيار والموازنة ص ٩٦ وتحذيب الكمال ج ١٧ ص ١١٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٤١٥ وجامع الشتات للخواجوي ص ١٥١ وجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٧ و ج ٧ ص ٢٤٢ عن أحمد في المسند، والطبراني، وعن فتح الباري، وعن مصادر كثيرة.

فبلغ ذلك علياً (عليه السلام) فقال: "فإذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي قتل حمزة، وألقاه بين رماح المشركين^(١).
ثانياً: يشهد لذلك أيضاً: أن الرواية المتقدمة نفسها قد صرحت: بأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يستظل ببيت أم سلمة حين قال عثمان ما
قال، ومعلوم: أنه (صلى الله عليه وآله) قد بنى المسجد قبل بناء بيوته في

١- راجع: تذكرة الخواص ج ١ ص ٤١٩ والعقد الفريد ج ٥ ص ٩٠ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٦ و ٧-٨ والإحتجاج ج ١ ص ٤٣١ ونور الأبصار ص ٩٨.

مطلع الهجرة^(١).

ما قاله علي (عليه السلام) ليس تعدياً:

بالنسبة للرجز الذي قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وردده بعده عمار نقول:

إنه (عليه السلام) قد قرر في شعره حقيقة لا غبار عليها.. مفادها: أن هناك نوعين من الناس، لا مجال للتسوية بينهما:

الأول: من يكون كل همهم عمران المساجد، فهو لا يفتر ولا يستكين، ولا يمل ولا يكل من السعي في ذلك، لأنه يريد أن يهيء للناس

كل ما يساعدهم على ذكر الله، والتبتل إليه، ومحاوله تزكية نفوسهم، وتطهير قلوبهم، فلا يصرف أية لحظة فيما عدا ذلك..

١- زاد المعاد ج ١ ص ٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٥١ و بحار الأنوار ج ١٥ ص ٣٧١ و ج ١٩ ص ١٢٥ و ج ٣١ ص ٤٢٨ و ج ٣٣ ص ١٨٢ و إمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٦٩ و ٩١ والعدد القوية ص ١٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٤٨ و ج ١٢ ص ٥٢ وإعلام الورى ج ١ ص ١٥٩ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ١ ص ٣٣١ ومستدرک الوسائل ج ١٤ ص ٣٠٢ وشجرة طوبى ج ١ ص ٥٨ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦١ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٦٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ١ ص ٣٥٦ و الدرر لابن عبد البر ص ٨٨.

ويرى: أن صرف أية لحظة في أي شأن دنيوي آخر خسارة له، وتضييع للثواب الجزيل.. وقد يؤدي إلى تباطؤ عباد الله عن عبادته تبارك وتعالى، وإلى إفساح المجال للمغريات والشهوات، ووسوسة شياطين الإنس والجن، لإبعاد الإنسان عن الله، وإغوائه واغرائه..

الثاني: من يكون همه صيانة ثوبه من أن يلحق به غبار هذه العبادة المرضية لله تعالى.. وحفظاً لمظهره الخارجي، في الوقت الذي لم يظهر منه أنه يهتم بصيانة باطنه عما يبغده عن الله سبحانه، كما لم يظهر منه أنه يهتم بصيانة دين الناس، وسلامة أخلاقهم.. يحتاج إلى الزجر والتذكير بما يوجبه عليه ربه، ودعوته إلى العمل بما يرضي الله تبارك وتعالى، وأن يلزم نفسه بامثال أوامر الرسول، فلا يلبس ثياب التجمل في الموضع الذي يجب أن يلبس فيه ثياب التبذل، ليكون عائقاً له عن أداء واجبه، وامثال أوامر النبي (ﷺ) الصادرة له، ولغيره فيكون بعمله هذا محرضاً لغيره على التباطؤ في القيام بما طلبه الرسول (ﷺ) منهم.

ولم يكن علي (عليه السلام) بالذي يظلم أحداً، ولا هو بالذي يفتنت على الناس، أو يعتدي عليهم، فلولا أنه عرف من عثمان بحسب عشرته أنه يستحق هذا التعريض، أو أن هذا التعريض سيكون مفيداً، ورادعاً لغيره عن أن يقتدي به لما أقدم على ما أقدم عليه.

عثمان نظيف متنظف:

إن مراجعة عبارات الراوي للحادثة المتقدمة تبين أنه قد حاول تلطيف الأمور، والإيحاء ببراءة عثمان، وإظهاره بصورة المظلوم المعتدى عليه من

قبل علي (عليه السلام) بالخصوص، حيث أظهر أن عماراً كان غافلاً عن حقيقة نوايا علي (عليه السلام) حين إطلاق هذا الرجز، فردده هو من بعده، دون أن يعلم من المقصود به.

واعتبر أن الذي دعا علياً (عليه السلام) لإطلاق رجزه هو إهتمام عثمان بنظافة ثوبه، فإنه كان بحسب طبعه نظيفاً متنظفاً، وهي صفة يمدح الإنسان عليها.. ولكن علياً (عليه السلام) قلب الأمور، وتناوله بما يعد من موجبات الثناء عليه، فجعله سبباً لدمه والقدرح فيه، والإساءة إليه.

غير أننا نقول:

أولاً: إن النظافة هي سمة الإنسان المسلم، وكان أكثر الناس إهتماماً بها، وأكثرهم حثاً عليها رسول الله (ﷺ)، وعلي (عليه السلام)، والأئمة الطاهرون من أهل بيته.. فلم يكن عثمان أحرص من علي (عليه السلام) أو من عمار على النظافة.. وقد روي عن بعض أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يدل على مبالغة علي بالنظافة إلى حد أنه لفت نظر بعضهم، فقال عنه: إنه رآه يلبس ثوباً مرقعاً، ولكنه نظيف^(١).. فلم يكن (عليه السلام) ليأخذ علي عثمان نظافته. بل أخذ عليه أن لبسه لثوب تجمله في الموضع الذي كان يجب أن

١- راجع: مستدرک الوسائل للنوري ج ٣ ص ٢٧٣ ودعائم الإسلام للقاضي النعمان ج ٢ ص ١٥٩ وجامع أحاديث الشيعة للبروجردي ج ١٦ ص ٦٩٦.

يلبس فيه ثوب تبذله قد جاء ليعبر عن عدم رغبته في امتثال أمر الرسول (ﷺ) ببناء المسجد. كما أنه سيشجع غيره على التباطؤ والتسوية في هذا الأمر، وتنتهي الأمور بما يشبه التمرد أو التلاعب بأمر رسول الله (ﷺ) ..

ثانياً: إن علياً (عليه السلام) أروع وأتقى لله من أن يظلم نملة أو جرادة، فكيف يظلم عثمان، فموقف علي هذا يدل على أن عثمان قد فعل ما هو أعظم من نفض الغبار.. ويعتدي عليه، فلولا أنه كان يراه مخطئاً في تصرفه في بناء المسجد، لم يبادر إلى هتك حرمة، والتسبب له بهذا التشهير في الملأ العام..

وعلي (عليه السلام) كان يعيش مع عثمان، وهو أعرف به من هؤلاء المتحذلقين، من أصحاب النوايا الموبوءة.. وقد تقدم: أنه كان يراه مستحقاً لهذا التعريض، وأنه لا بد من تحذير غيره من أن يقع بما وقع فيه.

ثالثاً: من الذي قال لعثمان: إن عماراً كان يقصده برجزه؟! وكيف أجاز لنفسه توجيه هذا التهديد القاسي له، من دون حجة تثبت له أنه يقصده؟! رابعاً: من أين علم الراوي أن عماراً لم يكن يقصد عثمان برجزه؟! فهل اطّلع الله على غيبه، وعلى ما انطوت عليه القلوب والصدور؟! ومن قال له أيضاً: إن عماراً لم يعرف مقصود علي (عليه السلام) من هذا الرجز؟! خامساً: لماذا لم يرفع عثمان أمره إلى النبي (ﷺ)؟! ويطلب

منه أن ينصفه من ظالميه، فإنه (ﷺ) كان حاضراً بينهم، ولم يكن يحق لعثمان ولا لغيره أن يقدم بين يدي الله ورسوله بشيء، وليس له الحق في الإنتقام لنفسه بيده، بل لا بد له من رفع أمره إلى الحاكم ليأخذ له بحقه..

غير أن القمي يقول: إن عثمان مر بعمار بن ياسر وهو يحفر الخندق، وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كفه على انفه ومراً، فقال عمار:

لا يستوي من يعمر المساجدا يظل فيها راکعاً وساجداً

كمن يمر بالغبار حائدا يعرض عنه جاهداً معاندا

فالتفت إليه عثمان فقال: يا ابن السوداء، إياي تعني؟!

ثم أتى رسول الله (ﷺ) فقال له: لم ندخل معك لتسب اعراضنا.

فقال له رسول الله (ﷺ): قد اقلتك اسلامك فاذهب.

فانزل الله تعالى: (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا مَعَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). فلعل كلمة الخندق من اشتباه الراوي، وان الصحيح هو ان ذلك كان عند بناء المسجد. فان صحت الرواية فان أمر عثمان يصبح في غاية الإشكال، ولا نريد ان نزيد على هذا^(١). ونظن أن عثمان قد فعل ما هو أعظم من تجنب الغبار الذي هو عمل مشروع في حق نفسه..

١ - الآية ١٧ من سورة الحجرات، تفسير القمي ج ٢ ص ٢٩٧ والبرهان ج ٧ ص ٢٧٦.

سادساً: وأخيراً.. وهذا هو الأهم:

يلاحظ: أن النبي (ﷺ) بادر إلى الانتصار لعمار بمجرد سماعه لكلمة عثمان فيه، ولم يستفسر عن الأمر، ولا سأل عثمان عن السبب، ولا يمكن تفسير هذا إلا بأحد ثلاثة أمور، كلها ليست في صالح عثمان:

أحدها: أن يكون (ﷺ) قد سمع جميع ما جرى.. وعرف أن عماراً قد ظلم من قبل عثمان.

الثاني: أن يكون الوحي هو الذي أخبره بهذه المظلومية.

الثالث: أن يكون على يقين من أن عماراً لا يمكن أن يعتدي على أحد، كعلمنا نحن بذلك بالنسبة للأنبياء والأوصياء.

ولا مجال لاحتمال أن يكون (ﷺ) قد أقدم على إدانة عثمان من دون روية وثبتت، فإن ذلك يعتبر قدحاً في عصمته، وفي

استقامته، وهذا من العظائم التي لا يقدم مسلم عليها.

علي (عليه السلام) في المؤاخاة:

وبعد الهجرة بخمسة، أو بثمانية أشهر، أو أقل أو أكثر آخى النبي (ﷺ) بين أصحابه^(١) المهاجرين والأنصار، والمهاجرين

والمهاجرين^(٢).

١- راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٦٩ و بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٢٢ وهامش ص ١٣٠ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٥٢ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٧١ والدر النظيم ص ١١٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥ عن أسد الغابة، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٧ وفتح الباري ج ٤ ص ٨٢ وج ٧ ص ٢١٠ وعمدة القاري ج ١١ ص ١٦٣ وتحفة الأحوذى ج ٧ ص ٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٢ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٩٥ والمراجعات ص ٢٠٩ وعيون الأثر ج ١ ص ٢٦٥ وج ٢ ص ٣٥٥ والغدير ج ١٠ ص ١٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٥٢ والمعارف لابن قتيبة ص ١٥٢.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١ و (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٣٨ والعثمانية للجاحظ ص ١٦٢ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص ٣٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٩٢.

آخى بينهم . على الحق والمواساة.

وكان عدد الذين آخى بينهم . فيما يقال . خمسة وأربعين رجلاً من المهاجرين، ومثلهم من الأنصار^(١) .

وقيل: كان المجموع مائة وستة وثمانين رجلاً^(٢) .

وقيل: كانوا خمسين من الأنصار وخمسين من المهاجرين^(٣) .

واستمر (ﷺ) يؤاخي بين من يقدم عليه، أو من يدخل في الإسلام منهم في الأوقات المختلفة.. حتى آخى بين مئة وخمسين من

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١ و (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٣٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٦٩ .

٢ - راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٦٩ .

٣ - راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٦٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٩٢ بحار الأنوار ج ١٩ هامش ص ١٣٠ .

هؤلاء، ومئة وخمسين من أولئك^(١).

وقد آخى بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عثمان وابن عوف، وبين حمزة وزيد بن حارثة، ثم أخذ بيد علي (عليه السلام) ، فقال: هذا أخي.

وروى أحمد بن حنبل وغيره: أنه (صلى الله عليه وآله) آخى بين الناس، وترك علياً حتى الأخير، حتى لا يرى له أخاً؛ فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركنتني؟!

فقال: إنما تركتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك، فإن ذكرتك أحد، فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يدعيها بعدك إلا كذاب، والذي بعثني بالحق، ما آخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي^(٢).

١- راجع: بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٣٠.

٢- راجع: نصح الحق في ضمن دلائل الصدق ص ٢٦٧ و (ط مؤسسة دار الهجرة) ص ٢١٧ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص ٥٦٥ وفضائل الصحابة (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٦١٧ وينايع المودة ص ٥٦ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص ٢٣ عن أحمد في الفضائل، وصححه، وابن الجوزي، والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩ وتاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٢١ وكفاية الشنقيطي ص ٣٥ و ٤٤ والثقات ج ١ ص ١٤١ و ٤٢ وراجع: الغدير ج ٣ ص ١١٥ و الكامل لابن عدي ج ٥ ص ٣٥ ونظم درر السمطين ص ٩٥ وراجع: الأمالي للصدوق ص ٤٢٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢ و ٣٣ وذخائر العقبى ص ٦٦ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٣٤ و ج ٣٨ ص ٣٣٨ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٤٠ وأنساب الأشراف ص ١٤٤ والعمدة لابن البطريق ص ١٦٦ والطرائف لابن طاووس ص ٦٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٣ ص ٢٥٢ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٥٢.

ونقول:

قد تحدثنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) عن العديد من الأمور التي ترتبط بموضوع المؤاخاة، ولذلك نكتفي هنا بما يلي:

تواتر حديث المؤاخاة:

بالنسبة لسند حديث المؤاخاة نقول:

إنه حديث متواتر لا يمكن إنكاره، ولا التشكيك فيه، ولا سيما مؤاخاة النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام)، سواء في المؤاخاة الأولى في مكة، أو في الثانية في المدينة، وهو مروى عن عشرات من الصحابة والتابعين كما يتضح للمراجع^(١).

١- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ وينايع المودة ص ٥٦ و ٥٧ عن مسند أحمد، وتذكرة الخواص (ط النجف) ص ٢٢ . ٢٤ . وحكي عن الترمذي أنه صححه، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و ٩٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤ والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٣٨ وفرائد السمطين ج ١ الباب العشرون، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢ و ٢٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٦ و ج ٧ ص ٣٥ وتاريخ الخلفاء ص ١٧٠ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦٨ . ٢٧٠ عن كنز العمال، وعن البيهقي في سننه، والضياء في المختارة، وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند ثمانية أحاديث، وعن أبيه في المسند وفي الفضائل، وأبي يعلى والطبراني، وابن عدي، والجمع بين الصحاح الستة، وأخرج الخوارزمي اثني عشر حديثاً، وابن المغازلي ثمانية أحاديث، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٥٠ والغدير ج ٣ ص ١١٢ حتى ص ١٢٥ عن بعض من تقدم = وعن المصادر التالية: جامع الترمذي ج ٢ ص ١٣ ومصابيح البغوي ج ٢ ص ١٩٩ والإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠ ترجمة أمير المؤمنين، وعد حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، وتيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١ ومشكاة المصابيح هامش المرقاة ج ٥ ص ٥٦٩ والمرقاة ص ٧٣ . ٧٥ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٧ والمواقف ج ٣ ص ٢٧٦ وشرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣ وطبقات الشعراي ج ٢ ص ٥٥ وتاريخ القرماني هامش الكامل ج ١ ص ٢١٦ وسيرة دحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج ١ ص ٣٢٥ وكفاية الشنقيطي ص ٣٤ والإمام علي تأليف محمد رضا ص ٢١ والإمام علي لعبد الفتاح عبد المقصود ص ٧٣ والفتاوى الحديبية ص ٤٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٦٢ وصححه وعده مما استفاض من الروايات، وكنز العمال ج ٦ ص ٢٩٤ و ٢٩٩ و ٣٩٠ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٥٤ .

مع المنكرين لمؤاخاة النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) :

ولكننا مع ذلك نجد ابن حزم وابن كثير ينكران صحة سند حديث المؤاخاة^(١)، وأنكره أيضاً ابن تيمية، واعتبره باطلاً، موضوعاً، بحجة أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إنما كانت لإرفاق بعضهم ببعض، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي (ﷺ) لأحد منهم، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري^(٢).
ونقول:

أولاً: إن إنكار حديث مؤاخاة النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) بدعوى ضعف سنده لا معنى له، بعد أن صححه كثير من الأعلام، وبعد أن تواتر في كتب سائر المسلمين عن عشرات الصحابة والتابعين وغيرهم، فإن المتواتر لا ينظر في سنده، ولا سيما إذا كان هذا الإنكار من الأبناء الثلاثة: أي ابن كثير، وابن حزم، وابن تيمية، المعروفين

١- راجع: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٣ و ٣٣٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٣٧١ والغدير ج ١٠ ص ١٠٥.

٢- راجع: منهاج السنة ج ٢ ص ١١٩ والبدية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٧ و (ط دار إحياء = التراث العربي) ج ٣ ص ٢٧٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٢٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٦٨ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٧٢ والغدير ج ٣ ص ١٧٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٣٦ و ٢٧٧.

بالنصب والتعصب على علي، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام).

ثانياً: قول ابن تيمية: إن المؤاخاة كانت لأجل تأليف القلوب بين المهاجرين والأنصار، ولإرفاق بعضهم ببعض، فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري، لا يصح لما يلي:

ألف: إن هذا رد للنص بالقياس، وغفلة عن حقيقة الحكمة، فإن التآلف والمحبة مطلوبان أيضاً بين المهاجرين الذين تختلف قبائلهم، وحالاتهم، وثقافتهم، ويحتاج بعضهم إلى بعض في كثير من الأمور..

ب: إن المؤاخاة قد تكون للتكريم، والإعلان بالفضل، والتعريف بالمنزلة.. ولعلها كانت مقدمة للتعريف بالأشباه والنظائر. أو تمهيداً لإعلان مؤاخاة النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام). وليلاحظ مدى التوافق بين عمر وأبي بكر، وبين عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة والزبير وبين النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام).

خلة أبي بكر:

وقد رووا عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: لو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً^(١).

١- راجع: صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٠ وج ٤ ص ١٩١ و ٢٥٤ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٤٠٨ و ٤١٢ و ٤٣٤ و ٤٣٧ و ٤٣٩ و ٤٥٥ و ٤٦٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٦٤ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٢١١ وعن عيون الأثر ج ١ ص ٢٤٦ و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٠١ وغوالي اللآلي ج ٣ ص ٨٨ و بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٦٧ وج ٤٩ ص ١٩١ و خلاصة عقبات الأنوار ج ١ ص ٨٩ والغدير ج ٣ ص ١١١ وج ٥ ص ٣١١ وج ٨ ص ٣٣ وج ٩ ص ٣٤٧ وج ١٠ ص ١٣٠ و فضائل الصحابة ج ٣ و سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٣ وعن صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٨ وج ٧ ص ١٠٨ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ٣٦ و سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٧٠ و السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٤٦ و شرح مسلم للنووي ج ١ ص ١٩٥ و المحصول ج ٤ ص ٣٢٦ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٣ و عن فتح الباري ج ٧ ص ١٢ و عن تحفة الأحوذى ج ١٠ ص ٩٦ و المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٣٠ وج ١٠ ص ٩٦ و مسند أبي داود للطيالسي ص ٣٩ و المصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٣٥٠ و مسند ابن راهويه ج ١ ص ٤١ وج ٢ ص ٢٢ و تأويل مختلف الحديث ص ٤٣ و السنن الكبرى ج ٥ ص ٣٥ وج ٦ ص ٣٢٨ و مسند = أبي يعلى ج ٤ ص ٤٥٧ وج ٩ ص ١١٢ وج ١٢ ص ١٧٨ و صحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٥٥٨ وج ١٥ ص ٢٧٠ و المعجم الأوسط ج ١ ص ٢٣٦ وج ٢ ص ٣٠٦ وج ٤ ص ٣٣٤ وج ٦ ص ٣٩ وج ٨ ص ١٨٥ وعن المعجم الكبير ج ٢ ص ١٦٨ وج ٥ ص ٢٢٠ وج ١٠ ص ١٠٥ وج ١١ ص ٢٦٨ وج ١٢ ص ٩٣ وج ٢٢ ص ٣٢٨ و مسند الشاميين ج ١ ص ٥٤٤ والأذكار النووية ص ٢٧٧ و الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٣٧ و كنز العمال ج ٤ ص ٣٤٩ وج ١١ ص ٥٤٤ وج ١٢ ص ٥٠٧ و فيض القدير ج ٥ ص ٣٦٨ و كشف الخفاء ج ١ ص ٣٣ و الكامل ج ٣ ص ٢٠٦ و الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٤٠٠ و تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٣ و الدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٣ وج ٤ ص ٣٤٠ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٢٨ وج ٣ ص ١٧٦ و الثقات ج ٢ ص ١٣٢ و طبقات المحدثين بإصبهان ج ٤ ص ٥٨ و علل الدارقطني ج ٥ ص ٣١٨ و تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٥١ وج ١٣ ص ٦٥ و تاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ٣١٤ وج ٢٤ ص ٨ وج ٢٨ ص ١٤٢ وج ٣٠ ص ٦٠ و الموضوعات ج ١ ص ٣٦٦ و أسد الغابة ج ١ ص ٢٩٦ وج ٣ ص ٢١٢ و تهذيب الكمال ج ١٦ ص ٢٤٦ و تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٠١ و ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٠١ وج ٣ ص ٣٩٠ و سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٢ وج ١٠ ص ٤٥٨ و من له رواية في كتب الستة ج ١ ص ٥٧٣ و تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٤٣ و البداية والنهاية ج ١ ص ١٩٥ وج ٥ ص ٢٤٩ وج ٦ ص ٣٠٠ و العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٦٢ و قصص الأنبياء لابن كثير ج ١ ص ٢٣٩ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٥٤ و سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٤٤٧ وج ٤ ص ٢٤٤ وج ٩ ص ٣٩٦ وج ١١ ص ٢٥٤ وج ١٢ ص ٢٣٤.

ونقول:

أولاً: إن هذا يتناقض مع حديث آخر يروونه عنه (ﷺ) وهو أنه قال: إن خليلي من أمتي أبو بكر^(١).

١ - إرشاد الساري ج ٦ ص ٨٣ و ٨٤ والغدير ج ٨ ص ٣٤ وكنز العمال ج ٦ ص ١٣٨ و ١٤٠ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٤١٤ و ٥٤٨ و ٥٥٣ و ج ١٢ ص ٥٠١ والرياض النضرة ج ١ ص ٨٣ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٣٧ و ج ٩ ص ٤٥ وفتح الباري ج ٣ ص ٤٧ و ج ٧ ص ١٥ وعمدة القاري ج ٧ ص ٢٤٢ و ج ١٦ ص ١٧٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ٢٠١ و ج ١٩ ص ٤١ والجامع الصغير ج ١ ص ٢٥٣ وفيض القدير ج ٢ ص ٢٥٢ و ج ٥ ص ٣٦٨ وأسباب نزول الآيات ص ١٢٢ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٠ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ والعثمانية للجاحظ ص ١٣٥ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠١ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٥٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٥٨.

ويتناقض أيضاً مع روايتهم عنه (ﷺ) : لكل نبي خليل، وخليلي سعد بن معاذ^(١)، أو عثمان بن عفان^(٢).
ثانياً: قال المعتزلي: إن حديث خلة عثمان قد وضعه إسحاق بن نجيح الملطي، وحديث خلة أبي بكر موضوع في مقابل حديث إخوان
النبي ﷺ "

-
- ١- الغدير ج ٩ ص ٣٤٧ وكنز العمال ج ٦ ص ٨٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٧٢٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج ٥ ص ٢٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٠ ص ٣٧٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٥٨ .
٢- تاريخ بغداد للخطيب ج ٦ ص ٣٢١ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٦ ص ٣١٩ والغدير ج ٥ ص ٣١١ وج ٩ ص ٣٤٦ و ٣٤٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) = ج ٣ ص ٤٥٨ والوضاعون وأحاديثهم ص ٣٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ١٢٥ وميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٠١ والجامع الصغير ج ٢ ص ٤١٦ وكنز العمال ج ١١ ص ٥٨٧ وتذكرة الموضوعات ص ٩٤ وفيض القدير ج ٥ ص ٣٦٨ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٨٢ .

لعلي (عليه السلام) (١).

عبد الله وأخو رسوله:

وتقدم قول النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) : إن ذكرك أحد، فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يدعيها بعدك إلا كذاب..

وقد تحقق ما قاله رسول الله (ﷺ) بعد وفاة الرسول مباشرة. فإنه (عليه السلام) قال هذه الكلمة بعد وفاة النبي (ﷺ) مباشرة، وذلك حين جيء به ملبياً للبيعة، فقال: أنا عبد الله وأخو رسوله.

فقالوا له: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا (٢).

-
- ١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١١ ص ٤٩ وراجع: الغدير ج ٥ ص ٣١١ والوضاعون وأحاديثهم ص ٣٧٨.
 - ٢ - الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٢٠ و (تحقيق الشيرازي) ج ١ ص ٣١ وأعلام النساء ج ٤ ص ١١٥ والبرهان ج ٢ ص ٩٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٦٠ وراجع: المسترشد ص ٣٨٠ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٠٩ والمختصر للحلي ص ١١٠ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٦ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٧١ و ٣١٩ و ٣٥٦ و ج ٢٩ ص ٦٢٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٦٧ والغدير ج ٥ ص ٣٧٣ و ج ٩ ص ٣١٩ والإيضاح لابن شاذان ص ٣٦٨ ومناقب أهل البيت "عليه السلام" للشيرازي ص ٤٠٢ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٣٠ وسفينة النجاة للتكايني ص ٣٤٧ وبيت الأحرار ص ٨٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٣٦١.

فاعجب بعد هذا ما بدا لك!!

أخي.. ووارثي:

وقوله (ﷺ): وأنت أخي ووارثي، يطرح علينا سؤالاً، عن المراد بكونه وارثه، فإن كان المراد وراثته الخليفة، فالخليفة لا تورث كما يورث المال.

وإن كان المراد: أنه وارثه بقول مطلق، حتى المال، فيرد عليه: أن المال كان حقاً لفاطمة (ﷺ)^(١)، وقد استولى الذين جاؤوا بعد النبي (ﷺ) على أموالها، ومنها فذك وغيرها..

ونجيب:

إنه قد ورد في زيارته: "الَسَّلَامُ عَلَيَّكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صِفْوَةَ اللَّهِ الْسَّلَامُ"

١- راجع: الكافي ج ١ ص ٤٥٨ - ٤٥٩ وبحار الأنوار ج ٩٨ ص ٤٤ و (ط حجرية) ج ٨ ص ٢٣١ ومستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢٧٥ ودلائل الإمامة ص ١٣٧ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٣٢ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٢٨ والأمل للطوسي ج ١ ص ١٠٨ والعوالم ج ١١ ص ٥١٨ والأمل للمفيد (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٢٨٣ والإمام علي بن أبي طالب " ﷺ " للهمداني ص ٧١٣ ومراة العقول ج ٥ ص ٣٣١ وغير ذلك.

عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحِ نَبِيِّ اللَّهِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ"^(١).

وورد أيضاً: العلماء ورثة الأنبياء^(٢).

والمراد بالعلماء هنا: الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

وذلك كله يدل: على أن المقصود أنه وارث علمه، وخصاله، وأخلاقه، وسلوكه ومقامه، فهو القائم مقامه بعد وفاته، لأنه هو الذي يملك المؤهلات لهذا المقام.

وبعني ذلك: أنه لا بد من التسليم بخلافته، استناداً إلى النص عليه من

١- مصباح المنتهجد للطوسي ص ٧٢٠ وكامل الزيارات لابن قولويه ص ٣٧٥ و ٤٠١ و ٤٨٤ و ٥١٧ والمزار للمفيد ص ١٠٦ و ١٩٧ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٦٣ وج ٣ ص ٧٠ والمصباح للكفعمي ص ٥٠٠ و ٥٠٢ وبحار الأنوار للمجلسي ج ٩٧ ص ٣٠٢ و ٣٠٦ و ٣٢٤ و ٣٢٨ و ٣٣١ و ٣٣٧ و ٣٤٣ وج ٩٨ ص ١٦٣ و ١٧٨ و ١٩٩ و ٢٠٩ و ٢٢٣.

٢- كنز العمال ج ١٠ ص ٧٧ وراجع: إعانة الطالبين للدمياطي ج ١ ص ٢٣ والدعوات للراوندي ص ٦٣ و الرسالة السعدية للحلي ص ٨ و تحرير الأحكام للحلي ج ١ ص ٣٥ و الحدائق الناضرة للبحراني ج ١١ ص ٢٠٧ و عوائد الأيام للنراقي ص ٤٦٣ ومستند الشيعة للنراقي ج ١٠ ص ١٣٦ ومصباح الفقيه (طقديم) للهمداني ج ٢ ص ٦٨٣.

الله ورسوله، لا من حيث أن الخلافة تورث كما يورث المال.. بل لأن مبررات هذا النص حاصلة فيه دون سواه.
المؤاخاة بين كلٍ ونظيره:

ومهما يكن من أمر، فإن التأمل في عملية المؤاخاة يعطينا: أنه قد لوحظ فيها المساخحة بين الأشخاص، وتشابه وتلاؤم نفسياتهم، فإن تشابه القلوب حقيقة قرآنية^(١) وإلى ذلك أشار الأزرعي " رَضِيَ اللهُ عَنْهُ " حينما قال مخاطباً علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

لك ذات كذاته حيث لولا أنها مثلها لما آخاها

عثمان ليس أخواً للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :

وقد قلنا: إن حديث مؤاخاة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) متواتر بلا ريب..

وقد روي: أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال لعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش، نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم

١ - فقد قال تعالى في سورة البقرة الآية ١١٨: (تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) وهو وإن قد ورد لبيان حال الذين لا يعلمون من السابقين واللاحقين لكنه يشير إلى ان تشابه القلوب أمر حاصل بين المؤمنين فيما بينهم كما هو بين غيرهم فيما بينهم أيضاً.

الأخ أخوك علي بن أبي طالب^(١).

فلا يصغى لدعوى أن النبي (ﷺ) قد آخى بين علي وعثمان^(٢)، أو بين نفسه (ﷺ) وعثمان؛ فإن ذلك لا ريب في

١- كنز العمال ج ١١ ص ٤٨٧ والمناقب للخوارزمي ص ٢٩٤ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢ وربع الأبرار ج ١ ص ٨٠٧ و ٨٠٨ ومسنند زيد بن علي ص ٤٥٦ وعيون أخبار
الرضا "عليه السلام" للصدوق ج ١ ص ٣٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٣ والعمدة لابن البطريق ص ٣٧٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٤٥١ والجواهر السنينة ص ٢٩٧
وبحار الأنوار ج ٧ ص ٣٣٠ وج ٣٨ ص ٣٣٧ و ٣٤٥ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص ١١٦ عن كفاية الطالب ص ١٨٥ و ٢٨٠ ومسنند الإمام الرضا
"عليه السلام" للعطاردي ج ١ ص ٥٦ و ١٢٥ وغاية المرام ج ٥ ص ١٠٨ و ١١٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٦ وج ١٥ ص ٤٨٦ و ٥٠٣
وج ٢٠ ص ٢٢٣ و ٢٢٧ وج ٢٣ ص ٥٧٧ و ٥٧٨.

٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٣٩٧ وكنز العمال ج ٥ ص ٧٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٣٦٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٤ ص ١١٩٨ وتاريخ الأمم والملوك
ج ٣ ص ٤٥٣ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٦٧ وراجع: الجمل لابن شدم ص ١٧ والغدير ج ٩ ص ٩٤ و ٩٥ و ٣١٨ عن الرياض النضرة ج ١ ص ١٧ وج ٢ ص ١٤٨
ولكنه في ج ٢ ص ٥٠٦ ذكر نفس الحديث عن الطبري من دون ذكر المؤاخاة!!!.

بطلانه^(٨)؛ والمقصود من هذه الإدعاءات الرفع من شأن عثمان، وتكذيب فضيلة لعلي (عليه السلام) ، بل الهدف هو جعل عثمان وعلي (عليه السلام) في مستوى واحد!!
وكيف؟! وأنى؟!

وأية مسانحة ظهرت لهؤلاء بين عثمان وعلي (عليه السلام) ، أو بين عثمان وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) ..
ولكن هذه المسانحة قد ظهرت بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين علي (عليه السلام) بأجلى صورها.. حتى لقد جهر القرآن بها، فاعتبر علياً (عليه السلام) نفس النبي (صلى الله عليه وسلم) في آية المباهلة.. وبين الله تعالى في تبليغ سورة براءة، أنه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .. إلى غير ذلك من الشواهد والدلالات المشيرة إلى ذلك..

تأخير المؤاخاة مع علي (عليه السلام) :

تقدم: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) آخى بين الناس وترك علياً (عليه السلام)

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٣ ص ٤٧ و (ط دار صادر) ج ٣ ص ٦٨ والغدير ج ٩ ص ٣١٦ عنه، وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٣٤٤ وراجع: ص ١٠٣ وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٠ و ج ١١ ص ٥٩٢ و ج ١٣ ص ٥٦. وذكر أخبار إصبهان ج ٢ ص ١٢٦.

إلى الأخير، حتى لا يرى له أخطأ..

وربما يكون الهدف من هذا التأخير هو:

١. التهينة لمطالبة علي (عليه السلام) بذلك، ليفسح المجال للنبي (صلى الله عليه وآله) ليطلق في حق أمير المؤمنين ما يستحقه من أوسمة يريد الله للناس أن يسمعوها، ويأخذوها بجدية واهتمام..

٢. إنه لا يريد أن يختزل من مستوى تدوُّق الناس لهذه العملية النبيلة والمباركة، فيوجه الإنتباه إليهما، ويشير الحماس لدى الناس للتأمل بكل حركة، ووعي كل كلمة، لأن الله ورسوله يريدان لها أن تؤتي ثمارها، جهداً وجهاداً، وتعاوناً ومواساةً، والتزاماً بالحق، والعمل به.. لا يقولها بعدي إلا كذاب:

وقد روي عن علي (عليه السلام) بسند صحيح على شرط الشيخين: البخاري ومسلم، أنه قال: "أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفترى، لقد صليت قبل الناس بسبع سنين"^(١).

١ - المستدرک للحاکم ج ٣ ص ١١٢ وتلخيصه للذهبي هامش نفسه الصفحة، والأوائل ج ١ ص ١٩٥ وفرائد السمطين ج ١ ص ٢٤٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٨ وراجع ج ١ ص ٣٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦ والخصائص للنسائي ص ٤٦ بسند رجاله ثقات، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٤ بسند صحيح، وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٧ وذخائر العقبى ص ٦٠ عن الخلفي، والآحاد والمثاني (مخطوط في كويرلي رقم ٢٣٥)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (مخطوط في مكتبة طوب قپوسراي رقم ٤٩٧) ج ١ وتذكرة الخواص = = ص ١٠٨ عن أحمد في المسند وفي الفضائل، وفي هوامش ترجمة الإمام علي "عليه السلام" من تاريخ ابن عساکر (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٤٤ و ٤٥ عن: المصنف لابن أبي شيبه ج ٦ الورق ١٥٥/أ وكنز العمال (ط ٢) ج ١٥ ص ١٠٧ وابن أبي عاصم في السنة، والعقبلي، وأبي نعيم، وعن العقيلي في ضعفائه ج ٦ الورق ١٣٩، وتهذيب الكمال للمزي ج ١٤ الورق ١٩٣/ب وعن تفسير الطبري، وعن أحمد في الفضائل الحديث ١١٧ وغير ذلك. ورواه في ذيل إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٣٦٩ عن ميزان الإعتدال ج ١ ص ٤١٧ وج ٢ ص ١١ و ٢١٢ والغدير ج ٢ ص ٣١٤ عن كثير ممن تقدم وعن الرياض النضرة ص ١٥٥ و ١٥٨ و ١٢٧ وراجع: اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٢١.

وهذه العبارة هي نفس العبارة التي قالها النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) في حديث المؤاخاة، وهي: "فإن ذكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يدعيها بعدك إلا كذاب..".

فقول علي (عليه السلام) الآنف الذكر: "أنا عبد الله وأخو رسوله إلخ..". يشير إلى أن ثمة من سيدّعي، أو ادعى فعلاً: أنه هو . لا علي (عليه السلام) . أخو رسول الله، وهو عبد الله. أي المتلبس بالعبودية الحقيقية له تعالى.. فجاء قول علي هذا للتذكير بمقالة النبي فيه..
ولذلك لم نجد أحداً تجرأ على أمير المؤمنين وقال له: بل فلان عبد الله

وأخو رسوله. وليس أنت. لأن من يفعل ذلك سيجد التكذيب الصريح والفاضح له من الصحابة اللذين سمعوا ذلك القول من النبي (ﷺ) مباشرة.

بنت حمزة عند من؟!!

ومما يتعلق بحديث المؤاخاة حديث الإختصام في بنت حمزة، فقد قالوا:

إن جعفرًا، وزيد بن حارثة، وعلياً (عليه السلام) تنازعوا في ابنة حمزة. واسمها عمارة. فاستدل زيد لنفسه: بأن النبي (ﷺ) قد آخى بينه وبين حمزة.

فلما رفعوا ذلك لرسول الله (ﷺ)، قال لهم: أما أنت يا زيد فمولى الله ولرسوله، وأما أنت يا علي فأخي وصاحبي، وأما أنت يا جعفر فتشبهه خلقي وخلقي، وأنت يا جعفر أحق بها^(١).

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٥٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٧ وإمتناع الأسماع ج ١ ص ٣٣٣ ومسند أبي يعلى ج ٤ ص ٢٦٦ و ٣٤٤ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٣٢٤ وراجع ج ٩ ص ١٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦١ وراجع ج ٤١ ص ١٨ وج ٤٢ ص ١٧٠ وكنز العمال ج ٥ ص ٥٨٠ وراجع ص ٥٧٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ١٧٤ وج ١٥ ص ٥١٦ وج ٣١ ص ٣١٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٥ وصحيح البخاري (ط الميمية) ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار الفكر) ج ٣ ص ١٦٨ وج ٥ ص ٨٥ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٢١٧ و ١٢٠ وتلخیص المستدرک للذهبي (مطبوع مع المستدرک) بھامش نفس الجزء والصفحة، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٥ وج ١٠ ص ٢٢٦ وعمدة القاري ج ١٣ ص ٢٧٦ وج ١٦ ص ٢١٤ وج ١٧ ص ٢٦٣ = تحفة الأحوذی ج ٦ ص ٢٦ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٢٧ ونصب الراية ج ٣ ص ٥٤٨ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٣٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٢٧ و ١٦٨ وخصائص أمير المؤمنين "عليه السلام" للنسائي ص ٨٨ و ١٥١.

ونحن نشك في صحة هذا النقل، لأن جعفرًا " رحمه الله " لم يكن في المدينة حين استشهد حمزة (عليه السلام) ، وهو إنما قدمها في خير، وقد حصلت هذه القضية - حسب زعمهم - في عمرة القضاء، فمن البعيد أن تبقى بنت حمزة هذه السنوات بلا كفيل. وإن كانت عند علي (عليه السلام) وكان هو كافلها في تلك المدة، فلماذا لم ينازعه فيها زيد، وإن كانت عند زيد، فلماذا لم ينازعه فيها علي (عليه السلام) ..

على أننا لا نستطيع أن نفهم سبب وجود ابنة حمزة في مكة في عمرة القضاء، إلا إذا قيل: إن أمها أخذتها إليها ورضي المشركون بذلك منها.

ولكن المفروض هو: أن أمها كانت مسلمة، ولم يحدثنا التاريخ أنها ارتدت وذهبت إلى مكة. وعلى كل حال.. فإن الحديث عن هذه القضية سيأتي في عمرة القضاء، إن شاء الله تعالى..

الفصل الثاني: أترابية .. وعصبية؟!!

تكنية علي (عليه السلام) بأبي تراب:

ويذكر البعض هنا: أن علياً (عليه السلام) لما رأى أنه (صلى الله عليه وآله) لم يؤاخ بينه وبين أحد، خرج كثيراً إلى المسجد، فنام على التراب؛ فجاءه (صلى الله عليه وآله)، فجعل ينفض التراب عن ظهره، ويقول: قم يا أبا تراب، ثم آخى بينه وبين نفسه^(١).
ولكن الظاهر: هو أن هذه التسمية قد كانت في مناسبة أخرى غير

١- تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٨ و ٥٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١ و ١٢١ عن الطبراني في الكبير والأوسط، والمناقب للخوارزمي ص ٧ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣٩ وكفاية الطالب ص ١٩٣ عن ابن عساکر، والغدير ج ٦ ص ٣٣٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٥٨ ومسنند أبي يعلى ج ١ ص ٤٠٢ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٥٩ وكشف الغمة ج ١ ص ٦٧ وغاية المرام ج ٥ ص ٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٢٢٨ و ج ٦ ص ٤٦٧ و ٤٧٢ و ج ١٥ ص ٤٥٣ و ٤٥٩ و ٤٨٠ و ٥١٢ و ج ٢٠ ص ٤٢٦ و ٤٢٨ و ج ٢١ ص ٥٣٥ و ج ٢٢ ص ٢٣٣ و ٢٦٨ و ج ٣١ ص ٣١٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢.

هذه.. أي في غزوة العشيرة، التي كانت قبل بدر، فقد خرج النبي (ﷺ) إلى بني مدلج، فوادعهم ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا^(٧)، وملخص القضية برواية عمار بن ياسر "رضوان الله تعالى عليه":
إنه بعد أن نزل رسول الله (ﷺ) ومن معه في موضع هناك، ذهب علي (عليه السلام) وعمار لينظرا إلى عمل بعض بني مدلج، الذين كانوا يعملون في عين لهم ونخل، فغشيتهما النوم، فاضطجعا على صور من النخل، وفي دفعاء من التراب..
قال عمار: فوالله، ما أهبنا إلا رسول الله (ﷺ) يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدفعاء التي نمنا فيها.
فيومئذ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام، لعلي بن أبي طالب: ما لك

١ - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بمهامش الحلبية) ج ١ ص ٣٦١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٤٩ و (ط مكتبة محمد علي صبيح وأولاده) ج ٢ ص ٤٣٣ وراجع: عمدة القاري ج ١٧ ص ٧٤ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٣٠ وكتاب المحير لابن حبيب ص ١١٠ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٢٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١١٢ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٧٥ وعيون الأثر ج ١ ص ٢٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ١٧.

يا أبا تراب؟! لما يرى عليه من التراب.. الحديث^(١)..

١ - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٧ والآحاد والمثاني (مخطوط في كوبرلي) رقم ٢٣٥، = وصحيح ابن حبان (مخطوط)، وبحار الأنوار ج ١٩ ص ١٨٨ ومسنند أحمد ج ٤ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٥٤٩ و ٥٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٢٣ و ١٢٤ والكامل في التاريخ (ط صادر) ج ٢ ص ١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ و (ط مكتبة محمد علي صبيح وأولاده) ج ٢ ص ٤٣٤ وخصائص أمير المؤمنين " عليّ عليه السلام " للنسائي ص ١٢٩ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٤٠ وکنز العمال ج ١٥ ص ١٢٣ و ١٢٤ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ١٤١ عن المصنف، والبغوي، والطبراني في الكبير، وابن مردويه، وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن النجار، وغيرهم، وعن ابن عساکر، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٤٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٦ و ١٠٠ عن الطبراني في الأوسط والكبير، والبخاري وأحمد، ووثق رجال عدد منهم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٤ وترجمة الإمام علي < عليه السلام > من تاريخ ابن عساکر (بتحقيق الحمودي) ج ٣ ص ٨٦ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٦ والطبقات الكبرى لابن سعد، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٠٣ وعن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل رقم ٢٩٥ والغدير ج ٦ ص ٣٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ١٧ وعيون الأثر ج ١ ص ٢٢٦ وإمتاع الأسماع للمقريزي ص ٥٥ وإعلام الوری ج ١ ص ١٦٥ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧١ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٨٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١٩٢ وعلى كل حال، فإن من يراجع غزوة العشرة في كتب التاريخ والحديث، يجد هذا الحديث مثبتاً في أكثر المصادر.

لا بد من التحفظ:

غير أن لنا تحفظاً مهماً على هذه الرواية لأجل ما تضمنته الرواية من أن النبي (ﷺ) قد حرك علياً (عليه السلام) وعماراً برجله، فإن هذا لا يمكن أن يصح، لأنه يناهي أخلاق رسول الله (ﷺ).. فلا بد من طرح هذه الفقرة من الرواية. أو القول بحصول تصحيف فيها، بأن يكون الصحيح: "حركنا برجلنا" بدل "برجله".. ويقتضى ما عداها على ما هو عليه من الإعتبار لتواتر روايته إذ لا ريب في ثبوت هذه الكنية التي منحها النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام).. وهي مجمع عليها من قبل أهل التاريخ والرواية. إذا غاضب فاطمة (عليها السلام) وضع التراب على رأسه:
كما لا ريب في بطلان ما يزعمه أهل الباطل، من أنه (عليه السلام) سمي بأبي تراب، لأنه كان إذا غاضب فاطمة وضع التراب على رأسه، فإذا رآه النبي (ﷺ) عرف ذلك، وخاطبه بهذا الخطاب^(١).

١- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٥١ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٠ والغدير ج ٦ ص ٣٣٦ وفتح الباري ج ١٠ ص ٤٨٦ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٣٤.

ومثله قولهم: إنه (عليه السلام) غاضب فاطمة (عليها السلام) مرة، وخرج إلى المسجد ونام على التراب، فعرف النبي (صلى الله عليه وآله) بالأمر، فبحث عنه فوجده، فخاطبه بهذا الخطاب^(٩).

ويزيدون على ذلك قولهم: كان في علي بن أبي طالب فاطمة شدة فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله، فانطلقت، وانطلق علي بأثرها، فشكت إلى رسول الله غلظ علي، وشدته عليها.

فقال: يا بنية، اسمعي واستمعي، واعقلي: إنه لا إمرة لامرأة لا تأتي هوى زوجها. وهو ساكت.

١ - البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٧ و (ط دار إحياء التراث العربي . بيروت) ج ٧ ص ٣٧١ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٧ ص ١١٩ والأدب المفرد ص ١٨٣ والمعجم الكبير للطبراني ج ٦ ص ١٤٩ والجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٣٣ وتفسير أبي السعود ج ٩ ص ٤٩ وتفسير آلوسي ج ٢٩ ص ١٠١ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٣٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٥١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٠ ص ٤٢٤ و ٤٢٧ و ٤٢٣ ص ٦٢٤ والغدير ج ٦ ص ٣٣٦ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٣٧ وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣ عن صحيح البخاري، والمناقب للخوارزمي ص ٧ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٠ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢١١.

قال علي (عليه السلام) : فكففت عما كنت أصنع وقلت: والله، لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً^(١).

وقصة أخرى، تقول: كان بين علي وفاطمة كلام، فدخل رسول الله، فألقى له مثلاً فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة؛ فاضطجعت من جانب، وجاء علي واضطجع من جانب، فأخذ رسول الله بيد علي فوضعها على سرته، وأخذ بيد فاطمة فوضعها على سرته، ولم يزل حتى أصلح بينهما^(٢).

نعم.. إن كل ذلك لا يصح لما يلي:

١- إننا لم نفهم سر هذا التصرف الذي انتهجه (ﷺ) فيما يزعمون للصلح بين الزوجين، حيث اضطجع، ووضع يديهما على سرته!!

٢- لم نفهم السبب في أنه (ﷺ) حسب زعمهم قد أنحى باللائمة على إبنته، بدلاً من أن يدافع عنها أمام من يظلمها!!

٣- إن فاطمة (عليها السلام) أجلّ وأتقى لله وأبرّ وأطهر وانقى، من أن تغضب علياً (عليه السلام)، وهي الصديقة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً، بنص الكتاب العزيز.

١- الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٨ ص ١٦ و (ط دار صادر) ج ٨ ص ٢٦ والإصابة ج ٨ ص ٢٦٨.

٢- علل الشرائع ج ١ ص ١٥٦ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٤٦ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٨ ص ١٦ و (ط دار صادر) ج ٨ ص ٢٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ٩٥ وغاية المرام ج ١ ص ٦١.

كما أن علياً (عليه السلام) أجلاً، وأرفع، وأتقى، وأورع، من أن يغضب فاطمة (عليها السلام) وسيرته وتطهير الله له من الرجس، ومن كل مشين، بنص كتابه العزيز أدل دليل على ذلك.

٤ . لقد قال علي (عليه السلام) وكأنه يتنبأ بما سوف يفتره عليه الحاقدون: "فوالله ما أغضبته، ولا أكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها؛ فتتكشف عني الهموم والأحزان"^(١).

٥ . إن وضعه التراب على رأسه كلما غاضبها لا يصدر من رجل عاقل، حكيم لبيب، له علم ودراية أمير المؤمنين (عليه السلام) ، لأنه أشبه بلعب الأطفال.

٦ . إن أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو قسيم الجنة والنار، لم يكن ليؤذي الله تعالى والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن جزاء من يؤذي الله ورسوله ليس هو الجنة قطعاً.

وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن من آذى فاطمة (عليها السلام)

١ - المناقب للخوارزمي ص ٢٥٦ و (ط مركز النشر الإسلامي) ٣٥٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٦٣ و (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٣٧٣ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٣٤ وبيت الأحزان ص ٥٣.

فقد آذاه، أو من أغضبها فقد أغضبه^(١).

١ - صحيح البخاري (ط مشكول) ج ٥ ص ٣٦ و (ط دار المعرفة) ج ٤ ص ٢١٠ و ٢١٩ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٦٢ و ٣٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٥٦ و بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٧٦ و ج ٢٩ ص ١٥٧ و ١٥٨ و ج ٤٣ ص ٥٤ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٩٤ وكشف الغمة ج ٢ ص ٩٥ ونهج الإيمان ص ٦٢٠ واللمعة البيضاء ص ١٣٦ و ٧٧٥ و ٧٧٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٤٠٣ و ٤٠٥ = فضائل سيدة النساء لابن شاهين ص ٣٠. ٣٣ و ٣٦ وأمالي المحافظ الأصبهاني ص ٤٥ و ٤٧ وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ١٩٠ و حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠ و ينابيع المودة ص ٣٦٠ و ١٧١ و ١٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ٢٠١ و ٦٤ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٥٩ وتلخيصه بمامشه، وأعلام النساء ج ٤ ص ١٢٥ وكنز العمال ج ١٣ ص ٩٣ ج ١٢ ص ١٠٦ و ١٠٧ و ١١١ و ١١٢ وخلاصة تذهيب تذهيب الكمال ص ٤٩٤ والسنن الكبرى ج ٥ ص ٩٧ و ١٤٧ والإصابة ج ٤ ص ٣٧٨ وتذهيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤١ و ٣٩٢ وشرح مسلم للنووي ج ١٦ ص ٢ وفضائل الصحابة للنسائي ص ٧٨ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٤١ و سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦٠ و ٦٩٨ وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٦٣٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٦٧ وتذهيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٤٤ و الدر المنظم ص ٤٦٢.

وثمة مصادر أخرى ذكرت ذلك تعقيباً على قصة مكذوبة هي قصة خطبة علي < عَلِيٍّ > لبنت أبي جهل فراجع: ذخائر العقبي ص ٣٧ و ٣٨ وكفاية الطالب ص ٣٦٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٥٣ ونظم درر السمطين ص ١٧٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ وخصائص أمير المؤمنين " عَلِيٍّ " للنسائي ص ١٢٠ و ١٢١ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٠٥ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٣ ومسنند أحمد ج ٤ ص ٥ و ٣٢٨ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٣٣ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٦ ص ٣٦٦ والصواعق المحرقة ص ١٨٨.

وقال: إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها^(١).

١ - راجع: فرائد السمطين ج ٢ ص ٤٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٥٢ وكفاية الطالب ص ٣٦٤ وذخائر العقبى ص ٣٩ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤٢ وينايع المودة ص ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٩ و ١٩٨ و (ط دار الأسوة) ج ٢ ص ٥٦ و ٧٢ ونظم درر السمطين ص ١٧٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ و ١٥٨ وتلخيصه للذهبي مطبوع بمامشه، وكنز العمال ج ١٣ ص ٩٦ وج ٦ ص ٢١٩ وج ٧ ص ١١١ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٢ ص ١١١ والغدير ج ٧ ص ٢٣١ - ٢٣٦ وإحقاق الحق ج ١٠ ص ١١٦ ومسند زيد بن علي ص ٤٥٩ والأمالى للصدوق ص ٤٦٧ وعيون أخبار الرضا "عليه السلام" ج ١ ص ٢٩ و ٥١ ومعاني الأخبار ص ٣٠٣ وروضة الواعظين ص ١٤٩ والأمالى للمفيد ص ٩٥ والأمالى للطوسي ص ٤٢٧ واللمعة البيضاء ص ١٣٢ - ١٣٤ و ٨٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٠٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧٩ وج ٢٧ ص ٦٢ وج ٢٩ ص ٣٣٦ وج ٤٣ ص ١٩ و ٢٢ و ٢٦ و ٤٤ و ٥٤ و ٢٢٠ وراجع: السنن الكبرى ج ٧ ص ٦٤ والصواعق المحرقة ص ١٨٦ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٣٢.

٧. لقد قالت فاطمة لعلي (عليه السلام) : ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني، "فصدقها" (عليه السلام) ، في ذلك^(١).
٨. إن علياً (عليه السلام) لم يكن ليغضب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويعتب عليه، وهو يعلم أنه لا يأتي بعمل من عند نفسه، كما أن سيرته (عليه السلام) مع النبي تؤكد على أنه كان يلتزم حرفياً بكل ما يصدر عنه، حتى إنه حينما أمره (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يسير لفتح خيبر ولا يلتفت، مشى (عليه السلام) ما شاء الله، ثم وقف، فلم يلتفت وقال: يا رسول الله الخ...^(٢).

١- روضة الواعظين ص ١٥١ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩١ والأنوار البهية ص ٥٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٢١ واللعة البيضاء ص ٨٦٨ وبيت الأحزان ص ١٧٦.

٢- أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٩٣ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٨٠ وإسناده صحيح، ومسنند أحمد ج ٢ ص ٣٨٤. ٣٨٥. وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ وسنن سعيد بن منصور ج ٢ ص ١٧٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٥٨ و ٥٩ و ٥٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٥٩ والغدير ج ١٠ ص ٢٠٢ وج ٤ ص ٢٧٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٠٠ ومسنند الطيالسي ص ٣٢٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١١٠ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٣٦ وج ١٢ ص ٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٥٠٣ والأمالى للطوسي ص ٣٨١ والعمدة لابن البطريق ص ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٩ والطرائف لابن طاووس ص ٥٩ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧ وج ٣٩ ص ١٠ و ١٢ والنص والاجتهاد ص ١١١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٦٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١١ ورياض الصالحين ص ١٠٨ وكنز العمال ج ١ ص ٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢١١ = والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٢ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي "عليه السلام" ج ١ ص ١٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٥ ونبايح المودة ج ١ ص ١٥٤.

٩ . أضيف إلى ذلك: أن النبي (ﷺ) حينما كان يستشير أصحابه في الموارد المختلفة، في بدر وأحد وغيرهما، كان أصحابه يتكلمون بما شاؤوا، ولم يكن علي (عليه السلام) يبيد رأياً، ولا يقدم بين يدي الله ورسوله بشيء أصلاً، إلا ما روي في شأن الإفك على مارية، حيث طلب منه النبي (ﷺ) أن يبيد رأيه فأشار (عليه السلام) بطلاق عائشة ليكون ذلك بمثابة إنذار لها؛ لترتدع عن مواقفها وأعمالها، وتكف عن أذى رسول الله وأزواجه.

١٠ . وأخيراً.. بالنسبة لما يذكرونه من عتب علي (عليه السلام) أو كاتبه

حين آخى النبي (ﷺ) بين أصحابه، فهو غير دقيق، إذ لماذا يغضب (عليه السلام) ويعتب؟! أليس قد آخاه (ﷺ) قبل الهجرة؟! ثم هو لم يزل يؤكد على أخوته له، كلما اقتضت المناسبة ذلك؟! وعلى كل حال، فنحن لن نكذب النبي (ﷺ)، والقرآن، ونصدق هؤلاء، فنحن نذر هذه الترهات لهم، تدغدغ أحلامهم، وترضي حقدهم على علي وأهل البيت "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين". وان ربك لبالمرصاد. وقد ذكرت القصة في بعض المصادر من دون إشارة إلى المغاضبة، فراجع^(١).

١ - راجع على سبيل المثال: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي "عليه السلام" لابن الدمشقي ج ١ ص ٣٠ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٤ و ٢١٦ وتحفة الأحوزي للمباركفوري ج ١٠ ص ١٤٤ وذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبري ص ٥٧ والآحاد والمثاني للضحك ج ١ ص ١٥٠ والعمدة لابن البطريق ص ٢٦ والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ص ٧٨ عن البخاري، وصحيح البخاري ج ٥ ص ٨٨ ح ١٩٩ و (ط دار الفكر - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) ج ٤ ص ٢٠٨ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٦٨ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ١٠٧ والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ ج ١ ص ٢٢٦ ونبايع المودة لذوي القربى للقندوزي ج ١ ص ١٦٣ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ١ ص ٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٥٣٨.

الشيخ الصدوق (رحمة الله) ورواية المغاضبة:

وقد قال الشيخ الصدوق "عنه" عن الخبر المتضمن لذكر الخلاف بين علي وفاطمة (عليهما السلام)، ما يلي:
"ليس هذا الخبر عندي بمعتمد، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلة، لأن علياً (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) ما كان ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الإصلاح بينهما، لأنه (عليه السلام) سيد الوصيين، وهي سيدة نساء العالمين، مقتديان بنبي الله (صلى الله عليه وآله) في حسن الخلق، لكنني أعتمد في ذلك على ما حدثني به.." (١).
ثم ذكر رواية سليمان بن مهران عن عباية بن ربيعي الآتية.
وفي رواية أخرى، عن ابن عمر قال: بينا أنا مع النبي (صلى الله عليه وآله) في نخيل المدينة وهو يطلب علياً (عليه السلام) إذا انتهى إلى حايط، فاطلع فيه فنظر إلى علي (عليه السلام) وهو يعمل في الأرض وقد اغبار، فقال ما ألوم الناس أن يكونك أبا تراب.
فلقد رأيت علياً تمعر وجهه، وتغير لونه، واشتد ذلك عليه.

١- راجع: علل الشرايع ج ١ ص ١٨٧ و (منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها . النجف الأشرف) ج ١ ص ١٥٦ وراجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٤٧ وغاية المرام ج ١ ص ٦١.

فقال النبي (ﷺ) : ألا أرضيك يا علي؟!

قال: نعم يا رسول الله .

فأخذ بيده، فقال: أنت أخي، ووزير، وخليفتي في أهلي، تقضى ديني الخ.." (١) .

والظاهر: أن اشتداد ذلك على أمير المؤمنين (ﷺ) ، إنما هو لعلمه: بأن الذين سيقولون عنه ذلك إنما يريدون تنقصه وتصغير

شأنه بكلامهم هذا، وتحريفاً منهم لمقصد رسول الله (ﷺ) من إطلاق هذا اللقب عليه (٢) . لأنه (ﷺ) قال ذلك له على غير

المعنى الذي أرادوه . والله أعلم بحقيقة الحال!

١ - راجع: علل الشرايع ج ١ ص ١٨٨ و (منشورات المكتبة الحيدرية . النجف الأشرف) ج ١ ص ١٥٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين " ﷺ " للكوفي ج ١ ص ٣٢٠ والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص ٥٣ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٥٠ ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ١٢١ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٢ ص ٣٢١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب " ﷺ " في الكتاب والسنة = والتاريخ ج ١١ ص ١٩٨ وغاية المرام ج ١ ص ٦٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٢٢٩ وج ٢٣ ص ١٤٣ و ١٤٤ و ٢٧٠ و ٣٤٢ و ٣٥٠ و ٦٠١ وج ٣١ ص ٢٩٢ .

٢ - راجع: تذكرة الخواص ج ١ ص ١٢٩ .

سبب تكنية علي (عليه السلام) بأبي تراب:

وسبب تسمية النبي (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) بأبي تراب، هو أنه (صلى الله عليه وآله) جاء وعلي (عليه السلام) نائم في التراب، فقال: أحق أسمائك أبو تراب، أنت أبو تراب^(١).

وقد علل ابن عباس هذه التكنية بوجه دقيق وعميق، فقد روى سليمان بن مهران، عن عباية بن ربيعي، قال: قلت لعبد الله بن عباس: لم كنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أبا تراب؟
قال: لأنه صاحب الأرض، وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها، وإليه سكونها. ولقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنه إذا كان يوم القيامة، ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعته علي (عليه السلام) من الثواب والزلفى والكرامة، قال: "يا ليتني كنت تراباً. يعني: (يا ليتني) من شيعة علي (عليه السلام) .

١- راجع: مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩ ص ١٠١ والمعجم الأوسط للطبراني ج ١ ص ٢٣٧ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢ ص ١٨ والغدير للشيخ الأميني ج ٦ ص ٣٣٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ١ ص ٨٢ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٥٤٣ و ٥٤٥ وج ١٥ ص ٥٩٢ وج ٢٠ ص ٤٢٣ و ٤٢٩ و ٤٣١.

وذلك قول الله عز وجل: (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا)^(١) (٢).

قال المجلسي " عليه السلام " : " يمكن أن يكون ذكر الآية لبيان وجه آخر لتسميته (عليه السلام) بأبي تراب، لأن شيعته لكثرة تذللهم له وانقيادهم لأوامره سُموا تراباً، كما في الآية الكريمة.

ولكونه (عليه السلام) صاحبهم، وقائدهم، ومالك أمورهم، سمي أبا تراب " (٣).

وقد قال عبد الباقي العمري مشيراً إلى ذلك:

يا أبا الأوصياء أنت لطفه صهره وابن عمه وأخوه إن لله في معانيك سرّاً أكثر العالمين ما علموه

أنت ثاني الآباء في منتهى الدور وآبؤه تعد بنوه

١ - الآية ٤٠ من سورة النبأ.

٢ - بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٥١ وج ٦٥ ص ١٢٣ وغاية المرام للبحراني (ط إيران) ج ١ ص ٥٨ و (ط أخرى) ج ١ ص ٦٠ وعلل الشرايع ج ١ ص ١٨٧ و ١٨٨ و (ط الحيدرية . النجف الأشرف) ج ١ ص ١٥٦ ومعاني الأخبار للشيخ الصدوق ص ١٢٠ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٢٠ والإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " للهمداني ص ٥٦ والصافي ج ٥ ص ٢٧٨ وج ٧ ص ٣٨٧ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٩٦ وبشارة المصطفى ص ٢٨ و ٢٩ والبرهان (تفسير) ج ٨ ص ٢٠٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٠٥.

٣ - راجع: بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٥١.

خلق الله آدمًا من تراب وهو ابن له وأنت أبوه^(١)

لماذا الوضع والإختلاق؟!:

ولعل سر وضع هذه الترهات هو:

- ١ - إنهم يريدون أن يظهروا: أنه قد كان في بيت علي (عليه السلام) من التناقضات والمخالفات مثل ذلك الذي كان في بيت النبي (ﷺ) ، مما كانت تصنعه بعض زوجاته (ﷺ) .
وليمكن . من ثم . أن يقال: إن ذلك أمر طبيعي، ومألوف، وهو من مقتضيات الحياة الزوجية؛ فلا غضاضة فيه على أحد، ولا موجب للطعن والإشكال على أي كان، فزوجة النبي تتصرف كما كانت تتصرف بنت النبي (ﷺ) .
وكما كانت عائشة تغضب النبي (ﷺ) ، فإن فاطمة كانت تغضب علياً (عليه السلام) ، وكانت خشنة معه.
- ٢ - ومن الجهة الثانية، فكما أن قوله (ﷺ) من أغضبها

١ - راجع: الغدير للشيخ الأميني ج ٦ ص ٣٣٨ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٣٨٠ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص ٥٦ و ٣٧٣ واللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص ١٣٠ والكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج ٢ ص ٩٨ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٢٠.

(أي فاطمة) فقد أغضبني، ينطبق على فلان وفلان، فإنه ينطبق على علي نفسه، إذاً فكما أغضب أبو بكر وعمر بن الخطاب فاطمة (عليها السلام)، فقد أغضبها علي أيضاً..

وتكون واحدة بواحدة، فلا يكون ذلك موجباً للإشكال على أولئك دونه (عليه السلام) . ويكون كلام النبي (صلى الله عليه وآله) عن غضبها من قبيل المجاملة، وأنه كلام لا معنى له وراء العاطفة الأبوية.

٣ . هل يريدون أن يظهروا علياً (عليه السلام) بصورة الفظ الغليظ، وهي الصفات التي وصفوا بها عمر بن الخطاب، لكي يتشارك هو وإياه في ذلك؟!!

٤ . بل هم يريدون بذلك: أن يظهروا علياً (عليه السلام) بصورة الرجل الذي لم يكن مرضياً من فاطمة، وقد تزوجته وهي كارهة، وبدون رضى منها.

ولعل قبول النبي (صلى الله عليه وآله) بتزويجه كان لأجل دفع غائلته وشره، وبذلك يسلبون عنه فضيلة الصهر للنبي (صلى الله عليه وآله) .
قيمة هذه الكنية:

وقد كان علي (عليه السلام) يعتز ويأنس بكنية "أبي تراب"، لأنه كان لا يرى الدنيا هدفاً له، يعيش من أجله ويضحى في سبيله، وإنما يعتبرها وسيلة إلى هدفه الأسمى، وغايته الفضلى، ومن يرى نفسه منسجماً في تصرفاته مع هدفه، ومع نظرتة؛ لا بد أن يرتاح، وينشرح لذلك.

فكانت هذه الكنية من النبي (صلى الله عليه وآله) له بمثابة إعلام له:

بأنه سوف يبقى في موقفه وتصرفاته محتفظاً بالخط المنسجم مع أهدافه، وأنه سوف يستمر في وضعه للدنيا في موضعها الذي يليق بها، ولن تغره بزبارجها وبمارجها، ولن يتلي بالتناقض بين موقفه وتصرفاته، وبين ما يعتبره هدفاً له .

فمن أجل ذلك وسواه كانت هذه الكنية أحب كناه إليه (عليه السلام) .

وأما الأمويون، الذين كانوا يعيرونه (عليه السلام) بهذه الكنية، فقد كان موقفهم أيضاً منسجماً مع نظرهم ومع ما يمثل القيمة عندهم، فإن غايتهم وهدفهم هو الدنيا، وعلى أساس وجدانها وفقدانها يقيمون الأشخاص والمواقف، فيحترمون أو يحتقرون .

وإذا كان علي أبا تراب، ولا يهتم بالدنيا، ولا يسعى لأن ينال منها إلا ما يحفظ له خيط حياته، انطلاقاً من الواجب الشرعي، ويبلغه إلى أهدافه التي رسمها الله سبحانه له، فإن بني أمية سوف يرونه فاقداً للعنصر الأهم الذي يكون به المجد الباذخ، والكرامة والسؤدد بنظرهم، ويصبح من الطبيعي أن يعيروه بكنية من هذا القبيل، فإن ذلك هو المنسجم كل الانسجام مع غاياتهم ونظرهم تلك التي تخالف الدين والقرآن، ولا تنسجم مع الفطرة السليمة والمستقيمة .

الراية الترابية: علم وسخاء:

وقد أظهرت بعض النصوص: أن الترابية أصبحت نجماً وطريقاً ولقباً لفئة من الناس، وأن هذا اللقب أصبح محوراً وشعاراً رائعاً في

دلالاته

في نطاق التداول بين الأفرقاء: من الأعداء والأصدقاء على حد سواء.

فمن يهتم بالعلم، ونشره، ويعرف بالسخاء والبذل صار يعتبر رافعاً راية ترابية، فقد روي: أنه دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير، وهو يومئذ بمكة فقال: أصبحت كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام جائحة لا أبك منك على دنياً ولا دين

فقال: وما ذاك يا أعرج؟!

فقال: هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس، وعبيد الله أخوه يطعم الناس، فما أبقيا لك؟!

فأحفظه ذلك، فأرسل صاحب شرطته، عبد الله بن مطيع، وقال له: انطلق إلى ابني عباس، فقل لهما: أعمدتما إلى راية ترابية قد وضعها الله، فنصبتماها؟! بددا عني جمعكما، ومن ضوى إليكما من أهل الدنيا، وإلا فعلت وفعلت.

فقال ابن عباس: ثكلتك أمك، والله ما يأتينا من الناس غير رجلين: طالب فقه، أو طالب فضل. فأبي هذين تمنع؟!

فقال أبو الطفيل:

لا در در الليالي كيف تضحكننا منها خطوب أعاجيب وتبكيينا

ومثل ما تحدث الأيام من غير يا ابن الزبير عن الدنيا تسليينا

كنا نجيء ابن عباس فيقبسنا علماً، ويكسبنا أجراً ويهدينا

ولا يزال عبيد الله مترعة جفانه، مطعماً ضيفاً ومسكيناً

فالبير، والدين، والدنيا بدارهما ننال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كشفت به عمايات باقيننا وماضينا
ورھطه عصمة في ديننا ولھم فضل علينا وحق واجب فينا
ولست فاعلمه أولى منهم رحماً يا بن الزبير ولا أولى به ديننا
ففيهم تمنعهم عنا وتمنعنا عنهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا
لن يؤتي الله من أخزى ببغضهم في الدين عزاً ولا في الأرض تمكيناً(١)
فابن الزبير يعتبر راية العلم، وراية الجود من الرايات الترابية التي اكتسبها أتباع أبي تراب منه "صلوات الله وسلامه عليه".
أترابية وعصية؟!:

كما أن أتباع أمير المؤمنين (عليه السلام) (أبي تراب) كانوا كإمامهم أبعد عن العصبية للعرق والعشيرة، ويشهد لذلك قول كثير عزة،
حينما قتل آل المهلب بالعقر: ما أجل الخطب! ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر، ثم
انتضحت عيناه باكياً.

فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فدعا به، فلما دخل عليه قال: "عليك

١ - الأغاني (ط ساسي) ج ١٣ ص ١٦٨ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٢ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣ ص ٩٣٨ والدرجات الرفيعة ص ١٤٨ وتاريخ مدينة دمشق
ج ٢٦ ص ١٢٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٥٦ وخزانة الأدب ج ٤ ص ٤٠.

بجملته الله، أترابية وعصبية"؟!^(١).

مما يعني: أن هاتين الصفتين لا تجتمعان في علي (عليه السلام) وشيعته. وموقف أهل البيت (عليهم السلام) من العصبيات، ومن التمييز القبلي والعنصري، معروف وواضح. والموقف الآخر المتقاض له من غيرهم واضح أيضاً.

وهذا موضوع طويل وهام، لا مناص لنا من إرجاء الإفاضة فيه إلى فرصة أخرى^(٢).

١ - الأغاني ج ٨ ص ٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ١٦٩ و ٣٢٥ ومختصر أخبار شعراء الشيعة ص ٦٩ والدرجات الرفيعة ص ٥٨٨.

٢ - راجع كتابنا: (سلمان الفارسي في مواجهة التحدي).

الفصل الثالث: علي (عليه السلام) .. في بدر العظمى..

حرب بدر:

كانت حرب بدر في شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وكان لعلي فيها القدر المعلى، والحظ الأوفر.. ونحن هنا لا نريد استعراض جميع ما جرى في هذه الحرب، بل نريد أن نقدم لمحة عن حركة ومواقف أمير المؤمنين (عليه السلام) فيها، فنقول:

راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع علي (عليه السلام) :

لقد كانت راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حرب بدر مع علي (عليه السلام) ^(١)، كما كانت معه في سائر المواقف. ومن الكلمات المألوفة

١ - المناقب للخوارزمي ص ١٠٢ والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم النبيل، مخطوط في مكتبة كوبرلي رقم ٢٣٥ و (ط دار الدراية) ج ١ ص ١٤١ ومسند الكلابي في آخر مناقب ابن المغازلي ص ٤٣٤ ومناقب ابن المغازلي نفسه ص ٣٦٦ والإستيعاب (بهاشم الإصابة) ج ٣ ص ٣٣ و ٣٤ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١١ وتلخيصه للذهبي بهامشه، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥ ونقل ذلك عن: شرح نهج البلاغة للمعتزلي (ط أولى) ج ٢ ص ١٠٢ وجمهرة الخطب ج ١ ص ٤٢٨ والأغاني (ط دار الكتب) ج ٤ ص ١٧٥ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج ٢ ص ٤٣٠. وشرح الأخبار ج ١ = ص ٣٢١ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣١١ وذخائر العقبى ص ٧٥ والمستجدات من الإرشاد (المجموعة) ص ٦٥ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩٠ وج ٤١ ص ٧٩ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٢١ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٥ ص ٢٤١ والمعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٣١١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٠٦ والتبيين للطوسي ج ٢ ص ٥٧٩ وجوامع الجامع ج ١ ص ٣٢٤ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٨١ والكامل لابن عدي ج ١ ص ٢٤٠ وج ٥ ص ١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٠ ص ٢٤٩ وج ٤٢ ص ٧٢ والبدایة والنهایة ج ٧ ص ٣٩ وإعلام الوری ج ١ ص ٣٧٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ١٨٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ وج ١٨ ص ٧٣ وج ٢٠ ص ٣٣١ وج ٣٠ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ وج ٣٢ ص ٣٤١ و ٣٤٢.

لدى المؤرخين قولهم: كان علي (عليه السلام) صاحب لواء (أو راية) رسول الله (ﷺ) في بدر وفي كل مشهد^(١).

١ - ترجمة الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٤٥ وذخائر العقبى ص ٧٥ عن أحمد في المناقب، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٤ و (ط دار صادر) ج ٣ ص ٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٧٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٢٥ وكفاية الطالب ص ٣٣٦ وفي هامشه عن كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبراني، وراجع: هامش ص ١٨٠ من احتجاج الطبرسي، عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٧ و ٢٠٢ عن نظام الملك في أماليه. وراجع أيضاً: مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي ص ٢٠٠ والمناقب للخوارزمي ص ٢٥٨ و ٢٥٩ وعمدة القاري ج ١٦ = ص ٢١٦ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٥٠٠ وتلخيصه بهامش نفس الصفحة للذهبي، وصحاحه على شرط الشيخين، والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٢٨٨ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥١٤ . ٥١٥ . وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٤ وفتح الباري ج ٦ ص ٨٩ عن أحمد، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٠ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٠٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٩ والغدير للعلامة الأميني ج ١٠ ص ١٦٨ عنه، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٥٢٧ و ٥٢٨ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ١٨٩.

وسياتي في حرب أحد نصوص عديدة تدل على ذلك..
فلا يصغى لما يقال: من أن اللواء كان بيد مصعب بن عمير، أو الحباب بن المنذر.. إلا إن كان مرادهم أن لواء أو راية المهاجرين كانت بيد مصعب، وراية أو لواء الأنصار بيد الحباب..
ولا يلتفت لمحاولاتهم التفريق بين اللواء والراية. لتصحيح الإدعاءات المتعارضة، لأن النصوص قد دلت على اختصاص اللواء الأعظم، والراية العظمى بعلي (عليه السلام)^(١).
وقد نص جماعة من أهل اللغة على الترادف بين اللواء والراية^(٢).. وإن

١ - راجع المصادر في الهامشين السابقين.

٢ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧ و ١٤٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٤٨ و ٣٨٢ و ٧٣٦ و ج ٣ ص ١٣٧ و راجع: فتح الباري ج ٦ ص ٩٠ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٣٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٣٧٣.

كان بعضهم ذكر: أن الراية قد اتخذت في واقعة خيبر^(١)، وسيأتي المزيد من الكلام حول هذا الموضوع في تلك المواضع إن شاء الله تعالى.

النبي (ﷺ) لا يبدأ القتال:

وقد أمر النبي (ﷺ) أصحابه في بدر أن لا يبدأوا عدوهم بقتال.. وهذا كان حال أمير المؤمنين (عليه السلام) في سائر حروبه، فإنه كان يأمر أصحابه أن لا يبدأوا أعداءه بقتال أيضاً..

فقد جاء أنه (عليه السلام) نادى في الناس يوم الجمل: لا يرمين رجل بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدأوا القوم بالقتال، وكلموهم بالطف الكلام.

قال سعيد: فلم نزل وقوفاً حتى تعالى النهار؛ حتى نادى القوم بأجمعهم: يا ثارات عثمان إلخ..

وبذلك أيضاً أوصى (عليه السلام) أصحابه في صفين^(٢).

١- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٣٧ و ١٤٠ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٣٣ وشرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ٧١.

٢- السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٨٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٠٣ عنه، وراجع: تذكرة الخواص ص ٧٢ و ٩١ والفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ٤٥ و ج ٢ ص ٤٩٠ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمدي) ج ٢ ص ٢٤٠ والمناقب للخوارزمي ص ١٨٣ وكنز العمال ج ١١ ص ٣٣٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٥٥٤ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٦٧ و (تحقيق الشيرازي) ج ١ ص ٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١١١.

وأوصى الإمام الحسين (عليه السلام) أصحابه في كربلاء.

وصار ذلك شعار الشيعة، حيث كانوا لا يبدأون أحداً بقتال، كما قال الجاحظ، وهو يتحدث عن كردويه الأقطع الأيسر (وهو من بطارقة سندان الشجعان)، وكان لا يضرب أحداً إلا حطمه، وكان إذا ضرب قتل:

"كان كردويه مع فتكه وإقدامه يتشيع؛ فكان لا يبدأ بقتال حتى يبتدأ"^(١).

وبذلك يصبح البادىء بالقتال هو المعتدي والباغي. ويصبح المعتدى عليه معذوراً في الدفاع عن نفسه أمام الله وأمام العقلاء، وأمام وجدانه.

وما رميت إذ رميت:

وعن ابن عباس: في قوله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) ^(٢) قال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) بأمر من جبرئيل قال لعلي (عليه السلام)

١ - البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ص ٣٣٣.

٢ - الآية ١٧ من سورة الأنفال.

: ناولني كفاً من حصباء (وفي رواية: عليه تراب)، فناوله كفاً من حصباء، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي أحد إلا امتلأت عينه من الحصى.

وفي رواية: وأفواههم ومناخرهم.

ثم ردفهم المؤمنون يقتلوهم ويأسروهم^(١).

عائشة تشبه برسول الله (ﷺ):

وقد حاولت عائشة أن تشبه برسول الله (ﷺ) في هذا الأمر، فقالت في حرب الجمل: ناولوني كفاً من تراب، فناولوها، فحثت في وجوه أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقالت: شأهت الوجوه، كما فعل رسول الله (ﷺ) بأهل بدر.

١ - المعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٢٢٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٨٤ وزاد المسير ج ٣ ص ٢٢٦ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٢٩ و ٣٢٥ عن تفسير الثعلبي، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٦٣ والدر المنثور ج ٣ ص ١٧٥ وفتح القدير ج ٢ ص ٢٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٤٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٠٧ وتخریج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٢٠ وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٩ والبدایة والنهاية ج ٣ ص ٣٤٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٣٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٧ وجامع البيان ج ٩ ص ٢٧٢ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٦.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : وما رميت إذ رميت، ولكن الشيطان رمى، وليعودن وبالك عليك إن شاء الله تعالى^(١).
آيتان لم يعتبر الناس بهما:

ومن المناسب الإشارة هنا إلى ما يلي:

١ . إن ما فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أهل بدر كان ينبغي أن يترك أثره على قرار الحرب الذي اتخذوه ضد من لم تنزل الآيات والمعجزات والكرامات الإلهية تظهر لهم فيه، وتدلهم على صدقه، ولزوم الإيمان به. وقصة رميه التراب في وجوههم واحدة منها. فقد رأى المشركون بأعينهم، ولمسوا بأنفسهم كيف أن كفاً من تراب يدخل في عيون جيش بأكمله، وفي أفواههم ومناخرهم، وملؤها، فإن هذا الأمر غير عادي..

ولنفترض: أن ذلك لم يقنع ذلك الجيش، ولم يجد فيه ما يثير أو ما يستهجن.. ولكن بعد أن تحقق ذلك النصر المؤزر، الذي لا يمكن تصديقه، بل ولا توهمه، لماذا لم يدركوا: أن هذا النصر بذاته معجزة إلهية تدعوهم إلى التخلي عن بغيهم وعنادهم وجحودهم؟!
ويزيد هذه المعجزة وضوحاً في دلالتها أن ثلاثة أرباع هذا النصر كان

١ - كتاب الجمل للمفيد ص ٣٤٧ . ٣٤٨ . و (ط مكتبة الداوري . قم) ص ١٨٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٥٧ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٠٣ وراجع: الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٣٢٥ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٤٧٨ .

على يد رجل واحد هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) .. مع أن هذا الرجل لم يسبق له أن خاض حروباً، أو قاد جيوشاً.. وها هو يقود جيشاً ليس فيه سوى فرس واحد، وليست هي لهذا القائد المنتصر، ولدى عدوه مئات الأفراس، وليس لدى جيشه سوى ثمانية دروع، في مقابل ست مئة دارع، وليس مع جيشه سوى ستة سيوف، ومع الباقيين جريد نخل أو ما شابه.. وجيش عدوه مدجج بالسلاح، متختم بالإمكانات.

أما مواقع الجيشين فلا يحسد المسلمون على مواقعهم، لا سيما مع كونهم بالعدوة الدنيا، ومع عدم وجود ماء لديهم.. وكذلك الحال بالنسبة لتركيبية الحشد المقاتل لدى الطرفين، فإن الكثير من السلبيات المخيفة كانت مهيمنة على جيش أهل الإيمان، وكان يتوقع لها أن تترك آثاراً كبيرة وخطيرة.. في حين أن جيش الأعداء لم يكن يعاني من أي شيء من ذلك.. كل ذلك بالإضافة إلى الحاجة الملحة، والفقر والعدم الظاهر في هذا الجانب، والمفقود في الجانب الآخر.. وكل ذلك قد أوضحناه في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، الجزء الخامس، في حرب بدر.

ومع ذلك كله يتحقق النصر الكبير والهائل على يد رجل واحد من هذا الجيش تقريباً، ألا وهو علي بن أبي طالب!! ألا يكفي ذلك لتكوين القناعة الراسخة لديهم بالرعاية الإلهية لهذا الدين ولأهله؟!

٢ . إن ما فعلته عائشة هو الآخر ينبغي أن يكون دليلاً للجيش الذي جاءت به على سقوط ما تدعيه، وعلى أنها ظالمة في حربها لـعلي (عليه السلام) ، فإن التراب الذي ألقته لم يصل منه شيء إلى أحد من جيش علي.. في حين أن قول علي (عليه السلام) قد صدق في حقها، فقد قال: "وليعودن وبالك عليك إن شاء الله تعالى" .. فقد هزمت هي وجيشها شر هزيمة .. وبقيت نادمة ونادبة، تبكي حظها وما جرى لها إلى إن ماتت ..

وتلك دلالة أخرى كان علي من عاش تلك الأحداث أن يستفيد منها، ويضمها إلى مثيلاتها من الدلائل والشواهد..

عائشة: فعل علي (عليه السلام) كفعل النبي (صلى الله عليه وآله):

ونظرت عائشة إلى علي (عليه السلام) ، وهو يجول بين الصفوف في حرب الجمل، فقالت: انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بدر، أما والله ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس^(١)، وهكذا كان؟! ومن غير علي (عليه السلام) كان يتبع رسول الله (صلى الله عليه وآله) اتباع الفصيل إثر أمه؟! إنه (عليه السلام) يرى أن هذه الحرب تقوم على أساس التفرير بالناس وخذاعهم، ولم يكن (عليه السلام) يريد قتل الناس، ولا الإنتقام من أحد، بل كان (عليه السلام) يريد مجرد درء الفتنة، ورد الكيد.

١ - الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٢١٤ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٤٧٢ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٤١ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ١٧٤.

فإذا بدأت الحرب حين الزوال، وعضت الحرب أولئك البغاة بأنيابها، وجاءهم الليل بسرعة فسيُجرون في هدأته حساباتهم بصورة أكثر دقة وواقعية، لأنهم يكونوا تذوقوا شيئاً من آلام الحرب، وعرفوا عملياً بعض الأثمان التي سيدفعونها من جراح وأرواح، فلا بد أن يعيد الكثيرون من هؤلاء الناس الذين غرر بهم النظر في قراراتهم السابقة، وسيندمون على الدخول في هذا المدخل، وبعد أن يجروا مقارنات بين الثمن الذي يدفعونه، وبين ما سيحصلون عليه، ويحققونه، سيظهر لهم أنهم هم الخاسر الأكبر، والمغبونون بجميع المقاييس: الدنيوية منها والدينية..

وربما ينصرف الكثيرون منهم عن مواصلتها، أو يحاولون إقناع غيرهم بإيجاد مخرج لها..

كما أن مجيء الليل سوف يسهل على من يحتاج إلى التخفي والإنسحاب، أن ينسل تحت جناح الظلام إلى الجهة التي يختارها..

ولعل ذلك كله وسواه هو بعض السر في أنه (ﷺ) كان ينتظر زوال الشمس اقتداءً منه بالرسول الأكرم (ﷺ)..

كنا نتقي المشركين برسول الله (ﷺ):

ويصف علي (ﷺ) لنا شجاعة رسول الله (ﷺ) في بدر، فيقول: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله (ﷺ)،

فكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه، أو

نحو ذلك^(١).

ونقول:

إن هذا النص يحتاج إلى معالجة توضح معناه ومغزاه، فلاحظ ما يلي:

أولاً: ما ورد في هذا النص لا يعني أن رسول الله (ﷺ) قد قتل أو جرح أحداً من المشركين بيده، فإن ذلك لم يحصل في أي من حروب رسول الله (ﷺ).. لأن مصلحة الإسلام العليا، والرفق بالبشر كان يقتضي ذلك.. لا سيما وأن المطلوب منهم هو أن يكون رسول الله (ﷺ) أحب إليهم من آبائهم، وأبنائهم، وأموالهم، وتجاراتهم، ومسكنهم، فلا بد من تيسير هذا الحب لهم. كما أن أدنى تردد أو اتهام أو إثارة من بعض له تخرجهم عن الإيمان والاسلام بصورة تامة..

ثانياً: إنه إذا صح الحديث الأنف الذكر، فعلي (عليه السلام) إنما يتحدث عن غيره من المسلمين، لا عن نفسه. أي أنه في مقام التعريض بذلك الغير، الذي يريد محبوه تسطير الفضائل والكرامات له.

أما علي (عليه السلام) فكان يحاول أن يفدي رسول الله (ﷺ) بنفسه، كما جرى في ليلة الهجرة، حيث بات على فراش رسول الله

١ - راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٣ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٤٢ و ٤١٢ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٧ و (ط دار إحياء التراث العربي . بيروت) ج ٦ ص ٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٤٦ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٦٧٧ عن البيهقي وأحمد.

(ﷺ) ليقية بنفسه، وكما كان يجري في الشعب على مدى ثلاث سنوات، حين كان أبو طالب ينيمه في فراش رسول الله (ﷺ)، حتى إذا كان ثمة من خطر، فليكن على علي (عليه السلام)، دون رسول الله (ﷺ) ..

فهذا القول منه (عليه السلام) هنا.. نظير أن يقول شخص: إننا في بلادنا نأكل، ونلبس، أو نصنع كذا، مع أن القائل لم يأكل أو لم يلبس أو لم يفعل ذلك بنفسه، وإنما هو يتحدث عن غيره ويعرض به..

المبارزة:

وكان أول من برز للقتال في بدر: عتبة، وشيبة، والوليد؛ فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم: ارجعوا؛ فإننا لسنا إياكم نريد، إنما نريد الأكفاء من قريش.

فأرجعهم النبي (ﷺ)، وبدأ بأهل بيته؛ لأنه كره أن تكون البداية بالأنصار^(١)، وندب عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعلياً، قائلاً: "قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم إلخ..".

فسأل عتبة عنهم، فأخبروه عن أنفسهم، وسأل شيبة عن حمزة، فقال

١ - تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٤ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٣١٣ و ٢٥٣ وسعد السعود ص ١٠٢ والصابي ج ٢ ص ٢٨٠ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٣٠.

له: أنا حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.

فقال شيبه: قد لقيت أسد الحلفاء، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله.

فقتل علي (عليه السلام) الوليد، وجاء فوجد حمزة معتقاً شيبه، بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف، فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة طويلاً، فأدخل رأسه في صدر شيبه؛ فاعترضه علي بالسيف، فطير نصفه (أي نصف رأسه). (وقد يكون الصحيح: قحفه: أي قحف رأسه)

وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة، وفلق عبيدة هامته، فجاء علي فأجهز علي عتبة أيضاً.

فيكون أمير المؤمنين (عليه السلام) قد شرك في قتل الثلاثة^(١).

ونقول:

إننا نشير هنا إلى ما يلي:

علي (عليه السلام) قاتل الفرسان الثلاثة:

قد يقال: إن سياق الروايات المتقدمة يعطي: أن علياً (عليه السلام) قد قتل الوليد وشيبه. أما عتبة، فكان عبيدة بن الحارث قد فلق

هامته، فجاء علي (عليه السلام) فأجهز عليه..

مما يعني: أن موت عتبة من ضربة عبيدة كان محتملاً، وأن ضربة علي

١ - راجع: المناقب ج ٣ ص ١١٩ عن صاحب الأغاني وغيره.. وراجع: بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٥٤ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٦٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٣٠.

(عليه السلام) لا تقدم ولا تؤخر في ذلك، وإن كانت قد سرّعت موته.

ونقول:

إن علياً (عليه السلام) هو الذي قتل الفرسان الثلاثة، ولم يقتصر الأمر على مجرد المشاركة في قتلهم، لأن فلق هامة عتبة لا يعني أن أمره قد انتهى، إذ لا يعلم مبلغ تلك الضربة منه.. فلعلها كانت جرحاً بليغاً لم يبلغ حداً يمنع من مواصلة القتال بصورة فاعلة ومؤثرة. فجاء علي (عليه السلام) وقتله.

وقد أظهرت بعض النصوص: أن شراكة علي (عليه السلام) في قتال الثلاثة هي التي حسمت الموقف لصالح المسلمين فيهم، فلاحظ ما

يلي:

١. ما ورد في كتاب "المقنع" من أن هنداً قالت:

ما كان لي عن عتبة من صبر أبي، وعمي، وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر بهم كسرت يا علي ظهري^(١)

٢. وقال السيد الحميري "رحمته الله" في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) :

وله ببدر وقعة مشهورة كانت على أهل الشقاء دماراً

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٣ والعثمانية، قسم نقوض الإسكافي ص ٤٣٢ و (ط دار الكتاب العربي - مصر) ص ٣٣٢ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩٢ و

٣١٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٢١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣١٣ والغدير ج ٧ ص ٢١٢ وسعد السعود ص ١٠٤.

فأذاق شبيبة والوليد منية إذ صبحاه جحفاً جرارا
وأذاق عتبه مثلها أهوى لها عضباً صقيلاً مرهفاً بتارا^(١)

٣. وأجاب بعض بني عامر حسان بن ثابت على أبيات له، بقوله:

ببدر خرجتم للبراز فردكم شيوخ قريش جهرة وتأخروا

فلما أتاهم حمزة، وعبيدة وجاء علي بالمهند يخطر

فقالوا: نعم، أكفاء صدق، فأقبلوا إليها سراعاً إذ بغوا وتجبروا

فجال عليّ جولة هاشمية فدمرهم لما بغوا وتكبروا^(٢)

٤. قد كتب (عليه السلام) في رسالة منه لمعاوية: "فأنا أبو الحسن حقاً، قاتل جدك عتبه، وعمك شبيبة، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة، الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي"^(٣).

١ - ديوان السيد الحميري ص ٢١٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٢٢.

٢ - مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١١٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣١٢ وبحار = الأنوار ج ١٩ ص ٢٩١ وج ٢٠ ص ٢٥٩ وج ٤١ ص ٨٠ و ٩٩ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٠٧ والفصول المختارة ص ٢٩٤ والدر النظيم ص ١٦٦ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٦.

٣ - الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٤٣٥ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٥٣٦ ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ١٣ والغدير ج ١٠ ص ١٥١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٤ ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٣ ص ١٢٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٥ ص ٨٢.

منطق أهل الشرك:

لقد رفض عتبة وشيبة والوليد مبارزة فرسان الأنصار دونما سبب معقول، سوى أنهم لا يروّهم أكفاء لهم، فإنهم ليسوا من قريش.. مع أن من الواضح: أن النسب الشريف إنما يعطي الشرف لمن يستحقه، أما من لا يستحقه، فإنه يوجب لصاحبه المزيد من المؤاخذة، من حيث إنه يفترض به أن يعمل وفق ما يقتضيه هذا الشرف، لكي يحفظه، ويزيده تألقاً.. فإذا كان عمله من موجبات الخزي والعار، فإن انتسابه إلى أهل الشرف يكون حجة عليه، وخزياً، لأنه لم يكن حافظاً له، ولا ملتزماً بالقيم التي يفترض فيه أن يلتزم بها.. من أجل ذلك لم ينفع النسب أبا لهب، ولم ينجح من العذاب الأليم، لأنه هو الذي خان نسبه، وفرط فيه، من حيث أن شركه وانحرافه هو الذي أسقطه عن موقع الكرامة.

وكان إيمان سلمان الفارسي وعمله هو الذي رفعه حتى جعله من أهل البيت النبوي.. وهكذا الحال بالنسبة لابن نوح الذي حرمه الله من أن يكون من أهل نوح، وجعل سائر الناس المؤمنين أقرب إلى نوح منه، فاستحقوا أن يحملهم معه في سفينة النجاة، التي حرم الله ابن نوح من ركوبها، بسبب ضلاله.

وهؤلاء الأنصار قد رفعهم عملهم، وشرفهم قبولهم للحق.. وأسقط أشرف أهل الشرك عنادهم، وجحودهم للحق، وبغيهم على أهله، وحق بهم ما كانوا يعملون.

وقد تحدثنا في فصل وفاة أبي طالب تحت عنوان: تضحيات علي (عليه السلام) تضحيات أبي طالب، عن بعض ما يستفاد من هذه القضية، فليراجع في موضعه، وقالوا:

ونزل في هؤلاء الستة قوله تعالى: (هَذَا نِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ) ^(١).
وفي البخاري: أن أبا ذر كان يقسم: أنها نزلت فيهم ^(٢).

١ - الآية ١٩ من سورة الحج.

٢ - البخاري (ط الميمنية) ج ٣ ص ٤ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٦ و ٢٤٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١١٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣١٠ والعمدة لابن البطريق ص ٣١١ وعين العبرة ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٨٨ وج ٣٦ ص ٢٢ وج ٤١ ص ٧٨ والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ٣٨٦ وصححه هو الذهبي في تلخيصه، والغدير ج ٧ ص ٢٠٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٢١ وتفسير ابن جزى ج ٣ ص ٣٨ وتفسير الخازن ج ٣ ص ٦٩٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٢٥ - ٢٦. وصحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ص ٥١٨ وبهذا قال ابن عباس، وابن خثيم، وقيس بن عباد، والثوري، والأعمش، وسعيد بن جبیر، وعطاء. وراجع: عمدة القاري ج ١٧ ص ٨٨ وج ١٩ ص ٦٩ ومقدمة فتح الباري ص ٣٠١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٩٥ وج ٦ ص ٤١٠ ومجمع البيان ج ٧ ص ١٣٩ وخصائص الوحي المبين ص ٢٤٧ ونور الثقلين ج ٣ ص ٤٧٦ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٤٥٣ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٥٠٧ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٢٧٩ وزاد المسير ج ٥ ص ٢٨٥ والإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٩٠ والدر المنثور ج ٤ ص ٣٤٨ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١٤٩ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١٣٤ وفتح القدير ج ٣ ص ٤٤٣ وعلل الدارقطني ج ٦ ص ٢٦٢ وتهذيب الكمال ج ٢٤ ص ٦٩ ومناقب علي بن أبي طالب " عليه السلام " لابن مردويه ص ٢٨٠ وتنبیه الغافلین لابن کرامة ص ١١٢ ونهج الإيمان ص ٦٢٨ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٢١ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٦.

ونزل في علي، وحمزة، وعبيدة أيضاً قوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) ^(١) ^(٢).
وقيل: نزلت في علي وحده ^(٣).

١ - الآية ٢٣ من سورة الأحزاب.

٢ - الصواعق المحرقة ص ٨٠ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٢٠ وينايع المودة ج ٢ ص ٤٢١ والغدير ج ٢ ص ٥١ وكشف الغمة ج ١ ص ١٨٩.

٣ - المناقب للخوارزمي ص ١٨٨ والكفاية للخطيب ص ١٢٢ وراجع: بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤١٤ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٢٠ وكشف اليقين ص ٣٧١ ونهج الحق ص ١٩٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ٣٦٣.

وثمة عدة آيات أخرى نزلت في بدر في الثناء على أمير المؤمنين (عليه السلام) (١) فراجع.

عبيدة بن الحارث وأبو طالب:

وقد ذكرنا حين الحديث عن وفاة أبي طالب: أن عبيدة بن الحارث بعد أن أحضره علي وحمزة (عليهما السلام) بين يدي رسول الله، استعبر

وقال: يا رسول الله أأنت شهيداً؟!!

قال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي..

فقال عبيدة: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه.

قال: وأي أعمامي تعني؟!!

قال: أبو طالب، حيث يقول:

كذبتهم وبيت الله ييزى مُجَّد ولما نطاعن دونه وناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فقال (عليه السلام): أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟!!

قال: يا رسول الله، أسخطت علي في هذه الحالة؟!!

قال: ما سخطت عليك، بل ذكرت عمي فانقبضت لذلك (٢).

١- مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١١٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣١٠ وغيره.

٢- تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٥ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٥٥ والصافي ج ٢ ص ٢٨١ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٣١.

ثم لم يلبث عبدة ان استشهد بِحجته .

وقد روى كثير من المؤرخين هذه القضية من دون ذكر القسم الأخير منها تعصباً منهم، وكيداً لآل أبي طالب "سلام الله عليه وعليهم".
وعند المعتزلي: أن النبي (صلى الله عليه وآله) استغفر لأبي طالب يومئذ^(١).

وبعد ما تقدم، فإننا نشير إلى الأمور التالية:

غضب النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي طالب:

قلنا في فصل سابق:

أولاً: ان هذا النص يدل على أنه (صلى الله عليه وآله) يعتبر جهاد علي وجعفر جهاداً لأبي طالب نفسه.

ثانياً: انه (صلى الله عليه وآله) يشهد على صحة نوايا علي وجعفر (عليهما السلام).

ثالثاً: إنه إذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يغضب لذكر عمه، ولو بهذا النحو المهذب، والمحدود، فكيف إذاً يكون موقفه ممن يرمي أبا

طالب

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٠ والغدير ج ٧ ص ٣٧٥ والدرجات الرفيعة ص ٥٦.

بالشرك والكفر، ويعتبره مستحقاً للعذاب الأليم في نار الله المؤصدة؟!

فهل تراه سوف يكون مسروراً ومرتاحاً لهذا الكلام، الذي لا سبب له إلا التعصب على أمير المؤمنين (عليه السلام) وإلا السياسة، وما أدراك ما السياسة؟!

بدء النبي (صلى الله عليه وآله) بأهل بيته (عليهم السلام):

وقد رأينا: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد وافق على ارجاع الثلاثة الذين هم من الأنصار، وأمر حمزة وعلياً وعبيدة بن الحارث بالخروج إلى ساحة القتال أولاً^(١) وهم من أهل بيته، وذلك لأن سياسته (صلى الله عليه وآله) كانت تقضي بالبداة بأهل بيته، وقد قال علي (عليه السلام) عن النبي

١- وفي أمالي المرتضى ج ١ ص ٢٧٥ و (ط مكتبة النجفي) ج ١ ص ١٩٩ وإعلام الوري ص ٣٠٨ ومدينة المعاجز ج ٦ ص ٣٥١ و ٣٥٢ وج ٧٥ ص ٣٣٤ وبحار = الأنوار ج ٤٨ ص ١٤٤ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ١٣٨ ونزهة الناظر وتنبية خاطر ص ١٢٥ وإعلام الوري ج ٢ ص ٢٨ وأعلام الدين في صفات المؤمنين للدليمي ص ٣٠٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٤٣١: أن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال لنفيح الأنصاري: (.. وإن كنت تريد المفاخرة، فوالله ما رضي مشركوا قومي مسلمي قومك أكفاءهم، حتى قالوا: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش). وأقول: لا منافاة بين الأمرين، فلعل المشركين لم يرضوا بهم، كما أنه " صلى الله عليه وآله " لم يرغب في البداة بهم.

(ﷺ) :

"كان إذا حضر (احمرّ) البأس، ودعيت نزال، قدم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه، فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وجعفر يوم مؤتة الخ.."^(١).

ونقول:

إن الرسول (ﷺ) حين يبدأ الحرب بأهل بيته، فإنه يكون قد أثبت عملياً، للأنصار وللمهاجرين: أنه ليس فقط لا يريد أن يجعلهم وسيلة للوصول إلى أهدافه، ويدفع بهم الخطر عن نفسه وأهل بيته، وإنما ثمة هدف أسمى، لا بد أن يساهم الجميع في العمل من أجله وفي سبيله. وأنه (ﷺ) شريك لهم في كل شيء، في السراء والضراء، والشدة والرخاء. وهو يضحى ويقدم قبل أن يطلب ذلك من غيره، بل هو يحاول أن يدفع عن غيره، ولو بأهل بيته ما استطاع إلى ذلك

١- راجع: أنساب الأشراف ج ٢ ص ٨١ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٢٨١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٧ وصفين لنصر بن مزاحم ص ٩٠ ونهج البلاغة باب الكتب الكتاب التاسع، والعقد الفريد ج ٤ ص ٣٣٦ ومناقب الخوارزمي ص ١٧٦ ونهج البلاغة ج ٣ ص ١٠ و ١١ وراجع: مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٤ ص ٣١ وجمار الأنوار ج ٣٣ ص ١١٢ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٣٦٠ ونهج السعادة ج ٤ ص ١٨٠.

سبيلاً. مع أنه (ﷺ) قد أخذ البيعة من الأنصار على أن يمنعوه هو واهل بيته مما يمنعون منه أنفسهم واهليهم. وذلك هو ما يجب أن يكون المثل الأعلى لكل صاحب هدف، ولكل سياسي وقائد. فإن عليه أن يقدم هو أولاً التضحيات، فإذا احتاج إلى معونة غيره، كان معذوراً في أن يطلب ذلك منهم، حيث يرى كل أحد أنه صادق ومحق في طلبه ذلك. وليس له أبداً أن يجلس في برجه العاجي، ثم يصدر أوامره للآخرين، دون أن يرى نفسه مسؤولاً عن التحرك في اتجاه الهدف إلا في حدود الكلام وإصدار الأوامر، فإن الكلام لن يكون كافياً في تحقيق الأثر المطلوب في مجال التحرك نحو الهدف، مهما كان ذلك الهدف مقدساً، وسامياً.

سخرية شبية:

لقد رأينا كيف أن شبية يسخر من كون حمزة أسد الله وأسد رسوله، ويعتز بكونه أسد الحلفاء؛ مع أن مقتضى الإنصاف والواقع هو العكس فإن أهداف الحلفاء وضيفة ومشينة، لا سيما وأنها قائمة على أساس المنطق القبلي، والمنافع الخاصة، التي توخاها الحلفاء من حلفهم، ثم هم يتوخونها من حرب بدر وغيرها..

وكلنا يعلم، وهم يعلمون: أن هدف الله ورسوله، وأسد الله من التضحيات التي يقدمونها ليس إلا إسعاد البشرية، ونجاة الإنسانية، إن دنيا وإن آخرة.

الحق الذي جعله الله للمسلمين:

ثم ما هو هذا الحق الذي أشار إليه النبي (ﷺ) في قوله لعلي (عليه السلام) ، وحمزة وعبيدة: "فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم"؟! ليس هو حق حرية الرأي والاعتقاد، وحق الدفاع عن دين الله، وعن النفس المحترمة، وعن المظلومين، ورد البغي والعدوان؟! في مقابل القرشيين الذين عذبوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوهم أموالهم، بل وقتلوا منهم من قتلوا، وبغوا عليهم أقبح البغي؟! والأهم من ذلك كله، حق العمل على إصلاح الناس في عقائدهم، وأخلاقهم وسلوكهم، وممارساتهم. وخلاصة الأمر:

إنهم يريدون أن يعيشوا أحراراً، وأن يدافعوا عن المستضعفين، وعن دين الله في مقابل من يريد الاستمرار في الانحراف والتعدي. وللمظلوم حق في أن يطالب بإنصافه من ظالمه، والباغي عليه، وللجاهل حق في أن يتعلم، وللمنحرف حق في أن يسير في خط الإستقامة، وللناس حق في أن يرشدوا بعضهم إلى ما يصلحهم، ويحسن أوضاعهم، ويصحح مفاهيمهم، ويصقل شخصياتهم، ويبدل الخلق الرديء بالرضي، والجهل بالعلم، والخطأ بالصواب..

فلماذا وبأي حق يريد هؤلاء أن يمنعوا الناس من ممارسة حرياتهم في

السعي إلى الإصلاح، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! ولا سيما بعد أن عرض النبي (ﷺ) على قريش تلك الخيارات المتقدم ذكرها، فلم ترعو عن غيها. بل أرادت إطفاء نور الله، وأصرت على حرب المسلمين وإذلالهم، وملاحقتهم إلى الحبشة، وإلى المدينة.. قال تعالى:

(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) ^(١).

ويلاحظ هنا: أن هذا الحق الذي تحدث عنه النبي (ﷺ) الذي جعله الله لعلي (عليه السلام)، وحمزة، وعبيدة.. ويريد منهم أن يطلبوه هو نفس ما دعا الإمام الحسين (عليه السلام) للخروج حيث قال:

"وأني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً. وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ﷺ)، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر الخ.." ^(٢).

١- الآيتان ٣٩ و ٤٠ من سورة الحج.

٢- بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٩ والعوالم (الإمام الحسين "عليه السلام") ص ١٧٩ والفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ٢١ وحياة الإمام الحسين "عليه السلام" للقرشي ج ١ ص ١١ وج ٢ ص ٢٦٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٦٠٢ ولواعج الأشجان ص ٣٠ والنظام السياسي في الإسلام للقرشي ص ٢٧٣.

عبيدة.. وأدب الخطاب مع النبي (ﷺ) :

قد يقال: إن قول عبيدة لرسول الله (ﷺ) : لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه.. ليس هو الخطاب المناسب مع النبي (ﷺ) .. فلاحظ قوله: عمك!! ولعل هذا هو السبب في غضبه (ﷺ) ..

ونجيب:

لو كان هذا هو السبب فإن النبي (ﷺ) أحلم وأسمى نفساً من أن يغضب لنفسه على إنسان يقترب من لقاء الله، نتيجة لجهاده في سبيل الله..

ولو اقتضت المصلحة ذلك، وأراد تأديب عبيدة، وتعريفه بما هو صواب.. فقد كان يمكنه أن يبين له ما يريد برفق، ومحبة، من دون أن يجرح شعوره..

على أننا نجد: أن بعض من يهمهم النيل من أبي طالب وأهل بيته، وهو مصعب الزبيري قد نقل كلام عبيدة من دون أن تظهر فيه أية حزازة، فهو يقول: إن عبيدة قال: يا رسول الله، ليت أبا طالب حياً حتى يرى مصداق قوله.. إلخ^(١)..

١ - نسب قریش ص ٩٤.

تحريض عمر على علي (عليه السلام) لقتله العاص:

عن سعيد بن العاص: أنه ذهب إلى مجلس عمر، فجلس ناحية، فنظر إليه عمر وقال: ما لي أراك كأن في نفسك عليّ شيئاً؟! أتظن أنني قتلت أباك؟!!

والله لو ددت أنني كنت قاتله، ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، لكنني مررت به يوم بدر، فرأيتته ييحث للقتال كما ييحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أزيدا كالوزغ، فلما رأيت ذلك هبته وزغت عنه.

فقال: إلى أين يا ابن الخطاب؟!!

وصمد له علي فتناوله، فوالله ما رمت مكاني حتى قتله.

قال: وكان علي (عليه السلام) حاضرا في المجلس، فقال: "اللهم غفراً، ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدم، فما لك تهيج الناس عليّ؟!!"

فكف عمر.

قال سعيد: أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب^(١).

ونقول:

١ - راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٤٣ . ١٤٥ . والمعازي للواقدي ج ١ ص ٩٢ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٧٥ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٨٠ وكشف الغمة ج ١ ص ١٨٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٤٨.

هنا أمور تقتضي التأمل والتدبر منها:

١. إن عمر يقرر: أن سعيد بن العاص لم يكن طيب النفس تجاه علي (عليه السلام) . بل كان يحقد عليه لأنه قتل أباه.. وهذا هو حال غيره ممن وترهم علي (عليه السلام) وقتل آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو غيرهم من أفارهم..
 ٢. إن عمر يقر بأنه جَبُنَّ عن مواجهة العاص، لأنه رآه هائجاً للقتال، فإذا كان عمر يمثل القدوة، وبه تكون الأسوة، فمعنى ذلك أن يعترف جميع المقاتلين عن مواجهة طعيمة وأمثاله، ويكونون معذورين في ذلك.. وفي هذه الحالة على الإسلام السلام..
 ٣. إن عمر كان يهيج الناس على علي (عليه السلام) ، ونرى أنه هنا لم ينكر ذلك، رغم مواجهة علي (عليه السلام) له..
 ٤. إن موقف سعيد بن العاص هذا لم يكن لأجل محبته لعلي (عليه السلام) ، ولا لأجل أنه متفان في هذا الدين.. بل لأنه يريد أن يجعل ذلك ذريعة للتبجح، والتخفيف من وطأة العار، بالاستفادة من المنطق العشائري والقبلي.. علماً بأن الوقائع قد أثبتت أن سعيداً لم يكن من محبي علي (عليه السلام) ، ولا من حزيه. بل كان دائماً في الفئة المناوئة له، والحاقدة عليه..
- علي (عليه السلام) وطعيمة بن عدي:
- قال علي (عليه السلام) : رأيت يوم بدر طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف قد علا رأس كئيب، وقد ساواه سعد بن خيثمة، فصدمت له،

ولم آتِه حتى قتل سعداً.

فلما رأني أصعد الكئيب إليه انحط علي . وكان رجلاً جسيماً . فخشيت أن يعلو عليّ، فأنحطت في السهل، فظن أني فررت منه، فصاح بأعلى صوته: فر ابن أبي طالب.

قلت له: قريباً مفراً ابن الشتراء. وهذا مثل تضربه العرب.

فلما استوت قدماي بالأرض وقفت له، فأنحدر إلي، وأهويت إليه، فسمعت قائلاً من خلفي: طأطئ رأسك.

فجعلت رأسي في صدر طعيمة، وإذا برق من السيف، فأخذت قحف طعيمة. فسقط ميتاً، وإذا هو حمزة بن عبد المطلب^(١). ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

١ . إن مراده (عليه السلام) من قوله: أنه راقبه، واتجه نحوه: أنه بدأ يشق طريقه بين الرجال إليه.. فلم يصل إليه حتى قتل سعد بن خثيمة، وليس المراد أنه انتظره حتى يقتل سعداً ثم قصده.

٢ . إن علياً (عليه السلام) يتعامل مع خصومه في ميدان القتال، بل

١ - راجع: المغازي للواقدي ج ١ ص ٩٢ و ٩٣ ونسب قريش لمصعب الزبيرى، والنص له، وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٤٥ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٣٨ والفايق في غريب الحديث ج ٢ ص ١٨١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٨٣.

وفي سائر الشؤون وفق المعايير البشرية والعادية.. ولأجل ذلك سعى (عليه السلام) لاستدراج طعيمة من موقعه إلى موقع آخر، لتصبح فرص الإيقاع به أكبر وأوفر.

وهذا أسلوب حربي ناجح وصحيح، لا بد لكل مهتم بالشأن العسكري من اعتماده، فيسعى لاستدراج عدوه إلى الموقع الذي يناسبه. أي أن علياً (عليه السلام) لم يكن يتصرف مع خصومه بوسائل غيبية، لا تقع تحت اختيارهم. لأن ذلك قد يكون ظلماً لهم.. لما يتضمنه من الإلجاء والقهر لهم..

٣ . يلاحظ: أن معركة بدر كانت هي المعركة الأقوى تأثيراً على قريش، لأنها ألحقت بها هزيمة قاسية، وكبدتها خسائر كبيرة، ومرغت أنفها برغام الذل والمهانة..

وقد ظهر: أن علياً (عليه السلام) في هذه المعركة هو الفارس الأوحده، الذي حصد بسيفه ذي الفقار أكثر فرسان قريش. ونداء طعيمة بن عدي بفرار علي يشير إلى أن طعيمة كان قد أدرك وعانين بطولات علي (عليه السلام) .. وعرف أنه قد أنزل بقريش ورجالاتها ضربات ساحقة وماحقة.. كما أن هذا النداء دل على أن هذه المواجهة لم تكن في أول المعركة، بل كانت في أواخرها، أي بعد ظهور أثر علي (عليه السلام) في تلك الحرب..

وهذا ما يفسر فرح طعيمة بما ظنه فراراً لعلي (عليه السلام) من

المواجهة معه .

- ٤ . قوله (عليه السلام) : فأهويت إليه .. لا يريد أنه أهوى إليه بسيفه . بل يريد أنه أهوى إليه بنفسه وهجم عليه، واشتبك معه . فسمع نداء حمزة قبل أن يباشر القتال معه، فأثر أن ينيل حمزة ثواب المشاركة في قتل ذلك الكافر المحارب لله ورسوله .
- وليس في الرواية ما يدل على أن علياً (عليه السلام) قد عجز عن قتل طعيمة، فاحتاج إلى المعونة .
- ٥ . وهذا التصرف من علي وحمزة كأنه بمثابة رد الجميل من حمزة لعلي (عليه السلام) حين مبارزته لشيبة، حيث اشتبك حمزة مع شيبة، فلما قتل علي (عليه السلام) الوليد جاء فوجدهما على تلك الحال، فقال لعمه طاطى رأسك يا عم، فخفض رأسه، فضرب (عليه السلام) شيبة، فأطار قحف رأسه ..
- غير أن الفرق بين الموردين هو أن حمزة لم يكن قادراً على حسم الأمر مع قرنه، أما علي (عليه السلام) فلم يكن قد بدأ معه الصراع، لأن حمزة قد ظهر في لحظة شروع الصراع بين علي (عليه السلام) وقرنه، كما أظهرته الرواية .
- ٦ . ويبقى لنا تحفظ على هذه الرواية، من حيث أنها ذكرت أن الذي قتل طعيمة هو حمزة .. مع أنه سيأتي في الفصل التالي قول المؤرخين: إن علياً (عليه السلام) هو الذي قتل طعيمة .. ففعل علياً (عليه السلام) قد طعنه بما أوجب قتله ثم جاءت ضربة حمزة لتذهب بقحف رأس طعيمة .. أو أن حمزة ضربه على قحف رأسه، فقشر جلده .. ثم أجهز عليه علي (عليه السلام) .

درع علي في حروبه:

ورغم كل انجازات علي (عليه السلام) في بدر وأحد، والخذق وخيبر، وحنين، وسواها، فإنهم يقولون:

١. إنه (عليه السلام) كان يبرز إلى أعدائه في درع لا ظهر لها^(١)، فإذا سئل عن ذلك، يقول: إذا مكنت عدوي من ظهري، فلا أبقى الله

عليه إن أبقى علي^(٢).

١- راجع: بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٥٨ وج ٤١ ص ٦٧ عن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٩٦ - ٢٩٨ والتبيين في شرح الديوان [أي ديوان المتنبي] (ط الحلبي بمصر) ج ٣ ص ٣١٢ ومعالم الفتن لسعيد أيوب عن مروج الذهب ج ٢ ص ٢٤٠ وعن كنز العمال ج ١١ ص ٣٤٧ وعن عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٣٠ و ١٣١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٨٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للريشهري ج ٩ ص ٤٢٨ و ٤٢٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٢٥ وج ١٨ ص ٧٨ و ٧٩ وج ٣١ ص ٥٦٩ والنهية في غريب الحديث ج ٤ ص ٣ ولسان العرب ج ١ ص ٦٥٨ والفايق في غريب الحديث للزمخشري ج ٣ ص ٦٣ ومجمع البحرين ج ٣ ص ٤٤٥ وتاج العروس ج ٢ ص ٣٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٤٠.

٢- المستطرف (ط القاهرة) ج ١ ص ١٩٩ وتاج العروس (ط القاهرة) ج ٨ ص ١٥٠ والموفقيات ص ٣٤٣ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج ٣ ص ٨٦٣ وج ٤٢ ص ٣٤٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج ٩ ص ٤٢٩ وشرح إحقاق الحق ج ٨ ص ٣٢٥ وج ١٨ ص ٧٩ وج ٣٢ ص ٣٣٩.

٢ . عن ابن عباس قال: والله ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلف من علي، ولقد كنت أراه يخرج حاسر الرأس إلى الرجل الدارع فيقتله^(١).

صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

عن علي (عليه السلام) في حديث: "ولقد كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله (ﷺ)، وعمي حمزة، وأخي جعفر، وابن عمي عبيدة على أمر وفيما به لله عز وجل ورسوله، فتقدمني أصحابي، وتخلفت (خلفت) بعدهم لما أراد الله عز وجل، فأنزل الله فينا: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)^(٢): حمزة، وجعفر، وعبيدة، وأنا والله

١ - الرياض النضرة (ط الخانجي بمصر) ص ٢٢٥ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي بالقاهرة) ص ٩٨ و ٩٩ وأرجح المطالب (ط لاهور) ص ١٧٨ والمناقب لابن المغازلي وعن وسيلة المال، وراجع: جواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٦٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج ٦ ص ١٤٢ و ج ٩ ص ٤٢٨ وشرح إحقاق الحق ج ٣ ص ٣٢٤ و ج ١٨ ص ٨٠ و ج ٣٢ ص ٥١٦.

٢ - الآية ٢٣ من سورة الأحزاب.

المنتظر"^(١).

وعن عبد الله بن الحسن، عن آبائه قال: "وعاهد علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب (عليه السلام) أن لا يفروا من زحف أبداً، فماتوا كلهم"^(٢)، فأنزل الله عز وجل: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا..) الآية"^(٣).
ونلاحظ هنا ما يلي:

١ - إن هذا العهد الذي صدقه هؤلاء - كما أفادته الآية - لا بد أن يكون قد حصل قبل حرب بدر.. بل في أوائل البعثة، قبل سفر جعفر إلى الحبشة،

١ - البرهان (تفسير) ج ٦ ص ٢٤٠ و ٢٣٧ والخصال ج ١ ص ٣٦٤ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣٧٦ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٤٤٩ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٣ ص ١٤١ وشرح الأخبار ج ١ ص ٣٥٣ والإختصاص للمفيد ص ١٧٤ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٧٣ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٣٤٩ وج ٣٥ ص ٤١٠ وج ٣٨ ص ١٧٨ وج ٦٤ ص ١٩٠ ومستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٤٥٩ والأصفي ج ٢ ص ٩٨٨ والصافي ج ٤ ص ١٨١ وج ٦ ص ٣١ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٥٨ وغاية المرام ج ٤ ص ٣١٩.

٢ - لعل الصحيح: فماتوا.

٣ - تأويل الآيات ج ٢ ص ٤٤٩ والبرهان (تفسير) ج ٦ ص ٢٣٧ عنه، وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤١١ وغاية المرام ج ٤ ص ٣١٧.

لأنه لم يرجع منها إلا حين فتح خيبر..

والمفروض: أن الآية نزلت في مناسبة حرب بدر.

ومع غض النظر عن ذلك، فإن حمزة قد استشهد في حرب أحد، وعبيدة استشهد في بدر، وهما قبل خيبر بسنوات، فلم يجتمع جعفر وعلي وحمزة وعبيدة إلا قبل الهجرة إلى الحبشة..

٢. إن ذلك يدلنا على ان المراد بقوله تعالى (صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) . أن هؤلاء الأربعة كانوا يعلمون بأنهم مقدمون على حروب هائلة، وكانوا بصدد تدبير أمرها، والتهيؤ والإستعداد لها.. وأن استعدادهم للإستشهاد كان منذ ذلك الحين..

٣. إن هذه الآية قد نزلت . على ما يظهر . بعد حرب مؤتة، لأن الروايات تصرح: بأن الذي ينتظر هو خصوص علي (عليه السلام) ^(١)،

ولو

١ - تأويل الآيات الظاهرة ج ٢ ص ٤٤٩ ح ٨ و ٩ والخصال ج ١ ص ٣٦٤ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣٧٦ ونجح السعادة ج ٨ ص ٣١٩ ودعائم الإسلام ج ٢ ص ٣٥٤ وغاية المرام ج ٤ ص ٣١٧ وراجع ج ٢ ص ٣٧٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٢٨٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٦٣ والبرهان (تفسير) ج ٦ ص ٢٣٧ و ٢٤٠ وراجع: مصباح البلاغة (مستدرک == نصح البلاغة) ج ٣ ص ١٤١ والإختصاص للمفيد ص ١٧٤ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٧٣ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٣٤٩ وج ٣٥ ص ٤٠٨ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٨ وج ٣٨ ص ١٧٨ وج ٦٤ ص ١٩٠ ومستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٤٥٩ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٥ وتفسير الألوسي ج ٢١ ص ١٧٢ وجوامع الجامع ج ٣ ص ٥٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ١٤٥ والأصفي ج ٢ ص ٩٨٨ والصافي ج ٤ ص ١٨٠ وج ٦ ص ٣١ و ٣٢ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٥٨ وينايع المودة ج ١ ص ٢٨٥.

كانت قد نزلت في بدر لكان المقصود بمن ينتظر: علي وحمزة وجعفر، لأن حمزة وجعفر أكانا لا يزالان علي قيد الحياة في بدر وبعدها. فإن كان المقصود بمن ينتظر هو خصوص علي، فالمفروض: أن يكون الثلاثة الآخرون قد قضوا نحبهم بنص الآية الشريفة.. الملائكة في صورة علي (عليه السلام) ، لماذا؟!:

وفي بدر أمد الله المسلمين بالملائكة، لتثبيت قلوبهم، وليكونوا بشرى لهم. وكان الملائكة يتشبهون بأمر المؤمنين علي (عليه السلام) ^(١). ولا صحة لقولهم: إنهم كانوا يتشبهون بالزبير بن العوام، الذي كان يلبس عمامة صفراء، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر ^(٢).

-
- ١ - مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٧٩ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٨٥ و ج ٤١ ص ٩٩ عنه، والفصول المختارة ص ٢٩٥ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨١٢ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٣٠٤ و ٣٠٦ والدرجات الرفيعة ص ٤٠٥.
- ٢ - المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٦٣١ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٧٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ١٩ و ج ٧ ص ٥٩٣ و ج ٨ ص ٤٧٩ ومسند ابن راهويه ج ٣ ص ٨٨٣ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٥١٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٥٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤١٩ و ج ١٣ ص ٢٠٩ وتفسير القرآن للصنعاني ج ١ ص ١٣١ وجامع البيان ج ٤ ص ١١٠ و ١١١ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٧٥٥ وتفسير الثعلبي ج ٣ ص ١٤٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٣٨٨ والمحرر الوجيز ج ١ ص ٥٠٤ وجامع الأحكام القرآن ج ٤ ص ١٩٦ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤١١ والدر المنثور ج ٢ ص ٧٠ وفتح القدير ج ١ ص ٣٧٩ وتفسير الألوسي ج ٤ ص ٤٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٦ و ج ٣ ص ١٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٦ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٨٤ والعثمانية للجاحظ ص ٥٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٤٩٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٦ و ج ٣ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٤٣ و ٤٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٤٢٥.

نعم، لا صحة لذلك:

أولاً: لما روي: من أنه كان على الملائكة عمائم بيض^(١).

١ - دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٧٠ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٦ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٠٨ و ٣٢٤ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٨٢ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٧٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٣٠٨ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٨٣ وتفسير الثعلبي ج ٣ = ص ١٤٤ وتفسير السمعي ج ١ ص ٣٥٤ وج ٢ ص ٢٥٠ وتفسير البغوي ج ١ ص ٣٤٨ وج ٢ ص ٢٣٣ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤١٠ وتفسير الجلالين ص ٨٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٧٠ وتفسير أبي السعود ج ٢ ص ٨١ وتفسير الألوسي ج ٤ ص ٤٦ والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٦٨ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٤٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٤٢٥ و ٤٢٦ وتاريخ خليفة بن خياط ص ١٦٠ والدر النظيم ص ١٥٣.

ثانياً: إن مجرد التشابه في لون العمامة - لو صح - لا يعني التشبه بصاحبها.. فلعل ذلك قد جاء على سبيل الصدفة، فثمة جيش يلبس فيه الناس عمامم مختلفة الألوان، فلا بد أن تتشابه عمامم الملائكة مع واحدة منها..

ثالثاً: ما هي خصوصية الزبير في حرب بدر، أو في غيرها لكي تشبهه به الملائكة؟! إلا إن كان المقصود مكافأته على حربه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، الذي كان إمامه، وله في عنقه بيعة، وقد قاتله الزبير وهو له ظالم وكان علي (عليه السلام) إمام زمانه..

رابعاً: إن التشبه بعلي كان يهدف إلى إلقاء الرعب في قلوب المشركين، وطمأننة قلوب المؤمنين، وفقاً لقوله تعالى: **(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ)** (١).

ولا يكفي في هذا التشبه في لون العمامة الصفراء أو البيضاء، بل لا بد من اتخاذ الملاك صورة علي (عليه السلام) حتى يرى أهل العسكر أن علياً (عليه السلام) معهم أينما التفتوا أو توجهوا، لتحصل طمأنينة القلوب

١ - الآية ١٠ من سورة الأنفال.

بقربه منهم، وأن نصرته مبدولة لهم، فعليهم ألا يخشوا شيئاً ما دام قريباً منهم..
وقد ظهرت لهم تضحياته وبطولاته بقتل الفرسان الثلاثة، حيث قتل الوليد، وشارك في قتل عتبة وشيبة.. وكان يهد الناس هدأً حتى قتل
نصف قتلى المشركين، وشارك في قتل النصف الآخر.
علي (عليه السلام) يتعاهد النبي (صلى الله عليه وآله) في بدر:
عن علي (عليه السلام) ، قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما فعل.
قال: فجئت، فإذا هو ساجد يقول: يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم، لا يزيد عليها، فرجعت إلى القتال.
ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً.. فذهبت إلى القتال.
ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، حتى فتح الله عليه^(١).

١- المستدرک للحاکم ج ١ ص ٢٢٢ ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٤٧ والسنن الکبری للنسائي ج ٦ ص ١٥٧ والطبقات الکبری لابن سعد ج ٢ ص ٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٨٣ وإمتاع الأسماع ج ١٢ ص ١٣٨ والسيرة النبوية لابن کثیر ج ٢ ص ٤١٨ والعمدة لابن البطریق ص ٣٠٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧ والبدایة والنهاية ج ٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ و (ط دار إحياء التراث = = العربي) ج ٣ ص ٣٣٦ عن البيهقي، والنسائي في اليوم والليلة، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٠٢ عنه، وکنز العمال ج ٥ ص ٢٦٧ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٣٩٩ عن الحاکم، والبخاري، وأبي يعلى والفریابی.

ونقول:

١. إن ذلك لا يعني أنه (ﷺ) لم يشارك المقاتلين في الحضور في ساحة القتال، لتقوية قلوبهم، والشد على أيديهم، فلعله شارك في ذلك في بداية الحرب، ثم في أوقات مختلفة بعد ذلك.
٢. إن حراجة الموقف، وضرام الحرب، التي كانت أصعب حرب، حيث بلغت القلوب الحناجر، لم يشغل علياً (عليه السلام) عن تعاهد رسول الله (ﷺ)، والإطمئنان على حاله..
- وقد كان هذا هو حال علي (عليه السلام) في سائر المواطن، فقد كان هو الذي يهتم بحفظ رسول الله (ﷺ)، وحراسته، وكان (عليه السلام) يتولى حراسة (ﷺ)، وهو في بيته، وكان له أسطوان في المسجد سمي أسطوان علي بن أبي طالب، أو أسطوان المحرس كان (عليه السلام) يجلس في صفحتها التي تلي القبر، مما يلي باب رسول الله (ﷺ) لحراسته^(١).
٣. إنه (ﷺ) في تلك اللحظات الحرجة جداً يلجأ

١- وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٤٨ عن تاريخ المدينة المنورة (ط مصر) ج ١ ص ٣١٨، وج ١٨ ص ١٦٩ عن روضة المحتاجين لمعرفة قواعد الدين (ط دار الفكر بيروت) ص ٣٨٢.

للدعاء والإبتهاال إلى الله، لأنه هو الذي يهب النصر، ويمنح أهل الحق اليقين والصبر، ويشملهم بعناياته وألطفه، فبدون ذلك لا ينال النصر، ولا يتحقق الظفر.

٤ . إن أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كان أعظم الناس عناءً في تلك الحرب، حتى لقد قتل نصف قتلى المشركين، وشارك في قتل النصف الآخر.. لا يعطي لنفسه أي دور في النصر الذي تحقق، بل هو ينسب النصر والفتح والظفر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
بينما نجد الآخرون يحبون أو فقل يريدون أن يمدحوا بما لم يفعلوا ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

الفصل الرابع: بعد أن وضعت الحرب أوزارها..

قتلى المشركين في بدر:

وقتل في بدر سبعون رجلاً من المشركين، وأسر سبعون، وكانت ضربة هائلة للشرك والمشركين، وقد أثرت نتائج حرب بدر، وأحد والخندق وغيرها في قلوب القرشيين، حتى قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتيبة تواصلت خوفاً منه. ونظر إليه رجل وقد شق العسكر، فقال: قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي (عليه السلام). وعلى كل حال، فقد سماه الكفار يوم بدر بـ "الموت الأحمر" لعظم بلائه ونكايته (٢).

١ - محاضرات الأدباء للراغب ج ٣ ص ١٣٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٣١ عنه.

٢ - مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٦٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٤٢ و ج ٣ ص ٤٣ و ٦٧ و بحار الأنوار ج ٤١ ص ٦٣ و ج ٣٩ ص ٥٨ و ج ٣٥ ص ٦٢ والفضائل لشاذان ص ١٧٥ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٢٠.

كما أن الشعبي يقول: "كان علي أشجع الناس، تقرر له بذلك العرب"^(١).

وقد تقدم حين الحديث عن مبارزة علي وحمزة وعبيدة، لعتبة وشيبة والوليد قول بعض بني عامر في جواب حسان، وقول هند في رثاء قتلاها.

وقال أسيد بن أبي إياس يجرض مشركي قريش على علي (عليه السلام) :
في كل مجمع غاية أخزاكم جذع أبر على المذاكي القرح
لله دركم ألما تنكروا قد ينكر الحر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ذبحاً وقتلاً قعصة لم يذبح
أعطوه خرجاً واتقوا تضريبه فعل الذليل وبيعة لم تريح
أين الكهول وأين كل دعامة في العضلات وأين زين الأبطح
أفناهم قعصاً وضرباً يفتري بالسيف يعمل حده لم يصفح^(٢)

١- نور القبس ص ٢٤٩ وأنساب الأشراف (ط مؤسسة الأعلمي) ص ١٢١.

٢- أسد الغابة ج ٤ ص ٢٠ و ٢١ والإصابة ج ١ ص ٢٣١ وج ٤ ص ٤٦٥ وترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٥ والإرشاد للمفيد ص ٤٧ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ٧٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٢١ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٨٢ وج ٤١ ص ٩٧ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٨٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ١٨٨ وتيسير المطالب ص ٥٠ ورسائل المرتضى ج ٤ ص ١٢٠ و ١٢٤ والفصول المختارة = ص ٢٩٢ والميزان ج ٩ ص ٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٥ وبنابيع المودة ج ١ ص ٤٧٠.

والجذع: الأسد.

والمذاكي: الخيل بعد مضي خمس سنين من عمرها.

وضربه فأقعصه: أي قتله مكانه.

ولم يصفح: أي لم يضرب بصفح السيف.

وقال عبد الله بن رواحة:

ليهن علياً يوم بدر حضوره ومشهده بالخير ضرباً مرعبلاً
وكائن له من مشهد غير خامل يظل له رأس الكمي مجدلاً^(١)
إلى آخر الأبيات.

ولماذا لا يسمى (عليّاً) بالموت الأحمر؟! وهو الذي تقول في حقه بعض الروايات: إن جبرائيل نادى بين السماء والأرض في بدر:
لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار
ويقال: إن هذه المناداة كانت في أحد أيضاً كما سيأتي.

١ - مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣١٢ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩٢ وأعيان الشيعة ج ٨ ص ٥٢.
والمربل: المقطع.

وقد قلنا: إنه (عليه السلام) قتل من المشركين في بدر نصف السبعين، وشارك في قتل النصف الآخر^(١).
وقد عد الشيخ المفيد ستة وثلاثين بأسمائهم ممن قتلهم علي (عليه السلام)^(٢).
وقال ابن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي^(٣).
وقال الطبرسي، والقمي: إنه قتل منهم سبعة وعشرين^(٤).

-
- ١- راجع: نصح الحق الموجود في ضمن دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٣ و (ط دار الهجرة . قم) ص ٢٤٨. ولم يعترض عليه ابن روزبهان بشيء. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص ٤١٩ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٦ وشرح نصح البلاغة للمعزني ج ١ ص ٢٤ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٠٦ وسفينة النجاة للتكاياي ص ٣٦٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ٢٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٥٨ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٧٣ وكشف اليقين ص ١٢٦.
 - ٢- الإرشاد ص ٤٣ و ٤٤ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ٧٠ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٧٧ و ٣١٦ عنه، وإعلام الورى ص ٧٧ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ٦٢ والميزان ج ٩ ص ٣٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٨٣ وكشف الغمة ج ١ ص ١٨٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٤٦٨ وراجع: منهاج الكرامة ص ١٦٥.
 - ٣- مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٢٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣١٢ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩١ و ج ٤١ ص ٨١ والميزان ج ٩ ص ٣٣.
 - ٤- راجع: مجمع البيان ج ٤ ص ٤٩٣ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٧١ و (ط مؤسسة دار الكتاب . قم) ج ١ ص ٢٦٩ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٤٠ و ٢٥٩ و ٢٩١ = و ج ٤١ ص ٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٢٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣١٢ ومستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٣٠٠ والصافي ج ٢ ص ٢٨٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٣٥ والميزان ج ٩ ص ٣٣ و ١٣٨.

وقال أسامة بن منقذ: قتل أربعة وعشرين سوى من شارك فيهم^(١).
وقال الشبلنجي: قال بعضهم: "إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة من قتل يوم بدر سبعون رجلاً، قتل علي منهم أحداً وعشرين،
تسعة باتفاق الناقلين، وأربعة شاركه فيهم غيره، وثمانية مختلف فيهم"^(٢).
وعد الواقدي: اثنين وعشرين؛ ثمانية عشر منهم قتلهم علي، وأربعة مختلف فيهم^(٣).
وعد المعتزلي، وابن هشام (مع التلفيق بينهما): تسعة وعشرين قتلهم علي، أو شرك في قتلهم من أصل اثنين وخمسين^(٤).

-
- ١ - لباب الآداب ص ١٧٣ وراجع: بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٦٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١٢ والميزان ج ٩ ص ٣٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٨٤.
 - ٢ - نور الأبصار ص ٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٥٧ و ٣٥٨ وراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٣٠٤.
 - ٣ - مغازي الواقدي ج ١ ص ١٤٧ - ١٥٢.
 - ٤ - راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٧٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٠٨ - ٢١٢ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٦٥ - ٣٦١.

وهذا الإختلاف ليس ذا أهمية، فإن من يذكر هؤلاء أسماءهم إنما هم في حدود الخمسين، أو أقل، أو أكثر بقليل^(١). فنجد علياً قد قتل من هؤلاء نصفهم أو أزيد. ولو أنهم اهتموا إلى أسماء الباقين، لارتقى عدد من يسمونه من قتلاه (عليه السلام) إلى نصف السبعين، أو زاد، فكيف بمن شرك في قتلهم. نعم.. هذه هي الحقيقة، ولكن المؤرخين، الذين جاؤوا بعد هؤلاء قد ذكروا من عددهم هؤلاء في ضمن الخمسين، واعتبروهم جميع من قتل من السبعين، مع أنهم بعض من قتل. ويلاحظ: أن البعض يعرف ممن قتلهم علي (عليه السلام) أشخاصاً، لا يعرفهم البعض الآخر، وبالعكس. وذلك أيضاً يؤيد صحة ما ذكرناه وذكره الشيخ المفيد وغيره ويؤكدده.

وعلى كل حال، فقد كان ممن قتلهم أمير المؤمنين (عليه السلام) في بدر: طعيمة بن عدي، وأبو حذيفة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد بن العاص، الذي أحجم الناس عنه، ونوفل بن خويلد، وكان من شياطين قريش، والعاص بن هشام بن المغيرة^(٢).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١٢ وابن هشام، والواقدي وغيرهم.

٢ - المنطق ص ٤٥٦ والأغاني (ط ساسي) ج ٣ ص ١٠٠. وراجع: شرح الأخبار ج ١ ص ٢٦٣ وإعلام الوری ج ١ ص ٣٧٦ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٦٩ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ٦١ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٧٦ والميزان ج ٩ ص ٣٢ والدر النظيم ص ١٥٢.

رواية مكذوبة:

وزعم البعض: أن عمر بن الخطاب هو الذي قتل العاص بن هشام بن المغيرة^(١).

ويروون: أن عمر قال لسعيد بن العاص: إنه ما قتل أباه، وإنما قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة^(٢).

١- شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٦٨ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٢ ص ٥٢٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٥ وإمتاع الأسماع ج ٦ ص ٢٣٩ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٤٣١ وج ٤ ص ١٥٤٠ وأسد الغابة ج ٥ ص ٦٤ والإصابة ج ٦ ص ٤٢٥ والمعارف لابن قتيبة ص ١٥٦ وكتاب المحبر لابن حبيب البغدادي ص ١٧٥ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٦٥ وأسباب نزول الآيات ص ٢٧٨ والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٧١ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٣٠٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٣٤٦ وراجع: نسب قريش لمصعب ص ٣٠١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٢٨ والوافي بالوفيات ج ١٣ ص ١٥٣ وج ٢٦ ص ٧١.

٢- الإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٦٢٢ وأسد الغابة ج ٢ ص ٣١٠ والإصابة ج ٣ ص ٩٠ وج ٦ ص ٤٢٥ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٩٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٨٩ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٢ ص ٤٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ١١٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٣١ وشرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤٥ ونسب قريش لمصعب = ص ١٧٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٣٥٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨١ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣.

وهو كلام لا يصح؛ فإن العاص هذا ليس خالاً لعمر؛ لأن حنتمة لم تكن بنت هشام بن المغيرة، وإنما هي بنت هاشم بن المغيرة، وقد غلّط العلماء من قال: إنها بنت هشام^(١).

١ - تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٦٣ وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٥ وإكمال الكمال ج ٣ ص ٢١١ وتهذيب الكمال ج ٢١ ص ٣١٧ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٨٠ وفتح الباری ج ٧ ص ٣٤ و ج ٩ ص ٢٤٧ وعمدة القاري ج ١ ص ١٨ و ج ١٦ ص ١٩٢ و ج ٢٢ ص ٩٠ والآحاد والمثاني ج ١ ص ٩٥ والإستيعاب (ط دار الجیل) ج ٢ ص ٥٥٠ و ج ٣ ص ١١٤٤ والفايق في غريب الحديث ج ١ ص ٢٨٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٦٣ و ج ١٥ ص ٢٣ و ج ١٨ ص ٢٩٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٦٥ و ج ٨ ص ٢٦٧ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٨١ وطبقات خليفة ص ٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ١٠ و ١١ و ١٣ و ٢٥٨ و ٣٩٣ وأسد الغابة ج ٤ ص ٥٢ و ٥٧ والإصابة ج ٤ ص ٤٨٤ وكتاب المخبر لابن حبيب ص ١٣ وكتاب المنمق لابن حبيب ص ١٣٠ والعثمانية ص ٣٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٦٥٤ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٣٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٦٧ والوفاي بالوفيات ج ٢٢ ص ٢٨٣ وإمتاع الأسماع ج ٦ ص ١٥٠ وراجع: بحار الأنوار ج ٣١ ص ٩٩ و ١١٧.

وقال ابن حزم: إن هاشماً لم يعقب سوى حنتمة^(١).

وقال ابن قتيبة: "وأُم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، ابنة عم أبيه"^(٢).

بل لقد قيل: إن حنتمة هي بنت سعيد بن المغيرة^(٣).

واحتمال البعض أن يكون مراده: أنه قتل هذا الذي هو من قبيلة أمه، وبعدُ الناس كل أفراد قبيلة الأم أخوالاً، كما قال الشاعر:

ولو أُنِي بليت بهاشمي خؤولته بني عبد المدان

هذا الإحتمال خلاف الظاهر المتبادر من كلمة "خالي"، فإن إطلاق كلمة أخوال على القبيلة لا يلزم منه صحة أن يقول الشخص:

فلان خالي، وهو ليس بخاله حقيقة، فيصح قولهم: بنو مخزوم أخوالنا، ولا يصح أن يقال: فلان المخزومي خالي، لأن هذا الثاني ينصرف إلى

الخؤولة الحقيقية. في حين أن ظاهر الأول هو إطلاق الكلام على سبيل التوسع.

١ - جمهرة أنساب العرب ص ١٤٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٨ ص ٢٩٥.

٢ - الشعر والشعراء ص ٣٤٨ وخزانة الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٣٠.

٣ - تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٠ وإكمال الكمال ج ٣ ص ٢١١.

بل لقد أنكر البعض أن تكون حنتمة مخزومية أصلاً، وقالوا: إن هاشماً وجدها مرمية في الطريق، فأخذها، ورباها، ثم زوجها الخطاب، وإنما نسبت إلى هاشم بالتبني والتربية، كما هي عادة العرب^(١).

ما هو الصحيح إذًا؟!

ولعل الأقرب إلى الإعتبار، والمنسجم مع الوقائع، والأجواء السياسية، والأحداث، هو الرواية التي ذكرها المعتزلي، والشيخ المفيد، وملخصها:

أن عثمان بن عفان، وسعيد بن العاص، حضرا عند عمر أيام خلافته؛ فصار عثمان إلى مجلسه الذي يشتهي، ومال سعيد إلى ناحية، فنظر إليه عمر وقال: ما لي أراك معرضاً؟! كأني قتلت أباك؟!
إني لم أقتله، ولكن قتله أبو حسن^(٢).

وفي رواية المفيد، أنه قال: فلما رأيت ذلك (يعني هياجه للحرب) هبته، وزغت عنه، فقال: إلى أين يا ابن الخطاب؟! وصمد له علي فتناوله، فوالله ما فارقت مكاني حتى قتله.

وكان علي (عليه السلام) حاضراً، فقال: اللهم غفراً، ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدم؛ فما لك تهيج الناس علي؟! فكف عمر.

فقال سعيد: أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي

١ - دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٥٦ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٩٩.

٢ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٤٤ و ١٤٥.

بن أبي طالب^(١).

فهذه الرواية التي تتضمن نجاة عمر على يد علي (عليه السلام) ، وليس فيها: أنه قتل خاله العاص بن هشام، والذي لم يكن خالاً له .
كما قلنا . أو على الأقل يشك كثيراً في هذه الحؤولة .

وستأتي هذه الرواية مع بعض الكلام فيها في عهد عمر ..

آثار بدر على أهل البيت وعلي (عليه السلام) :

سنذكر في الفصل الذي نتحدث فيه عن السقيفة، نصوصاً تدل على موقف قريش من الأنصار، وسيوضح: أن لبدر وسائر حروب

النبي مع قريش، بمشاركة الأنصار الأثر البالغ فيما حدث ..

ونكتفي هنا بالقول:

إن النبي (صلى الله عليه وآله) حين كان يقدم علياً وأهل بيته في بدر وفي غيرها، كان من جملة ما يهدف إليه، حفظ هذا الدين، والتخفيف من

حقد قريش على الأنصار، وأن يكون أهل بيته هم الدرع الواقى لسائر المسلمين، بما فيهم الأنصار من حقد قريش وكيدها، الذي سوف

تمارسه ضدهم في مستقبل الأزمان.

١ - الإرشاد للمفيد ص ٤٦ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ٧٥ و ٧٦ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٨٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٨٣ وكشف الغمة ج ١ ص ١٨٥ .

وتولى علي (عليه السلام) مهمة لجم طغيان قريش في بدر وغيرها وان كان هذا قد جعل قريشاً تصب كل حقدتها على علي وأهل بيته، رغم أنها تتظاهر بالإسلام، وتحاول الحصول على الامتيازات عن طريقه، ورغم النصوص القرآنية والنبوية الأمرة لها وجميع البشر بمحبتهم ومودتهم.. ولكنها سلبية لا بد من تحملها، اذ ما حيلة المضطر إلا ركوبها، لأن البديل عن ذلك اقسى، واصعب وأشر وأضر على الاسلام واهله.

وقد أخرج الحاكم: أن العباس جاء إلى رسول الله (ﷺ) وهو مغضب، فقال (ﷺ): ما شأنك؟! فقال:

يا رسول الله، ما لنا ولقريش؟! فقال:

ما لك ولهم؟! قال:

يلقى بعضهم بعضاً بوجوه مشرقة، فإذا لقونا لقونا بغير ذلك.

قال: فغضب رسول الله (ﷺ)، حتى استدرّ عرق بين عينيه، فلما أسفر عنه، قال: والذي نفس محمد بيده، لا يدخل قلب امرء

الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله إلخ^(١).

١ - المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٣٣ وتلخيصه للذهبي بمامش نفس الصفحة، وراجع: المعجم الكبير للطبراني ج ٢٠ ص ٢٨٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٦٩ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عمن تقدم. وراجع: ذخائر العقبى ص ١٩٣ ومسنند أحمد ج ٤ ص ١٦٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٦ ص ٣٠٠ والمنتخب من ذيل المذيل ص ٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ١١٣.

ولقد شكى أمير المؤمنين (عليه السلام) من قريش: أنهم قطعوا رحمه ومالأوا عليه عدوه^(١). كما سنشير إليه في واقعة أحد وسواها إن شاء الله تعالى ..

وعن ابن عباس: قال عثمان لعلي في عهد عمر: "ما ذنبي إذا لم تحبك قريش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً، كأن وجوههم سيوف (أو شنوف) الذهب"^(٢).

هذا وقد ظل الأحلاف يتحينون الفرص للأخذ بثارات بدر وأحد،

١ - وإذا كانت الضربات متوجهة إلى القائد المعصوم؛ فإنه يستطيع أن يتحمل، وأن يصمد، ويواجهها بالحكمة والروية، وبما أوتيته من علم وعقل وصبر. أما غيره فلربما يصعب عليه تحمل الصعاب، أو اتخاذ الموقف المناسب لتجاوزها؛ = ولأجل هذا نجد النبي (صلى الله عليه وآله) كان يؤثر أن يكون علي (عليه السلام) هو المتعرض لقريش دون غيره.

٢ - معرفة الصحابة لأبي نعيم الورق ٢٢ (مخطوط في مكتبة طوب قپوسراي) رقم ٤٩٧/١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٢٢ والنخبة العسجدية ص ١٣١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٠٢ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٦١ وحياة الإمام الحسين "عليه السلام" للقرشي ج ١ ص ٢٣٥ ومناقب أهل البيت "عليه السلام" للشيرازي ص ٣٧٥.

وغيرهما. وقد فشلوا في حرب الجمل وصفين، إلى أن سنحت لهم الفرصة . بزعمهم . في واقعة كربلاء المشهورة، ثم ما أعقبها من ظلم واضطهاد لأهل البيت وشيعتهم.

ولم يستطع يزيد الطاغية أن يخفي خزيه وكفره، باعلانه أنه أراد الثأر لأشياخه في بدر، فتمثل بأبيات ابن الزبير؛ وأضاف إليها إنكاره الوحي والنبوة، فقال . وهو ينكت ثانيا سيد شباب أهل الجنة بمخصرته:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من أشياخهم وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(١)

١ - مقتل الحسين للمقرم ص ٤٤٩ و ٤٥٠ واللهوف ص ٧٥ و ٧٦ و (ط أنوار الهدى . قم) ص ١٠٥ وروضة الواعظين ص ١٩١ والمسترشد ص ٥١٠ والإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٤ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٦١ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٤٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٣ و ١٥٧ و ١٦٧ و ١٨٦ والعوالم (الإمام الحسين "عليه السلام") للبحراني ص ٣٩٧ و ٤٠١ و ٤٠٣ و ٤٣٣ ولواعج الأشجان ص ٢٢٦ والغدير ج ٣ ص ٢٦٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ٨٦ والصافي ج ٣ ص ٣٨٨ ونور الثقلين ج ٣ ص ٥١٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١٠ ص ١١٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ١٨٧ وبلغات النساء لابن طيفور ص ٢١ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٩ ونبايع المودة ج ٣ ص ٣١ و ٤٢ و ٢٤٤ والنصائح الكافية ص ٢٦٣ وحياة الإمام الحسين "عليه السلام" للقرشي ج ٢ ص ١٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٨٠.

وليراجع ما قاله قتادة لخالد القسري حول بدر^(١). وفتادة من أكابر محدثي البصرة، وهو مشهور ومعروف.

مهجع أم حمزة سيد الشهداء؟!

ويقولون: إن "مهجع" مولى عمر بن الخطاب أول من خرج للحرب في بدر، بعد اكتمال الصفوف، فقتل.. وقال النبي (ﷺ)

يومئذ: مهجع سيد الشهداء^(٢).

١- بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩٨ و ٣٠٠ والكافي ج ٨ ص ١١١-١١٣.

٢- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٤٠٣ وراجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٥١ وتخریج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٣٩ وتفسير مقاتل ج ٢ ص ٥١٠ وتفسير الثعلبي ج ٧ ص ٢٧٠ وأسباب نزول الآيات ص ٢٢٩ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٤٦٠ وتفسير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٥٠٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٢٤ والبحر المحیط ج ٧ ص ١٣٥ وتفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٩ وتفسير الألوسي ج ٢٠ ص ١٣٥ وعجائب الآثار ج ١ ص ٤٤٣.

وهو كلام باطل. لما يلي:

أولاً: إن أول من خرج بعد أن اصطفيت الصفوف علي وحمزة، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وذلك لمبارزة عتبة وشيبة والوليد، كما تقدم..

ثانياً: إن حمزة هو سيد الشهداء، لا مهجع، ولا غيره. وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في شعره، فقال:

مُحَمَّدُ النَّبِيِّ أَخِي وَصَهْرِي وَحَمَزَةُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ عَمِي^(١)

١ - روضة الواعظين ص ٨٧ والصراط المستقيم للبيضاوي ج ١ ص ٢٧٧ وكنز الفوائد ج ١ ص ٢٦٦ و (ط مكتبة المصطفوي . قم) ص ١٢٢ ومصباح البلاغة = (مستدرک نهج البلاغة) ج ٤ ص ١١٨ وأقسام المولى للمفيد ص ٣٨ والفصول المختارة ص ٢٨٠ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٦٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٩ و بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٣١ وج ٣٨ ص ٢٣٨ و ٢٨٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٩٨ و ٣٥٦ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٦٤ و ٤١١ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٤٥٩ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص ٥٤٢ ونهج السعادة ج ٤ ص ١٦١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٢ ونظم درر السمطين ص ٩٧ وكنز العمال ج ١٣ ص ١١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٥٢١ والوفاي بالوفيات ج ٢١ ص ١٨٤ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٩ وتنبية الغافلين لابن كرامة ص ٨٣ ومطالب السؤل ص ٦١ ونهج الإيمان ص ٤٩٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ١٨٧ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ١٣١ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٠١ وينابيع المودة ج ٢ ص ٤٢٠ وج ٣ ص ١٤٣ والغدير ج ٦ ص ٢٥ - ٣٣ عن مصادر كثيرة جداً.

وعنه (ﷺ) : " حمزة سيد الشهداء " (١) .

١ - المستدرک للحاکم ج ٢ ص ١٢٠ و ج ٣ ص ١٩٥ و ١٩٩ و مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٦٦ و ٢٧٢ و ج ٩ ص ٢٦٨ و فتح الباري ج ٧ ص ٢٨٢ وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٥٧ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٤ ص ٢٣٨ والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٥١ ومسنند أبي حنيفة ص ١٨٧ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٨ و ٣٦٩ والإستيعاب (هامش الإصابة) ج ١ ص ٢٧٣ و (ط دار الجیل) = = ج ١ ص ٣٧٢ والإصابة ج ١ ص ٣٥٤ و (ط دار الکتب العلمیة) ج ٢ ص ١٠٦ والوافي بالوفيات ج ١٣ ص ١٠٤ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٣ ص ٥٥ وذخائر العقبى ص ١٧٦ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٧٥ و ج ٤٣ ص ٩٨ و ج ٦٥ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ٤٨٦ والعهد المحمدية ص ٨٠١ وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٣٢ وشرح مسند أبي حنيفة ص ١٨٤ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٤٣ وتفسير الثعلبي ج ٢ ص ١٢٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٩٧ والدرجات الرفيعة ص ٦٨ وكتاب المجروحين لابن حبان ج ١ ص ١٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٥ ص ٤١٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٧٣ والدر النظيم ص ٧٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٩٠ .

ثالثاً: إن مجرد أن يكون أحد أول مقتول في المعركة لا يجعله سيد الشهداء، بل لهذه السيادة مقوماتها، من العلم بالله، والمعرفة بآياته، والتقوى، والخلوص، والإخلاص. وغير ذلك..

رابعاً: لو كان مجرد السبق للشهادة يعطي هذه السيادة، لكان ينبغي أن تكون هذه السيادة لياسر أو لسُميية والدي عمار، الذين قتلا من جراء تعذيب قريش لهما..

خامساً: قيل: إن أول قتيل من المسلمين في بدر هو عمير بن الحمام^(١)، أو حارثة بن سراقة^(٢).

-
- ١- الإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٢١٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٠٨ والإصابة ج ٣ ص ٣١ و ج ٤ ص ٥٩٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١ = و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٤٠٣ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٦١ والميزان ج ٩ ص ٣٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٧ و ج ٣ ص ٥٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٢٥٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٣ وعيون الأثر ج ١ ص ٣٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٥ و ٤٥ و الدر المنثور ج ٣ ص ١٦٧ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٤٣ .
- ٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٢٥٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٢٥ و ٢٠٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٤ و عيون الأثر ج ١ ص ٣٣٨ و ٣٦٤ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٩٤ و ١٢٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ١ ص ٣٠٧ والجرح والتعديل للرازي ج ٣ ص ٢٥٣ والوافي بالوفيات ج ١١ ص ٢٠٦ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٦١ والميزان ج ٩ ص ٣٥ والإكمال في أسماء الرجال ص ٥٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٤٠٤ وراجع: كتاب الأوائل للطبراني ص ١٠٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٥٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٨ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٥٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤١٥ .

قتل أسيرين:

وقد ورد: أن أسرى المشركين كانوا سبعين أو واحداً وسبعين رجلاً، فسار النبي (ﷺ) عائداً من بدر إلى المدينة، فلما بلغ الصفراء أمر أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) بقتل أسيرين منهم، هما: عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث^(١)، الذي كان يعذب المسلمين في مكة.

١- راجع: بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٥٩ وج ٣٤ ص ٣٢٢ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٦٩ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٣٥ وج ٨ ص ١٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٩٨ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٢ ص ٤٧١ والأغاني (ط أساسي) ج ١ ص ١٠ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٤٦ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦٤ ومعجم ما استعجم ج ٣ ص ٩٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٧٣ وعبود الأنبياء في طبقات الأطباء ص ١٦٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٧٢ وراجع: المعارف لابن قتيبة ص ١٥٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٥٨ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٥١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٢ ص ١٠٣ وج ٦٣ ص ٢٢١ وتحذيب الكمال ج ٣١ ص ٥٤ والإصابة ج ٦ ص ٣٤٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ١١٦.

وأضاف بعضهم: المطعم بن عدي أيضاً^(١).

أما عقبة، فكان له موقف سيء تجاه رسول الله (ﷺ) في مكة، فأوعده رسول الله (ﷺ) إن وجده خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقه صبراً^(٢)، وهكذا كان.

وواضح: أن ضرب عنق رجلين من قريش صبراً على يد علي (عليه السلام)، سيثير حفيظة مشركي مكة، وسيؤجج حقد قريش على علي (عليه السلام)، وكل من يمت إليه بصلة..

وهذا أمر سيحصل، حتى لو كانت قريش تعلم أن البغي والعدوان قد

-
- ١ - العلل ومعرفة الحديث ج ١ ص ٣ والمحرم الوجيز لابن عطية ج ٢ ص ٥٢٠ والتبيان لطوسي ج ٥ ص ١١١ وجامع البيان ج ٩ ص ٣٠٥ وتفسير الثعلبي ج ٤ ص ٣٥١.
 - ٢ - الدر المنثور ج ٥ ص ٦٨ وفتح القدير ج ٤ ص ٧٤ وتفسير الألوسي ج ١٩ ص ١١ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٨٠ و ١٠٩ و ١٢ ص ١٦٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٤٦٨ و ٤ ص ١٨ و ٦٤ والغدير ج ٨ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ عن ابن مردويه، وأبي نعيم في دلائل النبوة بإسناد صححه السيوطي.

أتى من قبل ذينك المقتولين، لأن قريشاً لا تنطلق في مواقفها من موازين عادلة ومنصفة، لا عقلية ولا عقلانية، بل موازينها، ومنطقاتها في الحب والبغض، والسلم والحرب هو مصالحها، وعصبياتها، وغرائزها وأهواؤها كما هو معلوم..

وقد ظهرت آثار هذا الحقد بعد وفاة رسول الله (ﷺ) بأجلى صورها..

ويكفي أن نذكر بقول محاربي الإمام الحسين للحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء: "نقاتلك بغضاً منا لأبيك".

وتقدم أن يزيد لعنه الله يقتل ريحانة رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة، ثم يتمثل بأبيات ابن الزبيري:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

الخ...

الذي جرأ علياً (عليه السلام) على الدماء:

قال ابن الجوزي:

روى أحمد في مسنده: أنه تنازع أبو عبد الرحمن السلمي، وحيان بن عبد الله، فقال أبو عبد الرحمن لحيان: قد علمت ما الذي جرأ

صاحبك . يعني علياً..

قال: ما هو؟!

قال: قول النبي (ﷺ): لعل الله اطلع إلى أهل بدر.

فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم.

وهذا سوء فهم من أبي عبد الرحمن، حين ظن أن علياً (عليه السلام) إنما قاتل وقتل، اعتماداً على أنه قد غفر له.

وينبغي أن يعلم: أن معنى الحديث: لتكن أعمالكم المتقدمة ما كانت، فقد غفرت لكم.

فأما غفران ما سيأتي فلا يتضمنه ذلك. أترأه لو وقع من أهل بدر . وحاشاهم . الشرك؛ إذ ليسوا بمعصومين، أما كانوا يؤاخذون به؟!

فكذلك المعاصي.

ثم لو قلنا: إنه يتضمن غفران ما سيأتي، فالمعنى: أن مآلكم إلى الغفران.

ثم دعنا من معنى الحديث، كيف يحل لمسلم أن يظن في أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فعل ما لا يجوز اعتماداً على أنه سيغفر له؟!

حوشي من هذا. وإنما قاتل بالدليل المضطر له إلى القتال، فكان على الحق.

ولا يختلف العلماء: أن علياً (عليه السلام) لم يقاتل أحداً إلا والحق مع علي.

كيف وقد قال رسول الله (ﷺ): اللهم أدر الحق معه كيفما دار.

فقد غلط أبو عبد الرحمن غلطاً قبيحاً، حملة عليه أنه كان عثمانياً^(١) إنتهى .

قاتل عقبة علي (عليه السلام) لا سواه:

ذكروا: أن عاصم بن ثابت بن الأفلح هو الذي قتل عقبة بن أبي معيط صبراً، بعد منصرفهم من بدر بأمر من رسول الله (ﷺ)^(٢) .
ولكننا قلنا: إن علياً (عليه السلام) هو الذي ضرب عنق عقبة كما نص

١- صيد الخاطر ص ٣٨٥.

٢- المواهب اللدنية ج ١ ص ١٠٢ و ٨٧ والمغازي للواقدي ج ١ ص ١٤٨ و ٢٨٢ و ١٣٨ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٤٧ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٩٩ و ١٦٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٤٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٢٣ وج ٩ ص ٦٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٣٥ و ١٨٠ و ٢٠٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٥٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٣٧٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٩ و ١١٦ وج ٨ ص ٣٤٥ وج ١٠ ص ٥ = وج ١٢ ص ١٦٣ وج ١٤ ص ٣٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٧٣ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٩٨ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٢ ص ٤٧١ وعيون الأثر ج ١ ص ٣٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٦٤ وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٦٩ .

عليه المؤرخون^(١).

ويدل على ذلك أيضاً:

١ . أن معاوية قال للوليد بن عقبة، يخرضه على علي (عليه السلام) في صفين: ".وأما أنت يا وليد، فإنه قتل أباك بيده صبراً يوم بدر"^(٢).

٢ . قال الإمام الحسن (عليه السلام) للوليد بن عقبة: "وأما أنت يا وليد بن عقبة، فوالله، ما ألومك أن تبغض علياً، وقد جلدك في الخمر ثمانين

١ - راجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٥٥ والبحر المحيط ج ٦ ص ٤٥٤ وتفسير مقاتل ج ٣ ص ١٩٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج ٣ ص ٦٨ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٦٩ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٦٠ والصافي ج ٢ ص ٢٨٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٣٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٤٦٩ وج ٤ ص ٦٤ والغدير ج ٨ ص ٢٧٣ والدر المنثور ج ٥ ص ٦٩ عن عبد الرزاق في المصنف، وابن المنذر وغيرهما، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٥ وعيون الأثر ج ١ ص ٣٤٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ١١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٩٨ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٢ ص ٤٧١ بلفظ قيل.

٢ - الفتوح لابن أعمش (ط حيدرآباد) ج ٣ ص ١٩١ و (ط دار الأضواء) ج ٣ ص ١١٦ وصفين للمنقري ص ٤١٧ (وفيه: يخرض على علي في الجمل)، وهو غلط، = وتذكرة الخواص ج ١ ص ٤١٠ والمناقب للخوارزمي ص ٢٣٤ . ٢٣٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١١٨ والغدير ج ٢ ص ١٥٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٣١٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٠٣.

جلدة، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر" (٨).

ويحق للإمام الحسن (عليه السلام) أن يقول هذا للوليد، فإن حقه لأجل قتل أبيه لا مبرر له، لأن أباه إنما قتل لأنه حارب الله ورسوله، جحوداً منه، وبغياً وظلماً.

وأما جلده في الخمر، فإنما هو عقوبة إلهية، لجرأته على الله تعالى، ومعصيته الموجبة لحد من حدوده..

وهو الذي أقدم على هذه المعصية بإختياره.

فلا لوم على علي (عليه السلام) في كلتا الحالتين، لأن اللوم في الحالة الأولى على أبيه، وفي الحالة الثانية عليه أن يلوم نفسه.

سهم طلحة وسهم علي (عليه السلام) من غنائم بدر:

وزعموا: أنه (عليه السلام) ضرب لطلحة وسعيد بن زيد

١- الإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٧ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ٤١٢ و بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٨١ والغدير ج ٨ ص ٢٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٣٧ وشرح
نصح البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٢٩٢ والصافي ج ٤ ص ١٥٩ و ج ٥ ص ٤٩ و ج ٦ ص ٥١٦ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٣١ والميزان ج ١٦ ص ٢٧١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٧٥
وغاية المرام ج ٤ ص ١٣١ و ١٣٤ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٢١٤ و ج ٢٦ ص ٥٤٣.

بسهميهما من غنائم بدر، مع أنهما لم يحضراها، بل كان قد أرسلهما ليتجسسا له خير العير، فعادا إلى المدينة، فوجداه قد خرج إلى بدر، فخرجا إليها، فوجداه قد عاد منها^(١).

وزعموا أيضاً: أنه (ﷺ) ضرب لعثمان بسهمه في بدر، حيث تخلف عنها لتمريض زوجته بزعمهم^(٢).

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢١٦ و ٣٨٣ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٦١٥ و ٧٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ٦٩ وتحذيب الكمال ج ١٠ ص ٤٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧ و ١٨٥ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٨١ ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٦ والوفائي بالوفيات ج ١٦ ص ٢٧١ والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٨٠ و ١٨٥ و ج ٢ ص ٣٤١ والمعارف لابن قتيبة ص ١٥٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٤١ وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٠٢ و ج ١ ص ٩٨ والتنبيه والإشراف ص ٢٠٥.
٢- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٦ و ١٤٧ و ١٨٥ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٨١ و ٤٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٨ و ١٠ و ١٥ و ٣٤ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٥٦ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٢٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥٦ والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٧٦ و ١٨٥ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٢٦ و ج ٩ ص ٨٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٧٠ و ٣٩٥ و ٤١٩ و ج ٥ ص ٣٣٠ و ج ٧ ص ٢٣١ و عيون الأثر ج ١ ص ٣٥٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٧٠ و ٥٠٩ و ٥٤٥ و ج ٤ ص ٦١٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ١١١ و ج ١١ ص ٣٤ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ ومعرفة السنن والآثار ج ٦ ص ٥٣١ وكتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ٣٥٣ والمبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ١٨ وذخائر العقبى ص ١٦٣ والإستدكار لابن عبد البر ج ٥ ص ٥ والمعارف لابن قتيبة ص ١٩٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ٩٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٢٤ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٨ ص ٣٤١.

ونقول:

أولاً: إن مناشدة علي (عليه السلام) لأهل الشورى تتضمن تكذيباً لهذه الدعوى، فقد قال (عليه السلام) لهم، وفيهم طلحة، والزبير، وعثمان، وابن عوف، وسعد بن أبي وقاص:

أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر، وسهم في الغائب؟!

قالوا: لا^(١).

ثانياً: إن إرسال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طلحة وسعيد بن زيد ليتجسسا خبر العير لم يثبت، لأن ثمة نصاً يقول: إنهما كانا في تجارة إلى

١ - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمدي) ج ٣ ص ٩٣ والالآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٢ والضعفاء الكبير ج ١ ص ٢١١ و ٢١٢ كنز العمال ج ٥ ص ٧٢٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٣٥ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٧٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٥ ص ٦٨٥ وج ٣١ ص ٣٢٤.

الشام.. فضرب لهما بسهميهما بعد رجوعه من بدر، وبعد رجوعهما من الشام^(١).

والسؤال هو: ما المبرر لأن يضرب لهما (ﷺ) بسهميهما دون غيرهما ممن كان غائباً عن بدر؟!

وكيف رضي المسلمون بإعطائهما، وعدم إعطاء غيرهما ممن تخلف لعذر من مرض، أو تجارة، أو لذي نفعة أخرى لهم؟! ..

ثالثاً: وليس للنبي (ﷺ) أن يتسامح بإعطاء الناس من أموال غيرهم.. لأن الغنائم ملك للمقاتلين، والشاهد على ذلك أنه

(ﷺ) لم يعط المؤلفه قلوبهم غنائم حنين إلا بعد أن رضي أصحابه..

١ - معرفة السنن والآثار ج ٦ ص ٥٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٣٩ و ٣٤٠ والتنبيه والإشراف ص ٢٠٥ ولكنه ذكره بلفظ قيل، والإصابة ج ٢ ص ٢٢٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٣ ص ٤٣٠ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٢٢٩ و (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٧٦٥ وراجع: المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٤٣٧ و ٤٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٩٣ و ج ٩ ص ٥٨ و عيون الأثر ج ١ ص ٣٥٨ والتنبيه والإشراف ص ٢٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٥٤ و ج ٢١ ص ٦١ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٧ و ٦٨ والآحاد والمثاني ج ١ ص ١٧٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ١٤٨ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤١٥ و ٤١٩ والتاريخ الكبير للبخاري ج ٣ ص ٤٥٢ والتعديل والتجريح للباقي ج ٣ ص ١٢١٧.

رغم أن النصر إنما تحقق على يد علي (عليه السلام) كما سيأتي.

رابعاً: قال الخطابي والسيوطي: إنه لم يضرب لأحد غاب عن بدر بسهم في الغنائم إلا لعثمان.. ونحن نوافقهما على إنكارهما ذلك بالنسبة لطلحة وسعيد بن زيد.. ونخالفهما في ادعائهما أن ذلك كان لعثمان. ونزيد في تأكيد عدم صحة ذلك:

١. تقدم آنفاً: أنه لا خصوصية لعثمان، دون سائر من غاب لعذر.

٢. تقدمت مناقشة علي (عليه السلام) لأهل الشورى وفيهم طلحة وعثمان، وسواهما: بأنه (عليه السلام) لم يضرب بسهم لغائب سواه..

٣. بعض الروايات تقول: إنه تخلف عن بدر لأنه كان مريضاً بالجدري^(١)، لا لتمريض زوجته فهل ضرب النبي (عليه السلام) لكل من تخلف لمرضٍ، بسهمه وأجره أيضاً.

٤. لقد عيّر عبد الرحمان بتخلفه عن بدر، حيث أرسل إليه مع الوليد بن عقبة: أني لم أفر يوم عينين (أي يوم أحد)، ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنة عمر.

فخبر الوليد عثمان، فزعموا: أنه اعتذر عن تخلفه يوم بدر بتمريضه

١- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٥ و ١٤٦ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٨٠ والوافي بالوفيات ج ٢٠ ص ٢٨.

ويمثل ذلك اعتذر ابن عمر . كما يقولون . لرجل كان يوجه لعثمان نفس هذا الاعتراض^(٢) .

-
- ١ - مسند أحمد ج ١ ص ٦٨ وراجع ص ٧٥ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٢٦ و ج ٩ ص ٨٣ وكنز العمال ج ١٣ ص ٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٢٥٨ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٢٨ والأوائل ج ١ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ ومحاضرات الأدباء للراغب المجلد الثاني ص ١٨٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٨٩ عن أحمد، وابن المنذر، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٢٣١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٥ ص ٢١ و ٢٢ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٧٨ والغدير ج ٩ ص ٣٢٧ و ج ١٠ ص ٧٢ عن أحمد، وابن كثير، وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٧ . وراجع: المعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ٨٨ .
- ٢ - المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٩٨ وسنن الترمذي (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٢٩٣ ومسند أحمد ج ٢ ص ١٠١ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٢٣١ عن البخاري، والغدير ج ١٠ ص ٧١ عن الحاكم، وص ٧٠ عن أحمد، وصحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٢ و (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٢٦١ و ٢٦٣ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٤٠٢ و ٤٠٣ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ٢٠٨ ج ٨ ص ٢٣٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ٨٥ ومناقب أهل البيت "عليه السلام" للشيرازي ص ٣٦٧ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٠٦ وعون المعبود ج ٧ ص ٢٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٨٤ وفلك النجاة ص ١٨٨ .

ولكن هذا العذر من ابن عمر ومن عثمان غير مقبول، إذ لو كان صحيحاً لم يغفل عنه عبد الرحمان بن عوف، ولم يرسل إليه تلك الرسالة.

وحتى لو كان ذلك صحيحاً، فإنه لا يكون فضيلة لعثمان إلا اذا ضرب له النبي (ﷺ) بسهم، ولو فعل ذلك لكان فضيلة كبرى لعثمان، ولا يقدم ابن عوف على تعيينه بما هو فضيلة له.

على أن ادعاء أن زوجة عثمان كانت بنت رسول الله (ﷺ) .. غير معلوم. كما أثبتناه في كتبنا العديدة التي صدرت لنا حول هذا الموضوع.

٥ . إن ابن مسعود قد رد على شتيمة عثمان له حين جاء من الكوفة بقوله: "لست كذلك، ولكن صاحب رسول الله (ﷺ) يوم بدر، ويوم بيعة الرضوان"^(١).

فابن مسعود يعرض بعثمان في خصوص هذين الموردين، ولم يذكر غيرهما. وما ذلك إلا لأن عثمان غاب عنهما..

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ٤٣ وأنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٦ والغدير ج ٩ ص ٣ عنه، وص ٤ عن الواقدي، وبحار الأنوار ج ٣١ ص ١٨٩ وحياة الإمام الحسين "عليه السلام" للقرشي ج ١ ص ٣٧٧ والشافي في الإمامة ج ٤ ص ٢٨١ وسفينة النجاة للتنكابني ص ٢٦٣.

سهم الحاضر والغائب:

ويبقى سؤال: إنه كيف يعطي النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) سهماً في الغائب؟!

ونجيب:

بأنه يمكن أن يكون إعطاؤه سهماً في الغائب، لأنه لا يغيب إلا إذا كان في مهمة دفاع وقتال، أو مقام يكبت الله به العدو.

أو أنه أعطاه (ﷺ) من سهمه الذي كان يرده على المقاتلين.

هذا بالإضافة إلى أنه (عليه السلام) لم يتخلف إلا في غزوة تبوك.

وقد نص الزمخشري في فضائل العشرة: على أنه (ﷺ) جلس في المسجد يقسم غنائم تبوك، فدفعت لكل واحد منهم سهماً ودفعت

لعلي كرم الله وجهه سهمين.

ثم ذكر اعتراض زائدة بن الأكوع، وجواب النبي (ﷺ) له بأن جبرائيل كان يقاتل في تبوك، وأنه قد أمره بأن يعطي علياً

(عليه السلام) سهمين^(١).

١ - راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٢ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١٩ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٣ ص ٢٨١ و

٢٨٢ و ج ٣١ ص ٥٦٥.

ونلاحظ هنا: أن جعفر بن أبي طالب كان له أيضاً سهم في الحاضر، وسهم في الغائب، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: ضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بدر لجعفر بن أبي طالب بسهمه، وأجره^(١). وذلك لا ينافي ما تقدم بالنسبة لعلي (عليه السلام)، فإن الذين ناشدهم علي (عليه السلام) لم يكن فيهم غير علي له هذه الخصوصية، فلا يمنع أن تكون لجعفر أيضاً. الذي لم يكن معهم آنئذٍ، لأنه قد استشهد في مؤتة.

النبي (صلى الله عليه وآله) يمرض علياً (عليه السلام) :

وفي طريق العودة من بدر إلى المدينة فقد المسلمون رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فوقفوا، فجاء (صلى الله عليه وآله) ومعه علي (عليه السلام)، فقالوا: يا رسول الله، فقدناك؟! فقال: إن أبا الحسن وجد مغصاً في بطنه، فتخلفت عليه^(٢).

-
- ١- سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٦ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٢ وبغية الباحث لابن أبي أسامة ص ٢١٥.
 - ٢- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٤٤٤ وذخائر العقبى ص ٩٤ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٢٣٢ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٦٩ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤٣ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٤١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٥٣٧ و ج ٢١ ص ٦٤٦ و ٦٤٧ و ج ٣١ ص ١٥٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٦١ و بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢٩٩ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣ ص ١١٠١ ونبایع المودة ج ٢ ص ١٨٤.

ونقول:

- ١ . إنه (ﷺ) يتحدث عن علي (ﷺ) بطريقة تشير إلى التكريم والإحترام، حيث ذكره بكنيته فقال: "إن أبا الحسن وجد مغصاً إلخ..". وما ذلك إلا لأنه يقدّر فيه إيمانه، وجهاده، وفضله، وخصاله وتضحياته في سبيل الله تبارك وتعالى.
- ٢ . إنه (ﷺ) يقوم بنفسه على أمير المؤمنين (ﷺ) ، حتى إن ذلك حمله على التخلف عن الجيش كله.. ليعرف الناس كلهم عظيم محبته له، ومزيد اهتمامه به، وحرصه على سلامته، لما له من مكانة عند الله وعند رسوله.. ولولا ذلك لكان يمكنه أن يوصي بعض من معه بالإهتمام بشأن علي، ومراعاة حاله..
- ٣ . ويبدو لنا أن علياً والنبي صلوات الله عليهما وعلى آلهما كانا متلازمين في حلتهما وترحالهما.. ولم يكن الآخرون يهتمون بملازمة رسول الله (ﷺ) في مسيرهم ومسيره، ولأجل ذلك تخلف عنهم حتى فقدوه.. ولو كانوا حافين به لكانوا معه حين يسير، وحين يقف، وحين يتخلف على علي (ﷺ) ، ولا يحتاجون إلى السؤال. ولعل هذه الحالة قد خفت بعد ذلك، وصاروا يلازمونه ويكونون معه أو بالقرب منه. وإن كنا قد رأيناها تعود إلى الظهور حين كان النبي "صلى

الله عليه وآله" في طريقه من مكة إلى غدير خم بعد حجة الوداع، حيث تركوه وحده هو وعلي (ﷺ) ، حتى طالبهم (ﷺ) بذلك، كما سيأتي في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ..

علي (ﷺ) : أبو بكر أشجع الناس:

وزعموا: أن علياً (ﷺ) سئل عن نفسه: هل هو أشجع الناس؟! فرفض ذلك، وقرر أن أبا بكر أشجع الناس، لأنهم جعلوا للنبي (ﷺ) عريشاً في بدر، وقالوا:

من يكون مع رسول الله لثلاً يهوي إليه أحد من المشركين؟!
"فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله، لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه، فهو أشجع الناس"^(١).

١- كنز العمال ج ١٢ ص ٥٢٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٦ و ٣٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٧ وقال: فيه من لم أعرفه، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤١٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧١ و ٢٧٢ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٣٣١ عن البزار، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٦١ عنهما، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٩٤ والفتح المبين لدحلان (بماتش سيرته النبوية) ج ١ ص ١٢٢ وعن الرياض النضرة ج ١ ص ٩٢ والصوارم المهترقة ص ١١٩ والغدير ج ٧ ص ٢٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ١٢٩ وفيض القدير ج ٥ ص ٣٥٥ والدر المنثور ج ٥ ص ٣٥٠ وفتح القدير ج ٤ ص ٤٩٠ .

قال الحلبي الشافعي: "وبه يرد قول الشيعة والرافضة: أن الخلافة لا يستحقها إلا علي، لأنه أشجع الناس"^(١). ثم استدل هو ودحلان على أشجعية أبي بكر: بأن النبي (ﷺ) قد أخبر علياً (عليه السلام): بأنه يقتل علي يد ابن ملجم، فكان إذا دخل الحرب، ولاقى الخصم، علم أنه لا قدرة له على قتله، فهو معه كالنائم على فراشه. أما أبو بكر؛ فلم يُخبر بقاتله، فكان إذا دخل الحرب لا يدرون هل يقتل أو لا، ومن هذه حالته يقاسي من التعب ما لا يقاسيه غيره. ومما يدل على شجاعته: تصميمه على حرب مانعي الزكاة، مع تثبيط عمر له عن ذلك. وأنه حين توفي الرسول (ﷺ) طاشت العقول، وأقعد علي، وأخرس عثمان، وكان أبو بكر أثبتهم. وأما كونه لم يشتهر عنه في الحروب ما اشتهر عن علي؛ فلأن النبي (ﷺ) كان يمنعه عن مبارزة الشجعان^(٢).

١- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٩٥.

٢- راجع فيما تقدم: الفتح المبين لدحلان (بمأش سيرته النبوية) ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٩٥ والجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٢٢٢ والوافي بالوفيات ج ١ ص ٦٦ ونور الأبصار ج ١ ص ١٠٧ والغدير ج ٧ ص ٢١٣.

ويقول دحلان: "إن الشجاعة والثبات في الأمر هما الأهمان في أمر الإمامة، لا سيما في ذلك الوقت المحتاج فيه إلى قتال أهل الردة وغيرهم"^(١).

وقالوا أيضاً: "أبو بكر كان مع النبي (ﷺ) على العريش يوم بدر، مقامه مقام الرئيس، والرئيس ينهزم به الجيش، وعلي مقامه مقام مبارز، والمبارز لا ينهزم به الجيش"^(٢).

ونقول:

لقد فندنا هذه المقولات في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)^(٣)، ونكتفي هنا بما يلي:

-
- ١ - الفتح المبين لدحلان (بهامش سيرته النبوية) ج ١ ص ١٢٤-١٢٦ وراجع: الصوارم المهرقة ص ١٢٢.
 - ٢ - تاريخ بغداد للخطيب ج ٨ ص ٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٠ ص ٤٠٠ والمنظم لابن الجوزي ج ٦ ص ٣٢٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١٤ ص ٢١ وراجع: العثمانية للجاحظ ص ١٠ والغدير ج ٧ ص ٢٠٧ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٥٨٥ و ج ٩ ص ٤٣٥.
 - ٣ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ج ٦ ص ١٠٦-٩٥ في فصل: أبو بكر في العريش، وشجاعة أبي بكر.

١ - إن فرار أبي بكر في المواطن المختلفة يدل على عدم صحة ما نسب إلى علي (عليه السلام) ، أو ادعاه الآخرون من شجاعة لأبي بكر، ولو في أدنى مستوياتها.. فقد فر في أحد، وقريظة، وخيبر، وحنين، وذات السلاسل، وقد قال المعتزلي:

وليس بنكرٍ في حنين فراره ففي أحد قد فرّ قدماً وخيبراً
كما أنه لم يجرؤ على مبارزة عمر وبن عبد ود في الخندق.

٢ - بالنسبة لقولهم: إن النبي (ﷺ) كان يمنعه من القتال، نقول:

هل منعه من القتال في خيبر وقريظة، وحنين وأحد، وغيرها من الوقائع؟! وأين هي النصوص التي تثبت ذلك؟! وفي أي المصادر هي؟! غير أنهم يدعون: أن النبي (ﷺ) قال له: أمتعنا بنفسك في حرب بدر، حين صار يتظاهر بأنه يريد مبارزة ولده^(١). وذكر الأسكافني المعتزلي: أنه إنما قال له ذلك، لأنه لم يكن أهلاً

١ - راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٨٦ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ عن الحاكم عن الواقدي. والبداية والنهاية (ط مكتبة المعارف) ج ٤ ص ٨٣ و (ط) دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٩٥ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٠ والغدير ج ٧ ص ٢١٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨١.

للحرب، وملاقاتة الرجال^(١).

٣. أين كانت شجاعته حين حزن في الغار، وهو يرى الآيات الباهرات التي تبشر بحفظ الله تعالى لنبيه.. وحيث كان علي (عليه السلام) وهو علي فراش النبي (صلى الله عليه وآله) محاطاً بسيوف الحقد التي يراد لها أن تسفك دمه.

٤. إنهم يقولون: إن سعد بن معاذ وجماعة من الأنصار، وقيل: علي أيضاً، هم الذين كانوا يحرسون النبي (صلى الله عليه وآله) في العريش^(٢). وقد ضعف الهيثمي إسناد حديث وقوف أبي بكر على رأس رسول الله

١ - الغدير ج ٧ ص ٢١٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨١ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٠.

٢ - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧١ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٣٣١ و ٣٤٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦ و ١٦١ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٨٢ و ٤٣٧ وج ٣ ص ٤٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤١٠ و ٤٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢٤ والدرر لابن عبد البر ص ١٠٦ وعيون الأثر ج ١ ص ٣٢٦ وج ٢ ص ٣٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤١ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١١٨ والمحرر الوجيز لابن عطية ج ٢ ص ٥٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٩٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٤٧.

(ﷺ) بالسيف، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه^(١).

٥ . كان علي (عليه السلام) . كما تقدم . هو الذي يتفقد رسول الله (ﷺ) ، والحرب قائمة، فأين كان أبو بكر عنه (ﷺ)؟! ولماذا لا يطمئن علي (عليه السلام) إلى حراسته وسلامته، اعتماداً على وجود أبي بكر بقربه؟!
٦ . قولهم: إن النبي (ﷺ) قد أخبر علياً (عليه السلام) بقتل ابن ملجم له، فهو مع عدوه كالنائم على فراشه.. ليس دقيقاً.. وذلك لما يلي:

ألف: إنه قال له كلاماً عاماً، ولم يسم له ابن ملجم.

ب: إنه لم يخبره بساعة قتله، أو يومه وشهره أو سنته، فلعله يقتل علي يد أشقاها بعد ساعة، أو بعد شهر، أو أكثر أو أقل..

ج: من الذي قال: إنه أخبره أيضاً: بأن هذا الذي قاله عن خبر لم يكن من موارد البداء؟! فلعله خاضع لقانون المحو والاثبات، ويحتاج إلى فقد موانع، وتوفر شروط، مثل اليقين، والاخلاص، والثبات على الحق.

د: وحتى لو سلمنا أنه أخبره بتاريخ قتله، فإنه لا يكون مع عدوه كالنائم على فراشه، إذ لا شيء يمنع من تعرضه للجراحة، وقطع الأعضاء، وللبلاءات والأوجاع المزمنة بسبب ضربة أو ضربات تناله من عدوه..
علماً بأن أشجع الناس قد يرفض أن ينام في الجبانة، مع علمه بأن أهلها

١ - مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٧.

أموات لا يملكون نفعاً ولا ضراً، فعمله هذا لم يجعله شجاعاً، كما أن شجاعته لا تنكر عليه في مواضع الخطر الحقيقي. وإن خائنه في هذا الموقع رغم علمه بما يفترض أن يجعلها أكثر حصانة وقوة..

هـ: لو صح أنه كان مع عدوه كالنائم على فراشه، فلماذا كانوا يثنون على شجاعته (عليه السلام) ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطيه الأوسمة عليها، حتى إن ضربته لعمر بن عبد ود يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين، الإنس والجن إلى يوم القيامة..

ولماذا باهى الله به ملائكته يوم مبيته على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة الهجرة، ولماذا ينادي جبرئيل بين السماء والأرض في بدر واحد، وسواهما لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، ولماذا؟! ولماذا؟!!

و: لعل النبي (صلى الله عليه وآله) أخبره بقتل ابن ملجم له في أواخر أيام حياته.

٧. بالنسبة لقوله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) : ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين نقول:

ذكر الأسكافي: أن ذلك قد كان بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ووضعت الجزية، ودان العرب له

قاطبة^(١).

١ - شرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٧ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٥.

٨ . على أنه لو كان أبو بكر موطناً نفسه على لقاء الله، زاهداً بالدنيا لكان الموت أحلى عنده من العسل وكان ألف ضربة بالسيف أهون موتة على فراش كما يقول علي (عليه السلام) ، فلماذا يزعمون: انه يقاسي في التعب ما لا يقاسيه غيره.

٩ . بالنسبة لحرب أبي بكر لماعني الزكاة نقول:

إنه لم يحاربهم بنفسه، بل حاربهم بغيره للحفاظ على موقعه في الخلافة.. وسيأتي: أن ذلك كان عملاً غير موفق، ولا مقبول.

١٠ . إن ثبات أبي بكر حين موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يدل على الشجاعة، بل هو من دلائل القسوة، وإلا كان أبو بكر أشجع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي بكى على عثمان بن مظعون، وعلى جعفر وحمة، وغيرهم. وأبو بكر لم يبك حتى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

وقد جرى بين أبي بكر وبين علي (عليه السلام) حول وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أفاد أن أبا بكر لم يكن مهتماً لوفاة الرسول، فقد قال لعلي آنئذٍ: ما لي أراك متحازناً؟!

فقال له علي (عليه السلام) : إنه عناني ما لم يعنك.

فاضطر أبو بكر للإستشهاد ببعض الناس على أنه كان أيضاً حزيناً على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣١٢ وكنز العمال ج ٧ ص ١٥٩ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ٧ ص ٢٣٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨٢ وعن نهاية الإرب ج ١٨ ص ٣٩٦-٣٩٧.

فهل يمكن أن ينقدح احتمال أن يكون قد انساق مع حبوره وسروره بنيل مقام الخلافة فظهر منه ما دل علياً (عليه السلام) على عدم اهتمامه بوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!!

١	الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)
٤١	الفصل الثالث:
٧١	الفصل الرابع:
٨٥	الفصل الخامس:
١٢٢	الفصل السادس:
١٣٤	الفصل السابع:
١٨٣	الفصل الثامن:
٢١٠	الباب الثالث
٢١٢	الفصل الأول:
٢٤٣	الفصل الثاني:
٢٦٩	الفصل الثالث:
٣١٢	الفصل الرابع:
٣٥٦	الفهرس